www.daawa-info.net

حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية

إهداء

إلى كل الإخوة الذين أمطرتهم الدعوة كالغيث في أنحاء العالم – التواق إلى دعوة الحق والقوة والحرية – أقدم مواقف في الدعوة والتربية للإمام حسن البنا، نموذجاً للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، التي ندبنا إليها ربنا عز وجل وسلك بها رسولنا صلى الله عليه وسلم طريقه ففتح بها قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً وآذاناً صماً، فاستجابت وأنابت وأشرقت بالهدى والنور.

بسم الله الرحمن الرحيم
(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)
صدق الله العظيم

هذا الكتاب

تقديم بقلم: الأستاذ محمد عبد الحكيم خيال
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).
(يا أيها الناس اتقوا ربكم، الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً).
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً).

أما بعد:
فبلغت المأساة الإسلامية ذروتها منذ أوائل القرن الهجري الماضي...
فالعالم الإسلامي في هذه المرحلة من تطوره قد فقد فعاليته الدافعة التي منحته الحياة وبعثت فيه القوة والحركة، فسجل بذلك نهاية دور، والإنسان المسلم انتهت حاله إلى تفتت روحي وتوقف عقلي وعجز فاضح عن متابعة حركة الحياة والنهوض برسالته..

فكيف كان العمل؟
إن المحاولات التي برزت في هذه المرحلة لتنظيم الجماهير المسلمة وبعثها من مرقدها كثيرة متعددة، وتنوعت بتنوع المصادر التي صدرت عنها، وأهم هذه المحاولات اثنتان تظهران كقطبين متعارضين.

- المحاولات العلمانية، وهي التي تتمثل في الأحزاب السياسية والتشكيلات القومية.
- والمحاولات الإسلامية، وهي التي تتمثل في دعوات الإصلاح الإسلامي.

- أما المحاولات العلمانية، فهي التي كتب لها أن تنتصر، ولكنها فاقدة لجذورها العميقة في شخصية المسلم، كما أن انتصارها هذا جاء قلقاً ومضطرباً حيث ظل الوجدان العميق للمسلم العادي بعيداً كل البعد عن مفهوم العلمانية الوافد، ويرجع الانتصار السياسي لهذه الحركات إلى التيار العنيف الذي أوجدته الدعوة إلى الفصل بين الدين والدولة المدعوم من السلطات الاستعمارية في الأوطان الإسلامية، يضاف إلى هذا أن صلة أصحاب هذه المحاولات بالدين ليست وثيقة قوية حتى تكون لديهم القدرة على إدراك حقيقة المنهج الإسلامي وطريقة عمله وأهدافه في الحياة، وذلك بحكم تربيتهم في لندن أو باريس أو مدارس وكليات الإرساليات التبشيرية.
ويكفي هذه المحاولات خزياً أنها تجهد في جعل المسلم عميلاً دون أصالة، ومقلداً لحضارة أجنبية، هي الحضارة الغربية المتمردة على الدين وعلى القيم الإنسانية العليا.

- وأما المحاولات الإسلامية، فهي تلك التي تفاوت حظها من الجرأة في العمل والسعة في الانتشار وموافقة الظروف الخارجية لها، ولكنها عكست حقيقة الوجدان العميق عند المسلم، وإن لم تصب في انطلاقها من المسالك والأساليب والخطط التنظيمية ما يكفل تحقيق أهدافها.

لقد ظهرت أولى هذه المحاولات مع ابن عبد الوهاب، ومن بعده بقرن من الزمان جاء الأفغاني بثقافة افتتحت عهد الإنسان الواعي في العالم الإسلامي الحديث واجتذبت إليها فريقاً من الشبان المثقفين في استانبول والقاهرة وطهران تحولوا بدورهم أركانا للحركة الإصلاحية الحديثة.

وفي غفلة من التاريخ وجد جمال الدين نفسه شاهداً وقاضياً في مجتمعات كمل انحلالها بينما كان الاستعمار يرسي قواعده في أرضها، وهو الحادث الذي بعث في ضميره إرادة الثورة والحرب الشعواء ضد المؤسسات البالية والآراء الميتة، فقامت خطته على تحقيق هدف هو تحطيم السلطات القائمة ليرفع قواعد سياسة جديدة للعالم الإسلامي مرتكزة على الدعوة إلى الجامعة الإسلامية التي صدعتها الأهواء والخلافات وهدمتها العهود الاستعمارية بصورة نهائية حاسمة.

كان جمال الدين مدركاً لعفن بيئته وتخلفها، وظن أنه قادر على محو هذا التعفن وإزالته بمجرد القضاء على الأطر السياسية لهذه البيئة دون أن يكرس جزءاً من وقته في دراسة العوامل الداخلية للبيئة الإسلامية، الأمر الذي لم يجعل تركيبه السياسي الجديد موجهاً نحو الرجل الفرد موضوع الإصلاح، بل نحو الجماهير والمؤسسات السياسية القائمة.

وهكذا لم تتناول حركة هذا السيد – رغم ثوريتها – الإنسان الفرد في أخلاقه الشخصية وخصائصه النفسية التي تجيء في مقدمة المنهج الرباني، فظلت قضية الإصلاح فاقدة لمنطلقها الأول.

وجاء شيوخ المدرسة الإصلاحية من بعد جمال الدين، وعرفوا أن تنفيذ الإصلاح مرتبط بإصلاح الفرد أولاً مستندين إلى قول الله تبارك وتعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد: 11.]

في هذه الآية التي أصبحت شعار المدرسة الجديدة تكمن حقيقة المسألة الاجتماعية التي نجد منطلقها الأساسي في نفس الفرد. كيف تتطور هذه النفس وتتغير؟ هنا رأى شيوخ هذه المدرسة أن إعادة صياغة "علم التوحيد" ضرورة لازمة.

وعلم التوحيد كما يعرضه الكلاميون لا يتناول في الحقيقة مسألة النفس إلا في جوانبها الفكرية. لقد ظل المسلم مؤمنا – حتى في عصور التخلف – ولكن إيمانه كان قد فقد قيمته وخسر إشعاعه الاجتماعي، ومرد ذلك إلى أن هذا الإيمان قد أصبح انطوائيا فردياً، إنه إيمان فرد منفصل عن بيئته الاجتماعية.

والمسألة ليست فحسب في إعادة صياغة العقيدة وتصفيتها، بل هي في تزويدها بقيمتها الايجابية السابقة، وإبراز حقيقة الألوهية في وعي الفرد الإيجابي وملء نفسه بها كمصدر للطاقة أكثر منها إثباتاً أو نفياً لرأى فرق كالمعتزلة أو الأشاعرة في الذات والصفات.

إن تغيير النفس وتطويرها هو في جعلها تتفوق على ذاتها وتستعلي بإيمانها، وهذا أمر عسير ليس في مقدور "علم التوحيد" – بمنهجه التقليدي – أن يقوم بأعبائه، وليس في وسع شيوخ الطرق حيث عجزت الصوفية عن تزويد النهضة الإسلامية الحديثة بقاعدة ضرورية للعمل الإصلاحي.. إنه مهمة علم إحياء الربانية الذي يستهدف تحويل القلب وتحويل الفرد وتحويل جموع الجماهير المسلمة التي يجب أن تزود بنابض داخلي، وهي جموع متعطشة إلى التطلع نحو الأعالي لتتغلب على جمودها الشخصي لتستأنف رسالتها.

وعلم التوحيد بمنهجه الكلامي يوقظ الفكر الخامد ويبعث اليقظة في الحركة العقلية، ولكنه في الوقت نفسه يحصر المسألة الإسلامية ولا ينطلق بها في آفاقها الرحبة الفسيحة، فالحقيقة التي يُطرح الإسلام من خلالها كنهج حياة ونظام اجتماعي ليست من مسائل المتكلمين.

ولئن لم يضع شيوخ المدرسة الإصلاحية المسألة وضعاً صحيحاً في الوعي الإسلامي، فقد حملوها إلى الميدان الفكري، ميدان العقل.. لقد كان للعمل الإصلاحي في هذ الميدان صدى بعيد الأثر تشهد عليه النهضة الفكرية التي ظهرت من بعد في مصر وانتشرت في مختلف بقاع العالم الإسلامي.

- العوامل الخارجية ودورها في إحباط المحاولات الإسلامية:

لا نقول إن الاستعمار هو السبب الأول في أزمة العالم الإسلامي، فالأزمة كانت قد بدأت هناك في نفوس المسلمين قبل أن يدهم المستعمر ديارهم، ولكن لا يمكن إغفال الدور القذر للسلطات الاستعمارية في تغذية عناصر الرجعية والتخلف ودفع المال سخياً إلى كل من يساعدها على تجميد الوجود الإسلامي وعرقلة حركة البعث ووضع الأشواك في طريق الأحرار من الدعاة.

لقد كبَّلت السلطات الاستعمارية كل محاولة جادة لإحياء الشعوب الإسلامية وفرضت القيود على حرية العمل، لأنها تعرف جيداً بأن الدين ما يزال هو الملجأ الوحيد بأن والوسيلة المثلى لبعث القوة الأخلاقية لشعب مسلم خسر في أزمته التاريخية كل حافز أخلاقي، وإذا كان هناك شيء ينبض في النفس المسلمة.. شيء يجعلها جديرة بالتغير والتفوق على نفسها، فهو الإسلام. لذلك تكرس الإدارة الاستعمارية كل همها على مهاجمة قوة البعث هذه من كل مكان. فأصبح الإسلام هدفاً لكل القيود وموضوعاً لكل مراقبة، إن تأسيس مقهى أو افتتاح ملهى أو ناد للقمار والسكر أسهل إلى حد بعيد من افتتاح معهد أو مكتب لتحفيظ القرآن، يضاف إلى هذا أن التعيينات في وظائف المفتين والدعاة وأئمة المساجد لم تكن موضع رضا الشعب المسلم، بل كانت متفقة مع مصالح الاستعمار، فبهذه الأجهزة تمسك الإدارة الاستعمارية بزمام الوسائل العليا للإفساد والتخريب، فلا يختار الشيخ الذي يؤم الناس في المسجد بسبب من تقواه وكفاءاته العلمية، بل لما يعود على الإدارة الاستعمارية من منافع يؤديها هذا الشيخ بتحذير الناس وحصر العبادة في طقوس جوفاء لا تحرر نفساً ولا تطلق روحاً.

لقد كان تحويل دور الوعظ والفتيا وإمامة الصلاة والدين إلى وظيفة ذات راتب شهري تابعة لإدارة من إدارات الدولة، بعد أن كان هذا الدور محرراً لا تطوله يد الطغاة.. لقد كان هذا من أكبر جرائم الإدارة الاستعمارية في حق الشعوب المسلمة، لقد أثقل ضمير المؤمن عندما وجد نفسه في لحظة أمام فئة من العلماء الرسميين شكلت طابوراً لإحباط المحاولات المخلصة والجهود المتفانية في حركة البعث.

وهكذا وضعت الإدارة الاستعمارية الصخور والعقبات في طريق النهضة الإسلامية، في حين مهدت الطريق أمام تيارات الإلحاد، فدخلت على ثقافتنا أشكال متعددة من الإلحاد الخفي والظاهر:

ففي مناهجنا العلمية حاشية من الإلحاد...
وفي تنظيمنا الاجتماعي سحابات من الإلحاد والانحلال..
وفي الفسلفات المتخصصة أصول الإلحاد..
وفي الفن والأدب دعوة إلى الإباحية والإلحاد...
وفي القانون والتشريع حماية للمجون والإلحاد...
وفي أساليب التربية نزوع إلى الإلحاد...
وفي تدوين التاريخ تمجيد لحركات الزندقة والإلحاد..
وفي تناول البحوث الإسلامية ذاتها تطلعات إلى الإلحاد..
وفي تكييف العلاقة بين الإسلام والأديان الأخرى تورط في الإلحاد..

- **حسن البنا مرحلة حاسمة:**

في حركة التاريخ الإسلامي:

وهبت المدرسة الإصلاحية النفس المسلمة بعضاً من الحركة والطموح، ومع هذا فقد بقيت هذه الحركة قاحلة لافتقارها إلى التنظيم والتخطيط في إطار مبادئ واضحة لعمل منتج فعال، لقد ظهر بها حافز إلى النهضة ولكنه فاقد للتوجيه المنهجي المنظم، فيكاد المراقب يحس أن قوى مجمدة قد حررت دون أن يعين لها مجال حيوى أو دور خاص تقوم به... في هذه المرحلة ومنذ اختفاء آخر كبار رواد المدرسة الإصلاحية وممثليها، وحيث كان العمل الجماعي غائباً عن الساحة الإسلامية وهو شرط جوهري في تحقيق أهداف الإسلام التي لا تنهض بها جهود فرد.. في هذه المرحلة وحيث كان العمل الإسلام مفتقراً إلى جماعة تقوم به في إطار أهداف واضحة ومنهاج محدد الخطوات، برز الإخوان المسلمون في أعقاب إعلان أتاتورك عن سقوط دولة الخلافة رسمياً، فبدأت الدعوة الإسلامية تستأنف بهم حركتها التاريخية بشروطها المنهجية الشاملة.

في هذا الوقت ظهرت حركة "الإخوان المسلمون"، التي تتميز أساسا بالعمل على التآخي الذي يوحي به اسمها، فلم تؤسس أول جماعة إسلامية على عاطفية مجردة، بل على عمل أخوي جوهري بين المهاجرين والأنصار. إن هذا التعاهد نفسه اليوم هوالذي يوحد "الإخوان المسلمون".

ليس مرشد هذه الحركة وقائدها "حسن البنا" فيلسوفاً أو صاحب دعوة جدلية كلامية أو شيخ طريقة صوفية، فقد اقتصر على أن يعيش الحقيقة الإسلامية متحررة من أغطيتها التاريخية، ومبدؤه الأول هو القرآن، ولكنه قرآن متصل بالحياة، فلم تكن الآية القرآنية عنده مادة تعليمية فحسب أو مجرد مصدر للموازين من كل نوع: حججاً لمهاجمة الخصوم، وعللاً لشجب بعض البدع غير المتآلفة مع سنن الإسلام، ومصدراً لقوانين أدبية يقتضيها علم البلاغة أو

الفصاحة في العربية!!.. ذلك أن الآية القرآنية في هذا الإطار لا تلمس ضمير المسلم أو طبيعته بطريقة مباشرة، كما لا تلمس جميع حوافز حياته والوجوه الأساسية لتفكيره وسلوكه.
بهذا أراد "حسن البنا" أن يبقي لفعالية القرآن الإجتماعية أثرها الناجع، لأنه يجب أن يوضع في قاعدة النهضة الإسلامية، التي يعتمد منهجها على تجديد الذات وتغيير النفس الجوهر الحقيقي للنهضة، وهو الذي لا يقتصر على الحقل الذهني.
لقد تجددت القيمة القرآنية نفسها بحركة الإخوان المسلمون، فأصبحت قيمة حية ووسيلة عملية لتحويل الإنسان.. لقد اعترف دعاة وعلماء ومثقفون بثقافة إسلامية أتاحت لهم ظروف حياتهم أن يكونوا قريبين من "حسن البنا" مجمعين بما له من سلطان فريد أصبحت به الآية القرآنية ذات حافز حي يملي على الفرد سلوكه الجديد ويدفعه إلى العمل بقوة لا تقاوم.
إن هذا الأستاذ الذي يُدرِّس في الصفوف الابتدائية، كنت تراه متنقلاً في طول مصر وعرضها بين المساجد، وفي المقاهي وساحات الأسواق، فالمصلح عنده يجب أن يكون أبداً في المكان الذي يكون ممثلاً لفكرته، في كل مكان تبرز فيه نقائص المجتمع التي يستهدف تقويمها.. كان حسن البنا ينتهز كل مناسبة ليذكر المؤمنين بما غفلوا عنه من تعاليم القرآن بطريقة خاصة، إنه لم يكن يفسر الآيات تفسير الاصطلاحي المطول، فميدان التفسير الإصطلاحي هو الكشف عن الحقائق اللغوية والكلامية والفلسفية والتاريخية، إنه حقل علمي لا يتصل بالواقع ولا يلامس النفس الإنسانية إلا في الميدان الثقافي البحت، وهي صلة نظرية بين الحياة والعلم، وهذا في منهجه لا يكفي لتغيير ما بالنفس أو ليكون مولداً لتحول اجتماعي جذري...
فالتكافل الإسلامي – مثلاً – في مناهج الدعوات السابقة على حسن البنا يقوم على مفهوم الأخوة النظري المجرد، بينما يتحول عند هذا الإمام إلى عملية "تآخٍ" فعّال، وهي عمل جوهري به يصير الإنسان "أخاً مسلماً".. إن هذا العمل الذي نراه بسيطاً في الواقع تحول تام في الإنسان ينتقل به من حال إلى حال، كما كان ينتقل من قبل بالعمل نفسه من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع المسلم. ولتحقيق هذا التحول في الفرد يتوسل مرشد الإخوان المسلمون الأول بالآية القرآنية ولكنه يستعملها في الشروط النفسية ذاتها التي كان يستعملها فيها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من قبل.
السر كله هنا هو في استعمال الآية كوحي موحى لا كنص مكتوب.
فإذا كان حسن البنا يهز سامعيه ويثيرهم، فلأنه لا يفسر القرآن بل يبعثه في الضمائر التي يهزها هزاً عميقاً، والقرآن لم يكن على شفتيه وثيقة باردة أو قانوناً مكتوباً، ولكنه انبثاق الكلام الإلهي الحي، ونور يأتي مباشرة من السماء ينير الطريق ويقود إلى الحق، ومنبع للطاقة يمنح الإرادة قوة وثباتاً، حيث يتجلى الله سبحانه بعظمته البالغة، إنه الإله الفاعل الذي كان يشعر المسلمون الأوائل بوجوده في بدر والخندق.. هنا تبدو الحقيقة القرآنية في صورة مباشرة بوقعها في الضمائر وفعاليتها في الناس، والمفهوم النظري المجرد يصبح قيمة حية نابضة ملموسة في أعمالهم، إنه التركيب الحي للفكر والعمل اللذين يتداخلان مندمجين في تطور مجتمع يعي ما يعمل ويعمل بما يعيه.
إن دعوة حسن البنا هي تجربة لا تستوحي حرفية القرآن، بل تغرف من مصدر الوحي نفسه.. إنها تجربة يصبح نتاجها شديد الحساسية تحت شكل "الحقيقة الفاعلة" في كل ميادين الحياة، وهي قي قاعدة هذه الحياة تحول نفسية الفرد. إن الشاب المصري الذي كانت تحترق وطنيته قد أدرك أن الطريق الوحيد للوصول إلى حقوقه وكل أهدافه هي طريق الواجب والبذل والتضحية والجهاد في سبيل الله، واكتشف إمكانياته وسلطانه على النفوس والأشياء منذ انطلق في طريق الإسلام.. لقد أصبح القطب الذي يلمس نداؤه القلوب، فيقود رجالاً آخرين ويحولهم ليصبحوا هم بدورهم إخواناً جدداً.
وتحرك المحرك العملاق ثم بعث الحركة في حياة البلاد كلها مؤسساً بيوتاً مالية لتوجيه رأس المال، وصحافة إسلامية قوية لتوجيه الثقافة والرأي العام، وصناعة لفتح أبواب العمل وتوجيهه. وجمعت الأموال ثم وظفت بواسطة "الإخوان المسلمون" الذين بنوا القاعدتين الضروريتين لحياة الفرد: القاعدة الروحية والقاعدة المادية.
إن دعوة حسن البنا تبرز في التاريخ الإسلامي الحديث كتجربة إيجابية ترفع قواعد الجسر الذي يخترق التاريخ فيما وراء ركام السنين حتى ينابيع الروح الإسلامية ومن فوق مواطن الشلل والعجز المضيع، إنها تمثل المحاولة الرائدة لإعادة بناء المجتمع المسلم مستلهمة خطة بانيه الأول صلى الله عليه وسلم.
لقد استلهم حسن البنا روح النبي عليه السلام واستضاء بور هديه فكان في شخصه ترجمة حية لبمادئ الإسلام وقيمته التي عبر عنها بالمواقف على صعيد القضايا التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهذا ما جعل "الإخوان المسلمون" يأخذون زمام المبادرة بالمواقف التي اتصلت بقضايا الأمة المصيرية من خلال المنهج الإسلامي،

فاستطاعوا استقطاب الجماهير المسلمة، التي لم تكن لتواكب مسيرات الأدعياء، ذلك أن قضايا العدالة ورفع الظلم ومجاهدة أعداء الله وتحرر الإنسان والتصدي للطغاة والظالمين في الداخل واليهودية والصليبية والاستعمار في الخارج يحتاج إلى رجال لسان حالهم أوقع من لسان مقالهم يدركون الفرق بين الدعوة بالنظرية والدعوة بالمواقف، والفرق بين من يجاهد ويضحي وبين من يتحدث عن الجهاد والتضحية، أو بين من يصبر ومن يتحدث عن الصبر.

- **هذا الكتاب:**

ويجيء هذا الكتاب ليضع بين أيدينا مواقف حسن البنا كما عاشها مؤلفه الكريم وتفاعل معها وتغير بها وأدرك سر وجوده، وكما عشت معها في أصول هذا الكتاب.
لقد عشت مع هذا الإمام الجليل وهو يرسي دعائم الربانية الخالصة في زيارته لمدينة رشيد وهو يطلب إنزال صورته من منصة السرادق.. عشت معه وهو يدعو ويربي على التوكل على الله والجهاد ويعمل على إعداد الرجال المتوكلين المجاهدين.. عشت تغمرني مشاعره الرقيقة وعواطفه الجياشة.. ولمسته داعية إلى الله على بصيرة وأنا أقرأ مواقف بُعْد النظر.. وسرى في قلبي روح الحياة وأنا أستطلع معالم حركته وهو يحيي القلوب ويوقظ الضمائر بالقرآن..
لقد عشت مع إمامنا الشهيد وهو ينمي الوعي العقائدي ويوثقه في نفوس الإخوان.. عشت معه وهو يشرح مراحل دعوته.. وهو يخطط لمؤتمراته ولقاءاته ويضع لها كل ضمانات النجاح.. وهو يجاهد من أجل إقامة حكم الإسلام.. وهو يحول المواقف لصالح دعوته.. وهو يوضح موقفه من التصوف.. وهو يعمل على إحياء السنة ويدعم منهج السلف.. وهويضبط حركة الشباب ويدخرها ليوم الفصل.. وهو يدعو إلى إقامة الجامعة الإسلامية ويقيم علاقات مع الهيئات الإسلامية الأخرى على قواعد المودة والمحبة والتآخي.. وهو يرسي قواعد الإعلام الإسلامي.. وهو يعمل للنهوض بالمرأة المسلمة ويضع لها المناهج التي ترفع من شأنها..
لقد عشت معه وهو يصد عن بسطاء المسلمين غارات التنصير.. وهو يواجه الاستعمار وسلطانه ودعاة العلمانية والتغريب المتمثلين في رجال الأحزاب السياسية ورجال الفكر والثقافة.. وعشت معه حركته بالقضية الفلسطينية وهو يدفع حياته فداء للمسجد الأقصى.
لقد عشت هذه المواقف الزاخرة وغيرها لإمامنا الشهيد، التي تضمها صفحات هذا الكتاب الكريم.. فتذوقت وتعلمت.. وجزى الله أخي الأكبر الحاج عباس السيسي الذي أمدني بهذا المعين الزاخر، فنهلت منه عبرة وعبرة واكتسبت منه خبرة وخبرة.
والله نسأل أن ينفع به أجيال هذه الدعوة كما نفعني...
إنه سبحانه وتعالى سميع مجيب...

محمد عبد الحكيم خيال

مقدمة
أيام من العمر... لا تنسى

نشأت مع باكورة الدعوة، في سن مبكرة، فغذيت من رحيقها، وتدرجت في خطواتها ومنهاجها.. وعشت مع إمام الدعوة ومرشدها على القرب فترات قليلة من الزمن، ولكنها عميقة الأثر، فلقد كنت حريصاً على تركيز انتباهي، مشدوداً إليه.. عشت معه على البعد في مشغلة نفسية بالدعوة والداعية، فتمكنت من أقطار نفسي وتغلغلت جذورها في وجداني ومشاعري.
ذلك أن حسن البنا في أخلاقه وتصرفاته وسلوكه كان دعوة.. ينجذب إليه الناس على اختلاف ثقافاتهم ونزعاتهم، فقد آمن – رضي الله عنه – بالإسلام دعوة وبالإنسان مادتها، فاستنهض أحاسيسه كلها، لتعمل في ميدان العقل والنفس والشعور.. فانبثقت في الناس ينابيع للخير كثيرة كانت مجهولة، وتفجرت طاقات للشباب كانت مبددة مقهورة، وأشعلها يقظة في الوجدان والمشاعر، وصحوة في القلب والوعي والشعور، فأدرك الإنسان بعد الغفلة والنسيان أنه شيء غير هذا البنيان، وأنه مذخور بكل ما تنشده الإنسانية من حق وخير وعدل، وأن الحياة إنما تقاس بعظمة المبدأ وشرف الغاية والنهاية فانطلق يسمو بنفسه والناس يبني ولا يهدم.. يجمع ولا يفرق.. يحب، بالحب الذي تتناجى به القلوب، وتتساقط به الذنوب.. الحب الذي جمع بين المهاجرين والأنصار على أعظم ما سجله التاريخ من آيات المجد والفخار.. الحب الذي ألف بين قلوب الأمة، فذابت به الطبقية والعنصرية، وتلاشت معه الأحقاد.. الحب الذي قيل عنه: "إذا عطس حسن البنا في القاهرة يقول له الأخ في أسوان: "يرحمك الله"، حب في الله، فلا إله إلا الله ولا زعيم إلا محمد رسول الله ولا دستور إلا القرآن".

تلك العقيدة: هي جامعة القلوب ومؤلفة الأرواح، ومنقذة البشرية من الضلال، لا فضل فيها لأحد، ولا نسب فيها لإنسان إلا نسب هذه العقيدة: (بل الله يمنُّ عليكم أن هداكم للإيمان) [الحجرات: 17].
عاش حسن البنا في قلوبنا، كأخ وأب.. يعود مريضنا، ويسأل عن غائبنا، ويعاون في حل مشاكلنا.. يؤلف بين قلوبنا برحلات تربط القريب بالبعيد، ويباعد بيننا وبين الخصومة، حتى لا تعوق سبيلنا إلى القلوب: (فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌّ حميم) [فصلت: 34].
استحوذت شخصية حسن البنا على نفوسنا وقلوبنا، لما وهبه الله من قدرة على الملاحظة المنتجة، التي لا تفلت من يده فيستغلها وينميها ويستفيد بها، فالدقائق من حياته لا تمضي بغير حركة وعمل، وأحاسيسه وعواطفه مستمرة في الإنتاج.. حتى كانت محصلة حياته المباركة، التي لم تتجاوز الثلاثة والأربعين من السنين فوق التصور والخيال.
لم يخرج حسن البنا على العالم بنظرية من اجتهاده، ولم يحاول أن يجرب لأمته على ضوء ما في العالم من نظم ومبادئ براقة.. فقد آمن إيمانا عميقاً لا شك فيه بالإسلام دعوة وحركة ونظاماً، وأنه التجربة الأخيرة في هذه الحياة الدنيا، والقول الفصل في محكمة التاريخ..
لهذا، فلن تجد في طريق الدعوة الطويل – بعد خمسين عاماً – تغييراً أو تبديلاً في المبادئ والأهداف والمناهج برغم الزلازل والبراكين التي تتعرض لها الدعوة في كل زمان ومكان، وهذا لأنها تستمد وجودها واستمرارها من نبع الإيمان الذي لا ينضب وعظمة وشمول الإسلام الذي لا يتغير.

- هذا الكتاب.. وطبعته الثانية

ولا يعتبر هذا الكتاب ترجمة لشخصية الإمام الشهيد حسن البنا بالمعنى الفني الذي تعارف عليه كُتاب التراجم، يستقصى جوانب تكوين هذه الشخصية النفسية والجهادية وآثارها العظيمة في الحياة الإسلامية المعاصرة.. إنما هو مجرد رؤية لبعض مواقف هذا الرائد العظيم، عشتها وتذوقتها وتفاعلت معها، فكان لها آثارها العميقة على مجرى حياتي، حيث انخرطت بها في قافلة الهداية والإنقاذ.. قافلة الإخوان المسلمون على طريق الإسلام الصحيح الذي سرت به بين الناس محققاً سر وجودي، ولله الفضل والمنة..
لهذا وجدت أن من حق جيل الحركة الإسلامية الجديد أن أضع بين يديه ما رأيت وما وعيت من مواقف مرشد الحركة ومؤسسها، فالحركة الإسلامية وأجيالها أولى بأن تتلمس سبل الدعوة والتربية بالموقف لتبرز من خلاله أفكارها ومبادئها وترابطها بواقع الناس وقضاياهم ومشكلاتهم في مختلف جوانب الحياة، كما أن جيل الحركة الإسلامية الجديد سيظل عاجزاً عن الإحساس بحقيقة انتمائه وارتباطه بجماعته إلا بعد تفاعله بمواقف مرشدهم الأول ومن كان معه واستيعابهم لها، وستظل أيضاً حركة هذا الجيل يعوزها النضج ما لم تستلهم تجارب الدعوة في أطوارها السابقة.
ولما كان موضوع هذا الكتاب في شأنه كالكائن الحي يولد صغيراً ثم يأخذ في النمو حتى يستوي على سوقه، فسيرى الأخ نمواً وزيادة في مكونات هذه الطبعة وما تحتويه من مواقف، كما سيرى اختلافاً في ترتيب المواقف عنه في الطبعة الأولى اقتضاه التسلسل التاريخي للأحداث.
والله أكبر ولله الحمد...

عباس السيسي
رشيد في رمضان سنة 1401 هـ
يوليو سنة 1981 م.

هذا الكتاب
في طبعته الثالثة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:
فهذا كتابنا "حسن البنا.. مواقف في الدعوة والتربية" نقدمه للإخوة القراء في طبعته الثالثة، وسيرون تطوراً واكتمالاً في موضوعاته ومنهج عرضه.. وسبحان من له الكمال وحده..
ولا أملك إزاء ما أحدثت من تطوير وزيادة وتنقيح في هذه الطبعة إلا أن أعيد على الأسماع كلام العماد الأصفهاني رحمه الله:
(إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه، إلا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زيدَ هذا لكان يُستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العِبَر.. وهو دليل على استيلاء النقص على كافة البشر).

فاللهم علمنا ما ينفعنا.. وانفعنا بما علمتنا.. ونجنا من كل سوء.. واحفظنا من كل شر.. وهب لنا من لدنك رحمة، وهب لنا من لدنك وليا، وهب لنا من لدنك نصيراً.. واجعل عملنا هذا لنا لا علينا.

عباس السيسي
رشيد في ربيع ثان 1408 هـ
ديسمبر 1987 م

حسن البنا... في رشيد

- الزيارة الأولى:

في أوائل 1936 م.. تحدد موعد لزيارة حسن البنا لرشيد.. ونشط الإخوان في شعبة رشيد في دعوة الناس إلى لقائه وسماع ما يدعو إليه، وكلفت بدعوة المصلين في مسجد (الجندي)، للحضور إلى دار الإخوان للإستماع إلى محاضرة الشيخ حسن البنا...

وأذكر أني حين قمت بعد الصلاة وهممت بالكلام تلعثم لساني ووجدتني عاجزاً عن الإفصاح عما كلفت به، ولكن المصلين خففوا عني وسألوني عن قصدي، فأفصحت لهم بتعبيراتي العادية وأفهمتهم ما أريد وانصرفت في خجل شديد، وبعد أن عدت إلى إخواني بالشعبة وقصصت عليهم ما حدث، نصحوني بأن أستند إلى أحد أعمدة المسجد حتى يمتص رعدتي وانفعالاتي ولكي لا تعاودني هذه الحالة إلى أن أتعود على مواجهة مثل هذه المواقف.

وقام الإخوان بإعداد مكان الحفل إعداداً طيباً ونظموه أحسن تنظيم.. وحان وقت وصول فضيلته، فانتقلنا في مجموعة كبيرة على رأسها الأستاذ أحمد السكري والحاج محمود عبد الحليم الكبير – رحمه الله – رئيس الجمعية إلى محطة السكة الحديد.. واقترب القطار وتطلعت العيون والنفوس والأرواح إلى لقاء هذا الزائر الكريم، الذي كنا قد سمعنا عنه وعن حلاوة كلامه وسبقت إلينا دعوته برشيد فأصبحنا جنوداً لها ولم نكن قد التقينا به، فهذه أول مرة يقوم فيها حسن البنا بزيارة رشيد..

ووصل القطار، ونزل جمع من الإخوان فتسابقنا للسلام مشوقين على الأستاذ المرشد، ومع أننا قد رأيناه في "صورته الشمسية"، إلا أننا بدأنا بالسلام على شخص كبير الجسم يرتدي الجبة والعمامة على أنه حسن البنا، فاعترى الرجل حرج شديد فتدارك الخطأ وأشار إلى فضيلة المرشد، ولم يكن هذا الرجل سوى الشيخ سرحان عدوي من جمعية الإخوان المسلمون ببلدة بني مجد بمنفلوط قبلي، الذي كان في صحبة الأستاذ البنا مع السيد محمد حامد أبو النصر[1] من أعيان منفلوط.

والتففنا حول فضيلة المرشد للتسليم عليه، وحاولنا كما تعودنا مع من هو أكبر منا أن نقبِّل يده ولكنه امتنع ولم يمكنا من ذلك.. وصحبناه سيراً على الأقدام إلى دار الإخوان..

وعندما اقتربنا لحظ فضيلته "صورته الشمسية" التي كنا قد قمنا بتكبيرها وكتبنا تحتها بالخط الجميل (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) [الأحزاب: 23] وعلقناه فوق منصة الخطابة، وكنت أسير بجواره ولم يكن عمري قد تجاوز السابعة عشرة فربت على كتفي بحنان، وسألني: لمن هذه الصورة؟ فأجبته بأنها صورة الشيخ حسن البنا، فقال لي: إذا كان حسن البنا موجوداً بينكم بشخصه فما الداعي لوجود هذه الصورة!! اذهب وأنزلها.. وارتقيت منصة الخطابة، لكي أنزل الصورة، ولكنني فوجئت بصيحات بعض الإخوة تمنعني من ذلك، فأخبرهم الأستاذ بأنه الذي أمرني بذلك، ونفذت أمره وأنزلت الصورة.

وهنا بدأت صلتي بالأستاذ البنا.. بهذه اللمسة الربانية، وبهذا الدرس الذي كان له أعمق الأثر في نفسي، وإن لم أكن قد نضجت وفقهت كل أبعاد هذا الدرس، غير أن القلب يعي ويستشعر الدروس الصادقة بطريقة مباشرة وبصرف النظر عن درجة نضج صاحبه.

وبعد صلاة العشاء في مسجد المحلى توجه الأستاذ إلى دار الإخوان، حيث كانت الساحة المحيطة بها قد اكتظت بأهالي رشيد ووجهائها وأعيانها، وفي مقدمتهم علماؤها الأفاضل الذين اشتهروا بين العلماء بسمو المكانة في العلم والفضل والتقوى..

وافتتح اللقاء بالقرآن الكريم...

---

[1] المرشد العام السابق للإخوان المسلمون، رحمه الله.

ثم قامت مجموعة من شباب الإخوان وأنشدت: يا رسول الله هل يرضيك أنَّا..." وتلا ذلك الأستاذ أحمد السكري بكلمته الدافقة بالقوة والحماسة التي جذبت انتباه الناس.
ثم قام الأخ عبد الكريم بهلول، وكان في ذلك الوقت لا يزال طالباً بالمعهد الديني، وألقى قصيدة أذكر منها هذه الأبيات:

رأيت المجد في مرساك يرسى فجئت اليوم أفديكم بنفسي
وأبدي أن في بلدي رجالاً لهم روحي وإيماني وحسي
إذا ناديتهم للحق جاءوا إلى الميدان في أبهى الدمقس
يحبون الكفاح ليستردوا إلى قدس الشريعة كل قدس
لهم في الموت معنى سرمدي جميل قد خلا من كل لبس
فيا من فيك آمالي تسامت وكنت التاج إن توجت رأسي
يهنئكم بعيد الفطر شهم وعى من نور هديك كل درس
ويرجو أن تكون حليف يمن مع الإخوان في عز وبأس

وجاء الدور الذي كنا ننتظره بلهفة وشوق.. دور الأستاذ على المنصة، فتقدم نحوها في جلبابه الأبيض وعباءته الحجازية في خطاه الهادئة المطمئنة، فتعالت الهتافات (الله أكبر ولله الحمد)، حتى إذا استقر على المنصة وجدناه يقف صامتاً والناس قد سادتهم السكينة، ثم بدأ بحمد الله تعالى وأثنى عليه الثناء كله، وأخذ رويدا رويداً يسبح لنا في آفاق علوية، وأخذت تنساب منه الكلمات التي كانت تنزل على قلوبنا برداً وسلاماً...
وأذكر من حديثه هذه الفقرات:
"أيها الإخوان في رشيد:
(أرجو أن لا تعتبروني زائراً ضيفاً، فقد يكون الكثير منكم لا يعرف أنني من مواليد المحمودية وهي تبعد عن رشيد ثلاثين كيلو متراً، ولقد كانت المحمودية فيما مضى من أعمال محافظة رشيد.. وبهذا لا تعتبروني ضيفاً فإنما أنا من أبناء هذه المنطقة وكذا والدي الشيخ أحمد عبد الرحمن قد تتلمذ هنا في مسجد زغلول على أيدي علماء رشيد الأفاضل "وذكر بعض أسمائهم"...)
(ثم لا تظنوا أيها الإخوة أنني جئت أعلمكم الإسلام، وفي بلدكم هذا نَبَع العلم وَوُلد العلماء.. فلا تظنوا أنني إنما جئت كي أشرح لكم أو أبين لكم الحلال من الحرام – فهذا أمر فطري معلوم للعامة قبل الخاصة – بل إن الحيوانات الأعجمية تعرف الحلال من الحرام، ولا أدل على ذلك، من أن أحدكم حين يتناول طعامه ثم اقتربت منه قطة فأعطاها بيده كسرة من الخبز، فإن القطة سوف تأكلها وهي آمنة مطمئنة، أما إذا بخلت عليها بقطعة الخبز فإنها في هذه الحال سوف تسرقها، ولا تلبث أن تفر بها بعيداً عنك وهي خائفة منك تترقب أن تقوم لتعاقبها.. من الذي ألقى في روعها أنها المرة الأولى أكلت حلالاً، وفي المرة الثانية أكلت حراماً؟! – إذا كان هذا هو شأن الحيوان فما بالكم بالإنسان؟)
(..إنني لم آت إليكم من أجل ذلك، فأنتم والحمد لله على بينة من كل هذا بفضل هؤلاء العلماء الأجلاء، ولكنني قصدت أن أقول لكم، هل الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لنا، هو ذلك الإسلام الذي نعيشه اليوم، في معاملاتنا وفي بيوتنا وفي مدارسنا وفي محاكمنا وفي كل أحوالنا؟؟... هل المسلمون اليوم، هم المثل الذي ينطبق مع تعاليم الإسلام وأحكام القرآن؟.. هل المسلمون ينطبق عليهم قول الله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) [المنافقون: 08].)
... ومضى حسن البنا يقارن بين إسلام الأمس وإسلام اليوم، ومسلمي العصور الأولى ومسلمي هذا العصر مستدلاً بآيات القرآن الكريم التي كانت تواتيه في طواعية ويسر وبسرعة أذهلت العلماء، الذين دهشوا لسرعة بديهة الأستاذ وسرعته في ملاحقة الآيات القرآنية التي كانوا يسمعونها منه وكأنها كانت تنزل اللحظة، لقد انسابت الآيات القرآنية منه روحاً يحيي القلوب ونوراً يضيء الأفئدة..
لقد تعود العلماء، أن يأتوا في أول أحاديثهم بالآية الكريمة ثم يقوموا بتفسيرها، ولكن الأستاذ كان يأتي بالموضوع حتى إذا استكمله وأصبح واضحاً في ذهن المستمع ختمه بالآية القرآنية التي كانت ترد في موضعها، تسجل المعنى وتزيده جلاء ووضوحاً وحياة، فتنزل على قلب المستمع تستنبت فيه كل معاني الخير.
وبعد أن طاف بنا وأفاض علينا من روحه المشرقة، وربط قلوبنا ومشاعرنا بالحق والخير، أعاد علينا تلخيصاً لما قال، ثم أنهى حديثه بين تطلع الناس إلى المزيد.. وترك المنصة ووقف إلى جانبها يسلم على الناس الذين أقبلوا عليه في لهفة كل يريد تحيته والتسليم عليه..

وانتقل إلى داخل الدار، واتخذ بها مجلساً يحيط به من كانوا أشد تأثراً بحديثه، يحاولون الاقتراب منه، فيفسح لهم في المجلس ويرحب بهم.
وبعد أن انصرف هؤلاء إلى بيوتهم، طلب منا – نحن الإخوان – أن يجلس معنا لبعض الوقت في إحدى حجرات الدار، وبدأ لقاءه معنا بالتعرف بنا والسؤال عن أسمائنا، ثم أخذ يحدثنا حديثاً خاصاً يتقرب به إلى قلوبنا ويتعرف به على أحوالنا، وكان يتحدث معنا بأسمائنا التي سرعان ما حفظها، وكان كلما ذكر اسم أحدنا نظرنا إلى هذا الأخ ونحن في دهشة، فقد كان يخيل إلينا أنه يعرفه قبلنا، وهكذا مع الجميع..
وفي ختام هذا اللقاء المبارك، طلب منا الأستاذ السكري أن نبايع الأستاذ، فكانت البيعة الأولى التي بايعنا عليها هي: طاعة الله والبعد عن المعصية.
وحين عرف الأستاذ المرشد أنني طالب بمدرسة محمد علي الصناعية بالإسكندرية، كتب لي رسالة للأخ عبد المنعم الشربيني بشارع البوصيري، لكي يقدمني له ونصحني بالاتصال به للمشاركة في العمل مع الإخوان بالإسكندرية.. وهكذا وبوعي الداعية والمربي البصير يوجه براعم دعوته ولا يترك فرصة تفلت منه.
وفي اليوم التالي للحفل توجه فضيلته فزار جمعية تحفيظ القرآن الكريم وزار بعض أعيان المدينة، حتى حان وقت عودته إلى القاهرة، فودعناه أحر وداع مصحوباً برعاية الله، بعد أن ترك قلوباً أحياها بروح دعوته ونفوساً أضاءها بنور القرآن بينها وبينه عهد الأخوة وبيعة العمل في طاعة الله وإعلاء كلمته.

- **الزيارة الثانية:**

وفي العام التالي كانت زيارته الثانية إلى رشيد..
وفي لقائه بنا تعرف علينا جميعاً بأسمائنا بعد أن سلم علينا وحيانا، لاحظ تغيب بعض الإخوة ممن تعرف بهم في العام الماضي، فعاتبنا على عدم تفقدهم وموالاة الاتصال بهم، وكلفنا بإحضارهم، ولما جئنا بهم استقبلهم الأستاذ بروح الأخوة التي تأثروا بها كثيراً، وكان لسؤاله هذا عنهم بعد عام مضى أعظم الأثر في مواظبتهم وثباتهم على الدعوة.
ورغب الأستاذ المرشد في زيارة (عمدة رشيد) الأستاذ محمد بك طبق، وهناك في داره استقبلنا العمدة ورحب بالأستاذ، وفي جلسة تعارف – كما هي عادة الإخوان – بدأ العمدة فقال: (محمد طبق) عمدة رشيد، ثم تلاه من بجواره في التعارف قائلاً: (محمد سمك) رئيس مجلس بلدية رشيد، وقدم الذي يليه نفسه بقوله: (زكي طبيخة) طالب!!.
فقال الأستاذ وهو يبتسم: (سفرة دايمة)، وضحكنا جميعاً..
وكانت جلسة مؤنسة روحت عن نفوسنا، خرجنا منها بتعاطف عمدة رشيد، الذي ظل على علاقة طيبة بالإخوان، وكان – رحمه الله – لا يفوته حضور لقاء من لقاءات الأستاذ المرشد العامة التي تمت بعد ذلك في رشيد.

وضوح الطريق

حين تقدم الطالب حسن البنا إلى لجنة الامتحان الشفهي في مدرسة العلوم، سأله أحد الممتحنين:

- ماذا تحفظ من الشعر القديم؟
- فأجاب: أحفظ المعلقات السبع.
- قال الأستاذ الممتحن: أسمعني معلقة طرفة بن العبد فأخذ حسن البنا يقرأها في فصاحة وثبات، ولما تأكد الأستاذ الممتحن من جودة حفظه
- قال له: على رسلك، أريدك أن تختار بيتا أعجبك من هذه القصيدة فأطرق حسن البنا هنيهة، ثم قال:

إذا القوم قالوا من فتىً خِلتُ أنني عُنيتُ فلم أكسل ولم أتبلَّدِ[2]

فما كان من الأستاذ الممتحن إلا أن رفع عمامته من فوق رأسه وهو يردد الله... الله.... فالتفت إليه الممتحن الآخر وقال له: ماذا جرى يا مولانا؟
فأجابه، بأن هذا الفتى – يقصد حسن البنا – سيكون له شأن عظيم، وأعاد على سمعه بيت الشعر الذي أعجب البنا من القصيدة، فشاركه إعجابه وتفاؤله.

---

[2] يعني: إذا القوم قالوا من فتى يكفي مهما أو يدفع شراً؟ خلت أنني المراد بقولهم فلم أكسل في كفاية المهم ودفع الشر ولم أتبلد فيهما "شرح المعلقات السبع للزوزني ص 77 دار القلم بيروت".

وما هي إلا سنوات قلائل حتى صدقت فراسة هذا الشيخ في حسن البنا، إذ أصبح بالفعل أمل أمته الحيرى، ومرشدها وداعيتها إلى منهاج الإسلام..
عرف حسن البنا منذ صباه أن الجهل بالإسلام، وعدم إدراك حقيقة هذا الدين، وتلوث المحيط الاجتماعي فكرياً وأخلاقياً هو الذي انتهى بأمته إلى الضياع والشرود، الأمر الذي يعود إلى ضعف التوجيه الديني السليم في حياة المسلمين، وإلى خضوعهم إلى توجيهات منحرفة ومتناقضة مع تعاليم الإسلام ومبادئه.
لقد كان حسن البنا هو ذلك الفتى الذي أحس منذ صباه بالفراغ الذي يعاني منه المسلمون، وهو عدم وجود قيادة مسلمة وطليعة مؤمنة ترد المسلمين إلى الإسلام وتبصرهم بالطريق وتكتل جهودهم لاستئناف دورهم الحضاري كخير أمة أخرجت للناس.
لقد أدرك حسن البنا تطلع قومه إليه لاستخلاصهم واستنفاذهم من الضياع، فكان هو ذلك القائد والمرشد الذي توافرت له كل ملامح القيادة والإرشاد من وعي وإدراك وإحساس عميق بثقل التبعة وعظم المسئولية، سجل الكثير منه في مذكراته، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.. انظر إليه وهو ينذر نفسه لتوجيه أمته وإرشادها في موضوع الإنشاء الذي كتبه في امتحان التخرج من دار العلوم.. يقول رحمه الله:
(كان أستاذنا أحمد يوسف نجاتي – جزاه الله خيراً – مغرماً بالموضوعات الدسمة بالإنشاء، وله معنا نكات وتعليقات ظريفة طريفة في هذه المعاني. ومن كلماته المأثورة، حين كان يمل تصحيح هذه المطولات، أن يقول والكراسات على يده ينوء بحملها كما ناء طول ليله بتصحيحها: "خذوا يا مشايخ! وزعوا ما تزعمونه إنشاء. عليكم بالقصد يا قوم فالبلاغة الإيجاز. والله إني لا أشبر الإنشاء ولا أذرعه" ونضحك ونوزع الكراسات.
ومن الموضوعات التي أتحفنا بها بمناسبة آخر العام الدراسي، وكان بالنسبة لي ولفرقتي الامتحان النهائي 1927 الميلادية، هذا الموضوع: "اشرح أعظم آمالك بعد إتمام دراستك، وبيِّن الوسائل التي تعدها لتحقيقها".
وقد أجبت عنه بهذا الموضوع:
"أعتقد أن خير النفوس تلك النفس الطيبة التي ترى سعادتها في سعادة الناس وإرشادهم، وتستمد سرورها من إدخال السرور عليهم، وذود المكروه عنهم، وتعد التضحية في سبيل الإصلاح العام ربحا وغنيمة، والجهاد في الحق والهداية – على توعر طريقهما، وما فيه من مصاعب ومتاعب – راحة ولذة، وتنفذ إلى أعماق القلوب فتشعر بأدوائها، وتتغلغل في مظاهر المجتمع، فتتعرف إلى ما يعكر على الناس صفاء عيشهم ومسرة حياتهم، وما يزيد في هذا الصفاء، ويضاعف تلك المسرة، لا يحدوها إلى ذلك إلا شعور بالرحمة لبني الإنسان، وعطف عليهم، ورغبة شريفة في خيرهم، فتحاول أن تبرئ هذه القلوب المريضة، وتشرح تلك الصدور الحرجة، وتسرهاته النفوس المنقبضة لا تحسب ساعة أسعد من تلك التي تنفذ فيها مخلوقاً من هوة الشقاء الأبدي أو المادي، وترشده إلى طريق الاستقامة والسعادة."
"وأعتقد أن العمل الذي لا يعدو نفعه صاحبه، ولا تتجاوز فائدته عامله، قاصر ضئيل، وخير الأعمال وأجلها ذلك الذي يتمتع بنتائجه العامل وغيره، من أسرته وأمته وبني جنسه، وبقدر شمول هذا النفع يكون جلاله وخطره، وعلى هذه العقيدة سلكت سبيل المعلمين، لأني أراهم نوراً ساطعاً يستنير به الجمع الكثير ويجري في هذا الجم الغفير، وإن كان كنور الشمعة التي تضيء للناس باحتراقها.
وأعتقد أن أجل غاية يجب أن يرمي الإنسان إليها، وأعظم ربح يربحه أن يحوز رضا الله عنه، فيدخله حظيرة قدسه، ويخلع عليه جلابيب أنسه، ويزحزحه عن جحيم عذابه، وعذاب غضبه. والذي يقصد إلى هذه الغاية يعترضه مفرق طريقين، لكل خواصه ومميزاته، يسلك أيهما شاء:

- أولهما: طريق التصرف الصادق، الذي يتلخص في الإخلاص والعمل، وصرف القلب عن الاشتغال بالخلق خيرهم وشرهم. وهو أقرب وأسلم.
- والثاني: طريق التعليم والإرشاد، الذي يجامع الأول في الإخلاص والعمل، ويفارقه في الاختلاط بالناس، ودرس أحوالهم، وغشيان مجامعهم ووصف العلاج الناجح لعللهم. وهذا أشرف عند الله وأعظم، ندب إليه القرآن العظيم، ونادى بفضله الرسول الكريم. وقد رجحت الثاني – بعد أن نهجت الأول – لتعدد نفعه، وعظم فضله، ولأنه أوجب الطريقين على المتعلم، وأجملهما بمن فقه شيئاً (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) [التوبة: 122].

وأعتقد أن قومي – بحكم الأدوار السياسية التي اجتازوها، والمؤثرات الاجتماعية التي مرت بهم، وبتأثير المدنية الغربية، والشبة الأوربية، والفلسفة المادية، والتقليد الفرنجي – بعدوا عن مقاصد دينهم، ومرامي كتابهم ونسوا مجد آبائهم، وآثار أسلافهم، والتبس عليهم هذا الدين الصحيح بما نسب إليه ظلماً وجهلاً، وسترت عنهم حقيقته الناصعة

البيضاء، وتعاليمه الحقيقية السمحة، بحجب من الأوهام يحسر دونها البصر، وتقف أمامها الفكر، فوقع العوام في ظلمة الجهالة، وتاه الشبان والمتعلمون في بيداء حيرة وشك، أورثا العقيدة فساداً وبدل الإيمان إلحاداً....!"
"وأعتقد كذلك أن النفس الإنسانية محبة بطبعها، وأنه لا بد من جهة تصرف إليها عاطفة حبها، فلم أر أحداً أولى بعاطفة حبي من صديق امتزجت روحه بروحي، فأوليته محبتي، وآثرته بصداقتي".
كل ذلك أعتقده عقيدة تأصلت في نفسي جذوتها، وطالت فروعها، واخضرت أوراقها، وما بقي إلا أن تثمر، فكان أعظم آمالي بعد إتمام حياتي الدراسية أملان:

- خاص: وهوإسعاد أسرتي وقرابتي، والوفاء لذلك الصديق المحبوب، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وإلى أكبر حد تسمح به حالتي، ويقدرني الله عليه.
- عام: وهو أن أكون مرشداً معلماً، إذا قضيت في تعليم الأبناء سحابة النهار، ومعظم العام قضيت ليلي في تعليم الآباء هدف دينهم، ومنابع سعادتهم، ومسرات حياتهم، تارة بالخطابة والمحاورة، وأخرى بالتأليف والكتابة، وثالثة بالتجول والسياحة.

وقد أعدت لتحقيق الأول معرفة بالجميل، وتقديراً للإحسان و (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) [الرحمن: 60].
ولتحقيق الثاني من الوسائل الخلقية: "الثبات والتضحية" وهما ألزم للمصلح من ظله، وسر نجاحه كله، وما تخلق بهما مصلح فأخفق إخفاقاً يزري به أو يشينه، ومن الوسائل العملية: درساً طويلاً، سأحاول أن تشهد لي به الأوراق الرسمية، وتعرفاً بالذين يعتنقون هذا المبدأ، ويعطفون على أهله، وجسماً تعود الخشونة على ضآلته، وألف المشقة على نحافته، ونفساً بعتها لله صفقة رابحة، وتجارة بمشيئته منجية، راجياً منه قبولها، سائله إتمامها، ولكليهما عرفانا بالواجب وعوناً من الله سبحانه، أقرأه في قوله: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) [محمد: 07].
ذلك عهد بيني وبين ربي، أسجله على نفسي، وأشهد عليه أستاذي، في وحدة لا يؤثر فيها إلا الضمير، وليل لا يطلع عليه إلا اللطيف الخبير (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً) [الفتح: 10]... 1 هـ.[3]
هكذا كان حسن البنا يعرف ما يريد، ويعرف سبيله إلى ما يريد..
ذلك أنه من أخطر ما يؤثر في بناء شخصية الداعية هو وضوح طريقه، وشعوره بالثقة المطلقة بفكرته التي يدعو إليها بشكل يستطيع معه دخول معترك الصراع العقائدي الإنساني، وهو يحمل مبادئ واضحة محددة، يسهل عليه مقارنتها بغيرها من العقائد والمناهج في سرعة ويسر، ويتبين له من خلال تلك المقارنة الفرق الواضح بين فكرته وبين غيرها من الأفكار والمناهج، ويسهل عليه هذا الوضوح إيصال فكرته إلى عقل وقلب كل إنسان شريف، فيقتنعه بأنها هي الخير المحض، والعلم الخالص والحاجة الملحة..
بهذا التكوين الرباني تمكن حسن البنا وبخطوات الواثق المطمئن من تقديم إسلامه إلى مجتمعه المتخلف وإلى الإنسانية المعذبة، كحل جذري لما تعانيه من ضنك وآلام وعذاب.. انظر إليه وهو يجيب عن سؤال وجهه إليه صحفي يطلب منه أن يوضح بنفسه عن شخصيته للناس، فقال رحمه الله:
"أنا سائح يطلب الحقيقة، وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس، ومواطن ينشد وطنه الكرامة والحرية والاستقرار والحياة الطيبة في ظل الإسلام الحنيف.. أنا متجرد أدرك سر وجوده، فنادى: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين".. هذا أنا فمن أنت؟؟؟!!!

***

- **أفاق الطريق ومراحله:**

لقد كان حسن البنا منذ الصبا صادقاً مع ربه، فكان بفضل الله عليه يعرف ما يريد، ويعرف سبيله إلى ما يريد.. وقد أجمل رحمه الله ما يريد في أكثر من مكان من رسائله، وكل ما ذكره فضيلته هو مما يفترض على كل مسلم أن يعمل له بقدر استطاعته، وهو ما لخصه في رسالته التعاليم في ركن "العمل" أحد أركان البيعة في دعوة "الإخوان المسلمون"..
يقول رضي الله عنه: "وأريد بالعمل:[4]
ثمرة العلم والإخلاص (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) [التوبة: 105]، ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق:
1- إصلاح نفسه:

---

[3] انظر "مذكرات الدعوة والداعية" ص 60/59/58.
[4] انظر "مجموعة رسائل الإمام الشهيد" ص 359 – 361 (نشر المؤسسة الإسلامية / بيروت – طبعة ثانية).

حتى يكون قوي الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادراً على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهداً لنفسه، حريصاً على وقته، منظماً في شئونه، نافعاً لغيره، وذلك واجب كل أخ على حدته.

2- وتكوين بيت مسلم:

بأن يحمل أهله على احترام فكرته، والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية، وحسن اختيار الزوجة، وتوقيفها على حقها وواجبها، وحسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام. وذلك واجب كل أخ على حدته كذلك.

3- وإرشاد المجتمع:

بنشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات، وتشجيع الفضائل، والأمر بالمعروف، والمبادرة إلى فعل الخير، وكسب الرأي العام إلى جانب الفكرة الإسلامية، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائماً، وذلك واجب كل أخ على حدته، وواجب الجماعة كهيئة عاملة.

4- وتحرير الوطن:

بتخليصه من كل سلطان أجنبي – غير إسلامي – سياسي أو اقتصادي أو روحي.

5- وإصلاح الحكومة:

حتى تكون إسلامية بحق، وبذلك تؤدي مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها، والحكومة إسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير متجاهرين بعصيان، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه..

ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة في غير مناصب الولاية العامة، ولا عبرة بالشكل الذي تتخذه ولا بالنوع، ما دام موافقاً للقواعد العامة في نظام الحكم الإسلامي.

ومن صفاتها: الشعور بالتبعة، والشفقة على الرعية، والعدالة بين الناس، والعفة عن المال العام، والاقتصاد فيه.

ومن واجباتها: صيانة الأمن، وإنفاذ القانون، ونشر التعليم، وإعداد القوة، وحفظ الصحة، ورعاية المنافع العامة، وتنمية الثروة وحراسة المال، وتقوية الأخلاق، ونشر الدعوة.

ومن حقها: (متى أدت واجباتها):

الولاء والطاعة والمساعدة بالنفس والمال.

فإذا قصرت: فالنصح والإرشاد، ثم الخلع والإبعاد، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

6- إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية:

بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافاتها وجمع كلمتها، حتى يؤدي ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة.

7- وأستاذية العالم:

بنشر دعوة الإسلام في ربوعه (حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) [الأنفال: 39]، (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) [التوبة: 32].

وهذه المراتب الأربعة الأخيرة تجب على الجماعة متحدة وعلى كل أخ باعتباره عضواً في الجماعة.

وما أثقلها تبعات، وما أعظمها مهمات، يراها الناس خيالاً، ويراها الأخ المسلم حقيقة. ولن نيأس أبداً، ولنا في الله أعظم الأمل (والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [يوسف: 21] أ. هـ.

حسن البنا... وبركة التوكل على الله

حين حصلت على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية في 1939 توجهت إلى القاهرة لأبحث عن عمل...

وكان مما تعودنا عليه نحن إخوان الأقاليم أننا إذا سافرنا إلى القاهرة لا تفوتنا فرصة زيارة الإخوان وفضيلة المرشد بالمركز العام إرواء لعاطفة الحب والأخوة في قلوبنا وأرواحنا.. وهناك كان الأستاذ يقابلنا ويبادلنا شوقاً بشوق وحباً بحب، ويسألنا عن أخبارنا وأحوالنا..

وفي هذه المرة، وبعد أن رحب بي، سألني عن سبب حضوري إلى القاهرة.

فقلت: تخرجت، وجئت لأبحث عن عمل.

قال: ألم تفكر في التطوع لمدرسة الصناعات الميكانيكية الحربية؟

قلت: إن خريجي المدارس الصناعية معفون من الخدمة في الجيش.

قال: لكن رسالتنا توجب علينا الخدمة في هذا الميدان.
قلت: ولكن ضعف نظري يعوقني، فربما لا أنجح في الكشف الطبي، حيث إن إحدى عيني عليها سحابة مزمنة.
قال: توكل على الله وأنت تنجح.
قلت: كيف أنجح في الكشف الطبي وإحدى عينيَّ ضعيفة؟!
قال: من أجل هذا، قلت لك توكل على الله، لأنه لو كانت عينك سليمة كنت ستتوكل على عينك.
فهزني هذا المعنى، وتذوقت له طعماً إيمانياً حلواً...
فتوجهت من فوري إلى مدرسة الصناعات الحربية بالعباسية مفعماً بمعاني التوكل على الله.. وقادني أحد الضباط مع بعض الزملاء إلى المستشفى العسكري وكلي ثقة وأمل في النجاح.. وجاءت النتيجة محققه لهذا الأمل، وثم التحاقي بالمدرسة، وأخذت حياتي مساراً جديداً لم يكن في الحسبان.
وحين اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية تعجلت وزارة الحربية تخرجنا لحاجة ميدان الحرب في الصحراء الغربية إلينا.. وكان(ضرب النار) من مواد التمرين والامتحان، وذهبت مع زملائي وكانوا حوالي مائة طالب إلى ساحة (ضرب النار) للامتحان وأنا أخشى الرسوب بسبب ضعف نظري، ولكن سرعان ما تذكرت كلمة الأستاذ (توكل على الله وأنت تنجح) التي سرعان ما انتشلني من بحر شكوكي وهواجسي وأخرجتني إلى شواطئ الثقة في الله والأمل في عونه تعالى، وتوجهت إلى تبة (ضرب النار) بكل اطمئنان واستعملت عيني الأخرى، ووقف (الصاغ حسين أحمد) قائد التبة ليعلن النتيجة العجيبة.. الفائز الأول هو عباس حسن السيسي!!..
وكم كانت هذه النتيجة مفاجأة مذهلة للذين يعرفون درجة إبصاري الضعيفة، ولكنهم لو عرفوا أنها حقيقة التوكل على الله لما هالتهم المفاجأة..
.. وهكذا وعيت الدرس، واستوعبت نفسي حقيقته.
.. وظلت (توكل على الله) حقيقة مشفوعة بهذه الأحداث في حياتي، عقيدة ثابتة تلازمني في كل المواقف الصعبة التي واجهتها، أتذكرها بعمق وثقة، فتلهمني الأمل والاطمئنان والصبر والثبات.
لقد تعلمنا من حسن البنا حقيقة التوكل، على أنه بذل الجهد في حدود الطاقة البشرية، ثم ترك التدبير إلى من بيده التدبير، لقد كان هذا الفهم مفتاح كل خير وبركة ووقاية من كل شر.
بهذا الفهم قامت تربية حسن البنا، فالتوكل من لوازم كمال الإيمان.. بهذا انطلق الإخوان المسلمون يجاهدون لإعلاء كلمة الله بعزيمة وإصرار حتى ولو اجتمعت عليهم كل قوى الباطل (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) [آل عمران: 173].. لقد بصرهم مرشدهم بحقيقة التوكل في شريعة الله، على أنه إدراك للمسئولية والواجب وعمل جاد مخلص يحمله أمناء بررة، ثم هم بعد ذلك يفوضون الأمر إلى الله، يرضون بقضائه وقدره.
.. بهذا الفهم الصحيح للتوكل اندفع الإخوان متأسين بالمسلمين الأوائل، الذين لم يعللوا أنفسهم بالأماني، ولم ينتظروا أن ينصرهم الله بطريقة سحرية غامضة الأسباب!! فظهر منهم من روائع الأعمال، من صبر عند الشدائد، وصدق عند اللقاء، وبذل وتضحية عندما تتطلب أمور المسلمين البذل والتضحية، وسعي دائب في طلب المعاش مع إيمان راسخ ويقين لا يزعزعه شك بأن الرزق بيد الله لا بيد أحد سواه، وضربوا في الأرض يفتحون البلدان ويعمرونها، ويزيحون عن الطريق أعداء الله وأعداء الإنسانية، وكان العمل الدائب المستمر على أساس من الكفاية التامة في كل ناحية من نواحي الحياة (اقتصادية وسياسية واجتماعية)، فنحوا بالعالم نحواً جديداً لا مكان فيه للأهواء والأغراض والعصبيات ولا مجال فيه للأثرة والأنانية، ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جبين التاريخ.
لقد علمنا رضي الله عنه أن مدلول التوكل لا بد أن يقوم على فهم عميق لهذا الدين، وأن الله سبحانه يساعد من يجاهد للهدى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) [العنكبوت: 69]، وأنه يغير حال الناس حين يغيرون ما بأنفسهم (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد: 11]، فهناك علاقة لا تنفك بين الجهد البشري الذي يبذله الناس وعون الله ومدده الذي يسعفهم به..
علمنا أن إرادة الله هي الفاعلة، وبدونها لا يبلغ الإنسان بذاته شيئاً، ولكن هذه الإرادة تعين من يعرف طريقها، ويطلبها ويجاهد في الله ليبلغ رضاه..
لقد ارتبط هذا الفهم لمعنى التوكل ارتباطاً وثيقاً بقوة الدولة الإسلامية وعظمتها وتبوئها مكان الصدارة بالنسبة لدول الأرض وشعوبها. كما ارتبط انحطاط الدولة الإسلامية بعد ذلك وارتكاسها وانزلاقها إلى هذه الهاوية وتخلفها في شتى الميادين بالتواكل وفقدان الوعي الناجم عن عدم إدراك طبيعة هذا الدين الذي لا ينتصر في دنيا الناس ويهيمن منهجه على حياتهم إلا بما تبذله الفئة المؤمنة في سبيله من جهد..

إن خضوع شعوب الأمة الإسلامية للكافرين، واستجابتها لكل دعوة ليست من دينها، وسكوتها عن كل انتقاص من كرامتها حتى ذاقت كل ضيم ورضيت بكل هوان، واشتوى عندها الناصح والغاش، فسيقت إلى حتفها وهلاكها وهي راكنة إلى الذين ظلموها، بل ومستسلمة إلى الذين خانوها.. إن ذلك كله قد حدث بسبب سيطرة فهم فاسد لمعنى القضاء والقدر على العقول في عصور التخلف والظلام..

لقد كان تحول المسلمين من الجهاد والعمل المخلص الجاد والتوكل على الله إلى الدعة والتواكل والاستسلام، وتحول ما كان عندهم واجباً من الدين من علم إلى شيء محظور فيه هو علة تحول قيادة البشرية عنهم في العصور الحديثة إلى غيرهم من أمم الكفر..

بين اليأس والأمل

هكذا علمنا حسن البنا، وهكذا حرص في تربيته لنا على أن يجنبنا السلبية والتواكل أو الاستسلام والتشاؤم، وفتح لنا مجالات العمل لنصرف فيها طاقاتنا ونبذل جهودنا.. لقد حارب في نفوسنا كل نزوع إلى اليأس، وطارد أشباح الهزيمة والاستسلام لكي لا تساكن قلوبنا وأرواحنا بما كان يهتف به في روعنا من قول الحق تبارك وتعالى: (ولا تيأسوا من رَّوح الله إنه لا ييأس من رَّوح الله إلا القوم الكافرون) [يوسف: 87].. ثم يقول:[5]

لا أتصور مؤمنا بالله والقرآن يجد اليأس إلى قلبه سبيلاً، مهما أظلمت أمامه الخطوب واشتدت عليه وطأة الحوادث، ووضعت في طريقه العقبات.

إن القرآن ليضعه في مرتبة الكفر، ويقرن القنوط بالضلال، (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) [الحجر: 56].

وإن القرآن ليقرره ناموساً كونياً لا يتبدل، ونظاماً ربانياً لا يتغير، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً، إن الأيام دول بين الناس، وأن القوي لن يستمر على قوته أبد الدهر والضعيف لن يدوم عليه ضعفه مدى الحياة، ولكنها أدوار وأطوار تعترض الأمم والشعوب كما تعترض الآحاد والأفراد: (وتلك الأيام نداولها بين الناس) [آل عمران: 140].

حسن البنا.. وحرارة العاطفة ورقة الشعور

- **في العيد...**

بعد أن أدى الأستاذ المرشد صلاة العيد توجه إلى دار المركز العام القديم بالحلمية الجديدة، وتوافد الإخوان لتهنئة فضيلته بالعيد، وجلست في زاوية من الحجرة الفسيحة أرقبه.. فكان – رحمه الله – يستقبل كل أخ مسلّماً عليه باسمه أو بكنيته بحرارة وابتسامة مشرقة، ثم يشير إليه ليجلس، ثم يتابعه بالسؤال عن صحته والاستفسار عن أحواله الشخصية التي كان يعرف الكثير منها حيث كان موضع ثقة الإخوان ومشورتهم. ودخل عليه أحد الإخوان فسلم عليه وهنأه بالعيد ثم قال له: لعل الأمر قد انتهى بخير والأخ الطيب قد وفقه الله، فقال الأخ: ببركة دعواتكم يا فضيلة المرشد.. وكانت هذه الكلمات مدعاة ليسأل بعض الإخوة أخاهم هذا عن الموضوع وهي مشاركة أخوية واجبة تفرضها آداب الإسلام وأخلاقه، فتبسم قائلاً: الموضوع أن فضيلة المرشد كان عندنا يف البلد وكانت عندي جاموسة متعسرة في الولادة، فلما علم بذلك نصحني بإحضار طبيب لإنقاذها.

وتحدث أحد الإخوة من الحاضرين فطلب من الأستاذ المرشد أن يتصل بوزير الأوقاف لمساعدته في بناء مسجد بالبلد.. فرد عليه فضيلته: طبعاً يستحسن أن نتصل به أولاً والآن لتهنئته بالعيد وبعد العيد نتحدث معه في هذا الموضوع.

ثم دخل بعد ذلك أحد الإخوة ومعه طفلان، فاستقبله الأستاذ المرشد أحسن استقبال ثم قبل الطفلين وأجلس كل طفل منهما عن ناحية بجواره ودق الجرس، فحضر الأستاذ أنس الحجاجي فهمس في أذنه بكلمات وانصرف ثم عاد بعد قليل ومعه قطعتان من الشيكولاته فأعطى الأستاذ المرشد كل طفل منهما واحدة.

وبعد فترة ضاقت الحجرة بالإخوان الذين حضروا للتهنئة فنزلوا إلى فناء المركز العام ولحق بنا الأستاذ المرشد وشاركنا الحديث وأجاب عن بعض الأسئلة.. وبينما نحن كذلك إذا بعزيز باشا المصري يدخل علينا ويحيينا ويهنئنا بالعيد ثم يصعد إلى الدور العلوي، وظل الأستاذ على حاله معنا يبادلنا أطراف الحديث، وبعد قليل جاء الإستاذ أنس يخبر فضيلته برغبة عزيز باشا في مقابلته، فاستأذن فضيلته قائلاً: هل تسمحون لي؟

وبعد المقابلة التي لم تظل كثيراً عاد إلينا واستأنف حديثه معنا.. وبعد صلاة الظهر انصرفنا وعاد فضيلته إلى منزله في أمان الله.

... وهكذا كان الإمام الشهيد يعيش بين الإخوان بكل حواسه ومشاعره وكله حركة وحياة ويقظة.

---

[5] عن كتاب "منبر الجمعة للإمام البنا" – إعداد وتقديم محمد عبد الحكيم خيال – نشر دار الدعوة بالإسكندرية ص 111.

- **دموع..**

كتب أحد الإخوان يصف رقة قلب الإمام وحساسيته الشديدة وعواطفه الجياشة، يقول:
.. دخلت عليه، فقابلني بالبشر والترحاب، وقال: ستسافر بمشيئة الله يوم الثلاثاء للسودان..
فقلت على الفور: أمر مطاع يا فضيلة الأستاذ.. وأردت أن أنصرف، ثم التفت إليه فجأة وقلت: ولكن يا فضيلة الأستاذ؟!
قال رحمه الله: ولكن ماذا؟
قلت: إن لي مشاكل كثيرة وشكاوى وفيرة، أود أن أتحدث إليكم فيها بعضها عام وبعضها خاص.
فقال: هوِّن عليك، وكل أمرك إلى الله...
قلت: ولكني أود أن تعرف...
فقال: إنني أعرف...
قلت: إذن أنا أسعد ما أكون، ما دمت تعرف..
ولكنه استبقاني، وأخذ يتحدث عن مشاكلي وشكاواي يتحدث هو بنفسه لنفسه.. عجبت والله كل العجب، لأنه أحاط بدقائق نفسي ودخائل حسي، بل إن هناك مسائل كانت في باطن الشعور، هو الذي ذكرني بها.. وما إن انتهى من حديثه حتى قلت: والله يا فضيلة الأستاذ، إني سعيد كل السعادة ولا أشكو من شيء أبداً.. قلت ذلك وصوتي متهدج ودموعي منهمرة وأحاسيسي متدفقة، ثم هجمت عليه، وكان واقفاً ولا شيء على رأسه.. هجمت عليه واحتضنته بين ذراعي في شدة وعنف وأخذت أقبل رأسه.. واستمر هذا الموقف فترة من الزمن، وهو صامت مستسلم، ولم أتركه إلا حين دخل علينا الأخ الأستاذ سعد الوليلي، وإذا بالأستاذ يبكي لبكائي وعيناه مليئتان بالدموع.
وكثيراً ما كان هذا الباطل القوي يبكي بدموع غزار، وإني لأذكر في ذلك اليوم أن تسلم وهو بدار "الشهاب" برقية من والد أحد الشهداء في فلسطين، رداً على برقية من فضيلة الأستاذ له، وكانت برقية والد الشهيد برقية مؤثرة فيها تضحية وفدائية واستبسال.. بكى الأستاذ كثيراً، وبكى الحاضرون، وكانت لحظات من الحساسية المرهفة والشعور العميق!! وهذه لمحة خاطفة على كل حال للذكرى والتبصرة..
ومع قصة دموع هذا القائد العظيم يروي أحد الإخوان هذا المشهد، فيقول:
عرضت على فضيلة المرشد ذات يوم خطاباً من أحد الإخوان، وكان بين عدة خطابات وأوراق قدمتها إليه، وغفلت لحظة أنظر إلى من بالغرفة، وإذا بي أرى دمعات كبيرة تتساقط على الخطاب.. ودهشت، لقد كنت قرأت الخطاب قبل ذلك، ولكنه لم يثر في نفسي ما أثاره في نفس هذا الرجل الكبير...!؟
كنت أعرف أن المرسل بعث بمبلغ أربعة جنيهات للجماعة، فماذا في هذا من عجب، في الوقت الذي كانت هناك مئات الجنيهات تتقاطر علينا!!
... ولكنه هو – القائد – قد أثاره ما لم يثرني.
كتب الأخ صاحب الرسالة يقول: اكتتب كثيرون في أسهم جريدة "الإخوان"، ثم تنازلوا عنها عندما ناديت فضيلتكم بأن يتنازلوا عنها.. ولما كنت راغباً في أن أشارك في هذه التضحية، ولم يكن لي شرف المساهمة لضيق ذات يدي، فقد أرسلت لكم نصف مرتبي الشهري وهو قيمة ثمن سهم أتنازل عنه.
وقال الإمام الشهيد معلقاً: بمثل هؤلاء وبهذه النقود القليلة تنتصر الدعوة.

***

ومع قصة دموع هذا القائد نمضي لنسمع ما يرويه آخ آخر... يقول:
في أوائل 1937 م بدأ تقسيم الإخوان إلى عشرات نتيجة لشدة إقبال الشباب على الدعوة.. وكان المركز العام قد انتقل إلى عمارة الأوقاف بميدان العتبة الخضراء..
وجاء الإمام الشهيد وبايعنا على العمل بعد أن حدثنا عن أعباء الدعوة وتبعاتها الثقيلة التي تخلى عنها الناس وحملها الإخوان... وانتهى الإمام من أخذ البيعة منا، ثم رفع رأسه إلى السماء ورأيت الدموع في عينيه وكان لها – ولا يزال – في نفسي أثر هزها من أعماقها..
لقد كانت صورة القادة في ذهني هي صور زعمائنا السياسيين في ضجيجهم ومظاهرهم.. ولكني الآن أرى طرازاً عجيباً من القادة، لقد كان أمر هذا القائد في نفسي غريباً.. نفس كبيرة، وقلب رقيق وشعور مرهف، وسألت نفسي يومئذ: لماذا يبكي هذا الرجل؟!
ولا زلت رغم مضي السنين وتعاقب الأحداث أذكر حجرة في المركز العام ونحن جلوس متقابلون ووسطنا فضيلة المرشد وصوته يسري في سكون الليل يأخذ بيعة الطلاب على العمل من أجل الدعوة.

ولا زلت أتمثله وقد رفع رأسه وذرفت عيناه.. وهناك في الحياة دموع كثيرة ترسلها الأعين لأغراض شتى أسماها الباكية من خشية الله.. هذه الأعين لا ترسل دمعها إلى الأرض وإنما هي دموع تتلقاها القلوب فيكون منها امتداد لشجرات الإيمان..

- **لا تميز...**

.. وجاءنا الأستاذ المرشد في زيارة بالإسكندرية في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك، وكان معه وفد من إخوان السودان، وبعد أن حضروا مؤتمراً شعبياً في حي باكوس، عاد الأستاذ إلى دار المكتب الإداري قبيل منتصف الليل، وأوصاني أن أوقظه قبيل الفجر لتناول السحور ولم ينم إلا بعد فترة طويلة قضاها في حجرته يصلي القيام.

وحضرت مجموعة من الإخوان لتصلي مع فضيلته الفجر وتتناول معه السحور، وأحضرت له طعاماً فاخراً، فلما اجتمع الإخوان على الطعام، قال لي: هل كل الإخوان سيأكلون مثل طعامي هذا؟ فقلت له: كل واحد حضر ومعه طعامه، فقال: سآكل من طعامهم، ورفض الطعام الفاخر فوزعناه على الإخوان.

ولما دخلنا مسجد الدار وجد الأحذية خارج المصلى بدون تنظيم، فقال مداعباً: ألستم في أسر؟ قلنا: بلى، فقال: فلماذا لم تجعلوا أحذيتكم على شكل أسر؟

وبعد الصلاة تلونا المأثورات، وعند شروق الشمس حضر الأستاذ المستشار منير دله رحمه الله بسيارته، فقد كان على موعد مع فضيلته للعودة إلى القاهرة، وعند باب المنزل وقبل أن يركب السيارة سألني عن بواب العمارة، فقلت: إنه نائم، فأعطاني له صدقة وأوصاني أن أبلغه السلام..

- **حديث الثلاثاء...**

كان حديث الثلاثاء أو كما كان يحلو لفضيلة المرشد "عاطفة الثلاثاء".. وكان هذا الحديث عجباً من العجب الذي أحاط بهذا الرجل.

من جميع أنحاء القاهرة، يتجمع يوم الثلاثاء من كل أسبوع بالمركز العام الإخوان وغير الإخوان، ويقف الرجل في لباسه الأبيض الشفاف والعباءة البيضاء والوجه الوضاء واللحية المرسلة، يتحدث في موضوع يختاره لا على سبيل المحاضرة، ولكن على سبيل الحديث المرسل..

كان هذا الحديث عجباً.. كان كل أخ له مشكلة أو مسألة أو قضية يذهب إلى هذا اللقاء المبارك ليعود إلى بيته وقد حلت مشكلته.

في هذا اللقاء الأسبوعي، كان التكافل الإسلامي يتحول عند الإمام البنا إلى عملية "تآخ" فعال.. وهي عملية جوهرية بها يصبح الإنسان "أخاً مسلماً" بتأثير الآية القرآنية حيث كانت تصدر من هذا القائد بنفس الشروط النفسية التي كانت في عمل النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من قبل.. هذه العملية كانت من نبع الحق وفيضه، وهو السر الذي أشرق في مجتمع مكة الممزق، فآخى بين بلال "العبد" وأبي بكر "السيد" وجعلهما أخوين لا يحول بين روحيهما وحبهما في الله حائل.

ونسوق فيما يلي جزءاً من حديث لفضيلته في هذا اللقاء الروحي العظيم، حيث يؤكد فيه على رابطة القلوب بين المسلمين.. يقول:

(قلت لكم دائماً وأكرر هذا القول ليثبت في الأذهان أنهما نعمتان لا تشتريان بمال ولا تنالان بحيلة أو مجهود ولكنهما منحة من الله لعبادة يقذفهما في قلب من يشاء منهم.. هاتان النعمتان هما (الإيمان والحب)...

أكرر لكم هذا المعنى.. أردت أن أذكركم بهذه الحقيقة، حقيقة الإخاء الذي يجمعنا على الإيمان بعقيدة المناداة بكتاب الله كنظام أساسي للحكم ولصلاح العالم.. وما يستتبعه هذا الإخاء من شعور الحب نحو المجتمعين على هذه الغاية السامية الكريمة المرتبطين بها.

هذه الحقيقة يجب أن نؤمن بها ونذيعها في الناس ونطبقها على أنفسنا أولا كإخوان مسلمين فلا نشعر نحو مسلم إلا بالحب والإخاء، ولا نفتح باب الشر بالخصومة والفرقة والانقسام، والنتيجة من هذا كله أن كل مسلم أخ لنا، لأننا جميعاً إخوة نعمل في الميدان الإسلامي العام، وإذا لم يرع الناس هذا فسنرعاه نحن من جانبنا، لأننا مقيدون بما نقول وبما ندعو إليه الناس، إننا دعاة مبادئ فلنتمسك بها، ولا أقبل منكم أيها الإخوان تهاوناً أو تفريطاً في هذا المبدأ. فزنوا صلاتكم (وعلاقاتكم) بهذا الميزان، ولا يستخفنكم الغضب للنفس، واقبلوا النصيحة من المسلم، ما كان حقاً فخذوه وإلا فاستمسكوا بمبدئكم، إن أعداءنا وخصومنا هم الكافرون الذين ينشرون الأباطيل بيننا، ويغيرون على أوطاننا وحرياتنا ويضمرون الشر لنا ويريدون أن يتفرق المسلمون وينقسموا (ولا تقوم لهم وحدة وكيان).

فإذا عرفتم هذا فاعلموا أن هؤلاء الذين يتحدونكم لعلهم يقولون ما يقولون فيكم بدافع الغيرة والحرص على سلامة الدين وسلامة المجتمع الإسلامي من وجهة نظرهم.

قد يكون أسلوبهم هذا خاطئاً، وفكرتهم فيها غلو وشطط ولكن الدفاع كريم والمقصد حسن، فإذا تحققتم من براءة النية فتقبلوا النصح أو ناقشوه.. وقد يكون الخلاف في الوسيلة، فهم يمسكون الحبل مع أحد طرفيه مثلا بينما غيرهم يرى رأس الحكمة في أن يمسك الحبل من الوسط حتى لا يميد في يده، ولكن مع هذا فتعرفوا المقصد، فإن كان خيراً فلا تتهموه وتفاهموا مع صاحب الرأي في رأيه، فإذا لم يقتنع فقولوا له – ما دام صادق النية محباً للخير - : إن الحكم بيننا وبينك في الفصل في هذا الخلاف هو (إمام).. فتعال (للإمام – يفصل بيننا -).. وليس للمسلمين الآن (إمام)، فتعال ننسى كل شيء الآن، ونعطل كل شيء أمام القضية الكبرى. قضية تحرير الأرض الإسلامية، فلنجعل هذه غايتنا الأولى، حتى نستطيع أن تأتم بحكم الله ونفصل في هذه الخلافات، فبدون هذه الحكومة الإسلامية التي تحمي شرع الله، فلا نظام للمسلمين ولا أحكام!

- **أدب..**

كان من أدب الإخوان بالقاهرة إذا أراد أحدهم أن يسافر إلى بلدته استأذن في ذلك من الأستاذ المرشد رحمه الله، فضلاً عن أنه إذا كانت هناك رسالة أو مهمة كلفه بها.

وذات يوم حضر الأخ الحاج عبد الرزاق هويدي يستأذن في السفر إلى بلدته، فلما سأله فضيلة المرشد عن سفره المفاجئ أخبره أن جده مريض ويريد أن يعوده، فدعا له فضيلته وطلب من الحاج عبد الرزاق أن يبلغ جده خالص تمنياته له بالشفاء.

وفي اليوم التالي فوجئت عائلة هويدي بالأستاذ المرشد يحضر لزيارة جدهم الكبير، وكانت مفاجأة أثارت اهتمام العائلة جميعاً فأسرعت ترحب بمقدمه، وشباب عائلة هويدي لهم ميول سياسية متباينة فمنهم الوفدي ومنهم السعدي، وحول سرير الجد الكبير دارت بعض الأحاديث الخفيفة، وتكلم الجد بكلمات ترحيب وشكر للأستاذ المرشد، ونوه بفضل الإخوان في أنهم جعلوا الحاج عبد الرزاق شخصية إسلامية مؤمنة.. ورد الأستاذ المرشد، فقال له إنه لأفضل للإخوان في ذلك، فالإخوان والحمد لله يرزقون من كل عائلة كريمة بمن يمثلهم في هذه العائلة.

ونزلت هذه الكلمات الرقيقة الواعية على قلوب الجميع برداً وسلاماً، وتذوقوا فيها قيمة الدعوة والداعية.

وأذكر يوم توفى إلى رحمة الله والد أحد الإخوان الفضلاء في أسيوط.. وكان هذا الأخ على خلاف مع الإخوان منذ سنين ولم يحاول الاتصال بهم.

وبمجرد أن علم فضيلة المرشد بهذا انتقل بسرعة من القاهرة إلى بلدة هذا الأخ ناسياً كل خلاف.

وحين وصل فضيلته استقبل هناك أحسن استقبال، وحين جاء وقت صلاة العصر توجهت جموع المعزين إلى المسجد، وبعد أداء الصلاة طلب المصلون من فضيلة المرشد أن يلقي عليهم موعظة فوقف فضيلته وشكرهم وقال: لقد أتيت معزياً ولم آت داعياً..

وكانت هذه الكلمات المخلصة الكبيرة المعنى أعظم دعوة[6]. وعاد الأخ إلى صفوف الإخوان راضياً مرضياً وزالت الجفوة.

- **نقاتل أعداءنا بالحب..**

لعل مما يزعجنا الآن أن نلحظ أن بعض المتصدرين للدعوة للإسلام عصبيون لم يهضموا بعد أدب الاختلاف، ويضيقون صدراً بالرأي المخالف مسبغين عليه التقريع بل السباب بل التكفير أحياناً في غير كفر – والعياذ بالله – وأضرب مثلاً مقابلاً حين جاء إلى الأستاذ "البنا" أحد زملائه خريجي دار العلوم هو الأستاذ "س. سعد"، وهو من أورع الناس وأتقاهم ولكنه غضب كل الغضب لأن الإخوان قد أنشأت فرقاً للجوالة والكشافة (تلبس البنطلون القصير).. قال الأستاذ "س. سعد": "يا حسن افندي، فأجاب: "نعم سيدي"، قال: "إني أكرهك"، فابتسم حسن البنا وقال في هدوء وبشاشة: "وإني والله أحبك"، فقال الرجل: "ولكني أكرهك في الله"، وبالبشاشة نفسها والهدوء أجاب حسن مخلصاً: "هذا يزيدني حبا فيك"، ولم يكن ذلك مصانعة وإنما كان الرجل يقتات على المحبة.. وكان من الاصطلاحات الشائعة جداً على ألسنة أتباعة "المهم: الحب في الله".. وكان يردد في دروسه (سنقاتل الناس بالحب) بل كانت البيعة التي صاغها لهم أن يعاهدوا الله على "الاستقامة، والمحبة، والثبات على الدعوة"، كان يرى تعدد الآراء إثراء لأي مجتمع، وكان يضرب المثل بكبار الصحابة من حول الرسول صلى الله عليه وسلم، يكون لأبي بكر رأي ولعمر رأي ولعلي رأي دون أن يؤدي الاختلاف إلى تلك الحالقة التي تحلق الدين الا الشعر، ومن تعاليم الأستاذ "البنا" التي طالما رددها بلا ملل قولته المشهورة التي لا تزال حية إلى اليوم: "نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"، ولا نزال إلى الآن أفرادا وجماعات ودولا في حاجة لهذا الهدى، وكان في الأربعينيات عضوا ناشطا في جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية من سنة وشيعة، مؤمناً بأن الأرضية الإسلامية المشتركة تتسع بل تحتاج لتضافر الجهود كلها ويبقى كل على معتقده، وها نحن هؤلاء اليوم نكاد نعيش حالة

---

[6] انظر كتابنا "الدعوة إلى الله حب".

أشبه بانشطار الذرة، نفترق على الفروع قبل أن نلتقي على الأصول، وتصرفنا مسائل المظاهر والكماليات عن التنبيه لخطط تدبر لاستئصال شأفة الإسلام من الأرض لم يعد أمرها سراً ولا إشاعة، ونلتقط في شغف ونهم هذه الطعوم التي تلقي بها في طريقنا أجهزة مخابرات دائبة على تشجيع كل جهد مقروء أو مسموع مخلص أو غير مخلص يكون من ورائه أن يظل بأس المسلمين بينهم وألا يكونوا يداً على من عداهم[7].

- **صراخ الأطفال..**

في محنة الإخوان في نهاية 1948 م، وفي الفترة التي قضاها قبل استشهاده في فبراير 1949 م.. كان هدف الإمام هو إخراج المعتقلين، فتركزت كل جهوده ومساعيه حول تحقيق هذا الهدف، لقد بلغت المأساة في ضميره ذروتها.. مأساة البيوت التي فقدت من يعولها وفقدت الأمن والسعادة والطمأنينة.. لن يستريح باله ولن تقر نفسه المعذبة ولن يهدأ قلبه الأسيف الحزين، ولن يتوقف ما يسمعه من صراخ أطفال المعتقلين يدوي في أذنيه حتى يرى آباءهم قد أفرج عنهم وعادوا سالمين إلى بيوتهم.. هكذا يروي عن حاله في هذه الفترة المظلمة من تاريخ مصر..

قالوا له: لقد اعتقلوهم جميعاً وتركوك! فما هي الحكمة؟.. إنه من الخير أن تخرج إلى سوريا أو الحجاز أو باكستان فرفض وقال: هذا هو الجبن، كيف أترك هؤلاء في المعتقلات ولا أسعى لإخراجهم!

وكتب له الإخوان من المعتقل يقولون: دعك من أمرنا، وخذ الطريق الذي تراه.. لكنه أصر على أن يخرج هؤلاء حتى يستريح..

وقال له بعض المتحمسين: ألا ترى أنهم قد حاربونا، أعنف الحرب فحطموا بناء عشرين عاماً.. صودرت الأموال وحلت الشركات، وأغلقت الشعب والمركز العام، واعتقل الإخوان بالآلاف، أليس هذا موعد الآية: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) [الحج: 39]؟!

لقد كان في استطاعته أن يعلنها حرباً ويشعلها ناراً تحرق الطغاة والظلمة والعملاء، وكان لديه من القوة ما يمكنه من دك بنيانهم من القواعد.. ولكن بماذا أجاب على هؤلاء المتحمسين؟

قال: لن أكون داعية فتنة، ولن آمر بمنكر.. ولن أغضب لشخصي، ولن أنتقم لنفسي، ولما سمع بمقتل النقراشي جزع وأسف..

- **في منزل الأستاذ مصطفى مشهور:**

يجهل كثير من الناس الحقائق والدوافع التي هي سر اليقظة والحيوية في الإنسان المسلم، وينظرون دائماً إلى الأشكال والمظاهر ولا يغوصون ولا يستلهمون ما وراء ذلك..

ولقد كان لحياتنا بعض الوقت مع الإمام حسن البنا رحمه الله طبيعة معينة لم نكن ندرك تماماً روعتها إلا بعد أن فقدنا وجوده بيننا، ولم ندرك هذه الحقيقة إلا بعد أن قست علينا المحن ونأت بنا عن هذه المعايشة، لقد كان حسن البنا روحا كبيرة فسيحة تملأ كل الفراغ كما يملأ الهواء كل الأجواء، وكان الحضور معه يعني أن تعيش مغموراً في بحر السعادة والنور.. فهو يتعامل معك كأنك وحدك المقصود بكل عواطفه ومشاعره، وليست هذه العاطفة منه مجاملة أو ترضية، ولكنها عاطفة حقيقية صادقة عميقة رقيقة تجيش بالحب، والأمثلة على ذلك كثيرة:

أذكر منها ما أحسسته بنفسي وشعوري، كان ذلك في منزل الأخ الأستاذ مصطفى مشهور في شارع زين العابدين بمحرم بك بالإسكندرية عام 1945، وهناك وجدت مجموعة من الإخوة قد سبقوني، وبعد لحظات وصل إلى المنزل فضيلة المرشد حسن البنا وكانت مفاجأة سارة.. جلس يتحدث معنا في تطورات الدعوة وواجبنا نحوها بروح لطيفة مؤنسة وتحدث عن أمله في الشباب وثقته بإيمانهم.. وكانت لحظات واستأذن للخروج.. وقمنا لوداعه، وكان عناقاً حاراً مؤثراً أبلغ وأعطر وأزكى ما فيه تلك الدموع التي تساقطت من عينيه..

ويا لها من لحظات في حياتنا.. لا تنسى أبداً.

- **وداع..**

تطوع شباب الإخوان المسلمون لقتال اليهود على أرض فلسطين الإسلامية، وكان قد تقرر نقلي من سلاح الصيانة في مرسي مطروح للعمل مع القوات المسلحة في غزة، وذهبت إلى القاهرة لأودع الأستاذ رحمه الله..

وهناك في دار المركز العام دعاني إلى لقائه في حجرة في الدور العلوي، وجلس معي على انفراد في حديث الوالد يغمرني بعاطفة حلوة ندية، كأنه لقاء الوداع.. كان يستشعر أنني ربما يكتب الله لي الشهادة في هذه المعركة، لهذا طلب مني أن

---

[7] عن مجلة "الأمة" عدد 55 سنة 1405 هـ، مقال للدكتور حسان حتحوت "حسن البنا رحمه الله".

أسجل عن نفسي بعض المعلومات التي قد تفيد النشر إذا قدر الله لي أن أكون في سجل الشهداء، ثم وقف يودعني بنفس الحرارة ونفس العاطفة وظل يراقبني حتى غبت عن ناظريه ولسانه في دعاء وقلبه في رجاء.
تلك هي القيادة التي توالي الجنود بصدق الحب والحدب وبهذا يتكون الجنود الذين يسمعون ويطيعون القيادة بكل الإيمان والثقة والتجرد.
وحين استشهدت أول كوكبة من شباب الإخوان المسلمون في معركة دير البلح بفلسطين في مايو 1948م، خرجت جريدة الإخوان المسلمون اليومية وقد صدرت صفحتها الأولى بإطار أخضر[8] يضم تعريفا زود بالصور الفوتوغرافية لاثني عشر شهيداً، وكتب الإمام حسن البنا يقول هذا المعنى:
هؤلاء الإخوان قد أحسنوا صناعة الموت واختاروا الموتة المطهرة، التي طالما هتفوا بها، لقد صدقوا الله فصدقهم الله.. لقد عجبت كيف يحزن عليهم بعض الناس، مع أن الشهداء هم الذين فروا إلى الله تعالى رغبة وفرحا للقائه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [آل عمران: 169-170].

- **ترحيب بمسيحي..**

دعا قسم العمال للإخوان المسلمون بالقاهرة إلى مؤتمر عمالي كبير ينعقد في المركز العام..
وحين بدأ المؤتمر تعالت هتافات "الله أكبر ولله الحمد.." لحضور الأستاذ حسن البنا، وبعد أن ألقى كلمته وأعلنت القرارات بواسطة الأخ الأستاذ عمر غانم رئيس قسم العمال، وبدأ المجتمعون ينصرفون وهم يسلمون على فضيلة المرشد، ولوحظ أن الأستاذ يسلم على أحد العمال ويذكره باسمه، فاندهش الإخوان لهذه المفاجأة فقد تبين لهم أن هذا العامل مسيحي، ثم عرفوا أنه أحد تلاميذ الأستاذ البنا في مدرسة عباس الابتدائية في السبتية بالقاهرة منذ أكثر من عشر سنوات!!
ولقد قرأت للأستاذ إحسان عبد القدوس في إحدى كلماته في مجلة "روز اليوسف" التي تصدر في القاهرة، يقول إنه كان يعرف في أيام الحرب العالمية الثانية جنرالا في الجيش البريطاني يمتاز بذاكرة حادة وخاصة في حفظ الأسماء، ولكنه حين عرف الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمون انبهر بذاكرته النادرة وخاصة في حفظ الأسماء والتي لم يعد يقارن بينها وبين غيرها.
والواقع أن هذه الصفة العظيمة في الأستاذ البنا هي من أساسيات الدعوة والتربية وتجميع العناصر المسلمة على رابطة الألفة والحب، بل لقد كان رحمه الله شديد الحرص على أن يصحب معه في رحلاته بعض الإخوة من بلاد مختلفة كي يعقد بينهم صلة تعارف ومودة تتوثق وتزداد عمقاً بعد ذلك بالزيارات والرحلات والمخيمات..
وكتب الأستاذ صبري أبو المجد في مجلة "المصور" المصرية بالعدد 3016 في 30 يوليو 1982 يقول:
عرفت الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمون – طيب الله ثراه – في صباي المبكر وكانت دعوة "الإخوان المسلمون" وقتئذ لا تزال في بداية ظهورها وانتشارها، وكنت وقتئذ أرتاد المجتمعات السياسية والدينية، عرفته خطيباً لا يجد المستمعون في كلامه إلا نبرة الصدق وقوة الإيمان.
وكان الشيخ حسن البنا رحمه الله يخصني – كصبي – برعايته وعنايته واهتمامه، ويحلو له بين حين وآخر أن يدخل معي في جدل ومناقشة ربما ليعرف على الأقل ماذا كان يدور في أذهاننا نحن الصبيان، وقد كان في مقدمة ما يتميز به الشيخ البنا قوة إيمان وقوة ذاكرة لم أجدهما معاً حتى كتابة هذه السطور في إنسان ما. كان – مثلاً – يقابل أحدهم مقابلة عرضية في شارع أو في أجزخانة أو في مدرسة أو حتى في مجتمع يتحدث معه يستمع إليه يعرف اسمه وتمضي سنوات ثلاث أو أربع أو خمس بل أكثر ويلتقي الشيخ بذلك الرجل، فيذكر له إسمه ويتذكر وإياه موعد اللقاء والحديث الذي درا بينهما..
وعندما اغتيل الشيخ حسن البنا إثر خروجه من مبنى المركز العام للشبان المسلمين بعد أن استدرج إليه، وأطلق عليه الرصاص زحف على بطنه بضعة أمتار حتى عاد إلى المبنى، وقام بنفسه بطلب الإسعاف من تليفون المركز العام للشبان المسلمين.. أية قوة هائلة تلك التي تدفع رجلاً أصيب بكل تلك الرصاصات القاتلة لكي يزحف على بطنه لكي يجاهد للوصول إلى جهاز التليفون.. ثم أية قوة ذاكرة تجعله في هذه الظروف كلها يتذكر رقم تليفون الإسعاف ويطلبها بنفسه!!.

- **مع سماحة مفتي فلسطين..**

روى لي الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمون في الأردن..
أنه في إحدى زياراته لسماحة محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين، جاء ذكر الشيخ حسن البنا، فقال سماحة المفتي: إنه قد تأثر كثيراً بشخصية الأستاذ البنا، وقص عليه هذه القصة..

---

[8] وفي هذا مخالفة لما جرت عليه عادة الصحف في استخدام اللون الأسود الذي يدل على الحزن.

ذات يوم زاره حسن البنا وجلس إلى جواره وتجاذبا أطراف الحديث، وبعد برهة من الوقت جاء ضيف، فتخلى حسن البنا عن مكانه بجواري.. ولما دخل ضيف آخر ترك حسن البنا مكانه مفسحاً للقادم الجديد وهكذا حتى أصبح مكانه إلى جانب باب حجرة الطعام.. ولما حان وقت الطعام وفتحت الغرفة، وكان من الطبيعي أن يكون أول الداخلين هو حسن البنا، ولكني لاحظت أنه أخذ يتراجع حتى صار آخر الداخلين.. فأدهشني هذا الخلق الرفيع!!

- استقبال إحسان الجابري..

وروى لي الأخ الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمون في الأردن أن الأستاذ إحسان الجابري رئيس وزراء سوريا وشقيق الأستاذ سعد الله الجابري، زار مصر بالقطار م طريق غزة ثم العريش..

يقول الأستاذ إحسان: إنه لم يكن يتوقع الذي رآه!! ذلك أنه ما من محطة من محطات سكة الحديد على طول الطريق إلى القاهرة يقف عندها القطار إلا ويجد هتافات تحيي جهاد سوريا وكفاحها تشق عنان السماء، ويتقدم من بين هذه المظاهرة وفد من جماعة الإخوان المسلمون في المنطقة لتحيتي بكل عواطف الحب والاحترام والتقدير مع تمنياتهم لشعب سوريا الشقيق بالعز والسؤدد..

يقول الأستاذ إحسان، واستمر الحال على ذلك حتى وصلت إلى محطة سكة حديد القاهرة، وفيها وجدت الإخوان يقفون في انتظاري واستقبلوني بالبشر والحفاوة والترحاب..

ويعقب الأستاذ إحسان لشقيقه الأستاذ سعد الله الجابري على استقبالات الإخوان في مصر له: إنه لم يكن يحسن نحو الإخوان بشيء من الصلة، ولكن بعد ذلك شعر بعاطفة تشده نحو الإخوان المسلمون.

- مع المبشر الإسلامي عليم الله الصديقي..

قام فضيلة المرشد بزيارتنا بالإسكندرية، وكان بصحبته المبشر الإسلامي عليم الله الصديقي.. وبينما نحن جلوس مع الأستاذ وضيفه حضر وفد من الإخوان بشعبة الحجاري في حي بحري بالإسكندرية وقدموا هدية للأستاذ المرشد عبارة عن شارة الإخوان المسلمون (سيفان متقاطعان وبينهما المصحف الشريف) محفورة على قطعة من الخشب الأبانونس موضوعة في علبة جميلة.. وما أن قام الأخ محمد حمام نائب هذه الشعبة بتقديم الهدية إلى الأستاذ المرشد حتى قام فضيلته من فوره إلى الضيف الجليل عليم الله الصديقي، وقال: وأنا بصفتي المرشد العام للإخوان المسلمون أتقدم بهذه الهدية إلى مولانا وضيفنا عليم الله الصديقي.. وقام الرجل وتسلم الهدية في بشر وسرور..

ولقد كنا في ذهول من سرعة بديهة الأستاذ البنا وفطنته لأمر غاب عن كثير من الإخوان، وكان درسا في رقة الشعور والإحساس.

وعلى ذكر شعبة الحجاري[9].. عقد الإخوان في شعبة محرم بك مؤتمراً، وفيما كان الأستاذ يلقي خطابه في هذا المؤتمر جاء إخوان شعبة الحجاري إلى المؤتمر بهتافاتهم المدوية: (الحجاري تييك يا بنا.. الحجاري تحييك يا بنا) فقطع الأستاذ خطابه ورد عليهم في الميكروفون هاتفا (ومن للحجاري غير البنا).. فاهتز المؤتمر بالتهليل والتكبير، وصارت مثلاً ودعابة يستروح بها الإخوان..

- حسن البنا والمعلم إبراهيم كروم..

رغب الإخوان في حي بولاق بالقاهرة الاحتفال بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، فذهبوا يبحثون عن أرض فضاء يقيمون عليها سرداقاً يؤمه الناس بهذه المناسبة التي سيخطب فيها فضيلة المرشد.. وفيما هم يبحثون وقع نظرهم على أرض مناسبة، ولكنهم علموا أن صاحب الأرض (مسيحي)، وبينما هم في حيرتهم يناقشون الأمر إذا برجل كان يجلس على مقهى مجاور لهذه الأرض، فسألوه: هل يمكن استئجار هذه الأرض لنقيم عليها حفلاً إسلامياً بمناسبة ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم؟

فاستقبلهم الرجل بأحسن الأخلاق، وقال لهم: إن هذه الأرض ليس ملكا لي، ولكني نيابة عن صاحبها أقول لكم أقيموا الحفل على ضمانتي.. فعجب الإخوان من سماحة الرجل وشجاعته، وعرفوا أخيراً أن هذا الرجل هو (المعلم إبراهيم كروم) فتوة حي بولاق الشهير.

وذهب الإخوان إلى الأستاذ البنا وأخبرون بما حدث، فكان ذلك مبعث سرور له.

وجاء موعد الحفل، وهرع المسلمون للاستماع إلى مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم في الاحتفال.. وحين وصل الأستاذ البنا إلى سرادق الاحتفال توجه رأساً إلى المقهى وسأل عن المعلم إبراهيم كروم وسلم عليه بحرارة وشكره على موقفه،

---

[9] الحجاري: الآلة التي يستعملها العمال في تقطيع الحجارة التي تستعمل في البناء، والمحجر: المكان في الجبل يقطع منه الحجارة.

وحضر المعلم إبراهيم كروم الحفل واستمع إلى فضيلة المرشد وهو يحييه مرة ثانية أمام الجماهير، وما إن انتهى الحفل حتى أصر المعلم إبراهيم كروم على دعوة الأستاذ على كوب شاي في المقهى..
ومنذ ذلك اليوم وإبراهيم كروم دائم الحضور إلى المركز العام، ولم تنقطع صلته به في يوم من الأيام..
وفي حوادث مارس 1954 عندما هب الشعب المصري يطلب الخلاص من طغيان جمال عبد الناصر وديكتاتوريته العسكرية، كان إبراهيم كروم على رأس المظاهرة الشعبية الكبرى التي أجبرت الطاغية على التنحي فيما يسمى بمقررات مارس التاريخية.. وعندما استطاع الطاغية بالمكر والخديعة أن يجهض هذه المقررات قبض على إبراهيم كروم وحكم عليه بالسجن وتوفي رحمه الله بعد الإفراج عنه..

- **حسن البنا والشيخ محمد الأنصاري..**

جاء لزيارة شعبة الإخوان المسلمون في حي محرم بك بالإسكندرية رجل في سن الخمسين من صعيد مصر، يرتدي جلباباً ويلبس في قدميه خفين، عرفنا بنفسه أنه محمد الأنصاري من الإخوان بمدينة الإسماعيلية، ويعمل في هيئة السكك الحديدية في تركيب وخلع القضبان، وكان يأتينا على فترات يمضي بعض الوقت في الشعبة ثم ينصرف دون أن يأبه له أحد أو يلتفت إليه شاب أو يهتم به الاهتمام الواجب فقد كانوا في شغل عنه..
وتمضي أيام ويعقد إخوان محرم بك مؤتمراً يحضره الأستاذ المرشد العام.. في قاعة اللقاء يرى الأستاذ البنا الشيخ محمد الأنصاري بين الحضور، فيقبل عليه في حرارة واهتمام بالغ ويعانقه في حب وشوق، ثم يأخذه من يده ويجلسه إلى جواره في الصف الأول.. وحين تقدم الأستاذ البنا لإلقاء كلمته رحب بالأخ الضيف واحتفى به، وقال: يحضرنا في هذا اللقاء أخ من الرعيل الأول الذين عاصروا الدعوة منذ نشأتها في الإسماعيلية هو الشيخ محمد الأنصاري.
وكان درساً بليغاً في التربية في معنى الأخوة ومعرفة أقدار الناس، فرب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره!!.
ولم تمض شهور حتى قاد الإمام البنا أكبر مظاهرة فوق النصف مليون من الأزهر الشريف إلى فندق الكونتنتال حيث يوجد زعماء العالم العربي للدفاع عن فلسطين المجاهدة، حيث أعلن الإمام استعداد عشرة آلاف متطوع من شباب الإخوان لخوض غمار حرب العصابات ضد اليهود، وفي أثناء المسيرة الكبرى أطلق رجال البوليس بقيادة اللواء سليم زكي حكمدار بوليس القاهرة النار على المتظاهرين وأصيب الأستذا البنا في يده، فنظر إلى موضع الإصابة في أصبعه وتمثل بقول الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وفي نفس اليوم أصيب الشيخ محمد الأنصاري حيث استشهد رحمه الله.

- **حديث تليفوني..**

كان ذلك عام 1947 م حين خرجت من دار المكتب الإداري للإخوان المسلمون بشارع كنيسة دبانة بالإسكندرية إلى مطبعة رمسيس لمراجعة النشرة التي كان يصدرها الإخوان هناك..
ولما طال بي الوقت رأيت أن أتصل تليفونيا بالدار للاطمئنان على الأحوال بها.. وجاءني الرد بالتليفون، وقال المتحدث: من أنت؟ قلت: الحاج عباس ومن أنت؟ فقال: لا تسأل عن اسمي! فقلت: كيف.. طيب حضرتك لابس إليه؟ فقال: يا أخ عباس الرجل لا يُعرف بلبسه، ولكن يعرف بروحه وحسه! فقلت له: يظهر إنك راجل روحي قوي، قال: أنت روحي وأنا روحك أنا حسن البنا..
فألقيت السماعة على التليفون هاتفاً "الله أكبر ولله الحمد"، مما لفت نظر صاحب المطبعة، وأسرعت بالتاكسي حيث كانت الدار قريبة من المطبعة، ووجدت الأستاذ المرشد يغادر الدار حيث كان على موعد فسلمت عليه، ولفت نظري أن الخواجات الذين يعملون في أحد البنوك في نفس العمارة قد وقفوا على السلم يرفعون قبعاتهم تحية للأستاذ البنا، وهو يرد عليهم بيده مع ابتسامة رقيقة.. وما إن وصل الأستاذ إلى شارع سعد زغلول، وهو في انتظار تاكسي اجتمع حوله الناس وبعض بائعي الصحف الذين كانوا يحيونه بقولهم: (شد حيلك يا أبو علي).

- **حسن البنا في عيادة رياض الصلح..**

علم الأستاذ البنا بوجود السيد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان للعلاج في مستشفى المواساة الإسلامية بالإسكندرية، فرغب في زيارته وكلفني بشراء "باقة من الورد" وركبنا سيارتين تاكسي إلى المستشفى وهناك اقتضت التعليمات أن لا يزيد عدد الزوار عن أربعة فقط وكان عددنا أكثر من سبعة، وترقبت كيف يعالج الأستاذ هذا الموقف وهو الإنسان الرقيق الحريص كل الحرص على مشاعر كل أخ – وإن كان ما يصدر منه نعتبره نحن جنوده أمراً لا يحرج لنا صدراً – وهكذا كانت

طبيعته، وسرعان ما قال: طيب، يبقى فضيلة ضيفنا الكبير عليم الله الصديقي، ورئيس الإخوان بالإسكندرية الأستاذ أمين مرعي، والمرشد العام، وحامل الورد..
وبهذا اللباقة حلت المشكلة على مستوى ممثلي الإخوان، وبالإسلوب الذي لا يؤدي إلى إثارة أية حساسية بين الموجودين..
ولما صعدنا إلى الدور الموجود به السيد رياض الصلح، لم تسمح لنا كبيرة الممرضات وكانت أجنبية بالدخول إليه، واعتذرت عن ذلك بسبب ظروف سعادته الصحية.. ولم يناقش الأستاذ البنا الموضوع وأخرج بطاقة وكتب عليها كلمات تحمل خالص التمنيات بالشفاء..

- **حسن البنا والأخ أحمد شوهان..**

حضر إخوان مدينة أبو كبير شرقية مؤتمر الإخوان المسلمون في مدينة الزقازيق الذي يتحدث فيه فضيلة المرشد العام حسن البنا.. وهناك التقى الأستاذ البنا بالإخوان وتعرف عليهم كل باسمه وعمله..
وبعد أكثر من عامين زار الأستاذ البنا مدينة أبو كبير، وعند لقائه بالإخوان فوجئ الأخ أحمد محمد شوهان بأن فضيلته يسلم عليه باسمه.. وتعجب الأخ أحمد وهو يعمل نجاراً بسيطاً، كيف تكون له هذه المنزلة في نفس الأستاذ البنا، وظل يباهي بها إخوانه!!
وهكذا كان الإمام البنا يعطي كل أخ حقه من التقدير دون النظر إلى طبقته الاجتماعية، فالجميع إخوان مسلمون ولا تدري في أي منهم يكون الخير والأمل المنشود، وقد سبق أن ذكرنا قصة الشيخ محمد الأنصاري..

- **حسن البنا ومخبر المباحث العامة..**

كان ذلك عام 1937، حيث اتخذ الإخوان المسلمون بالإسكندرية دارهم في عمارة ماجستيك بميدان المنشية، وهي الدار التي تنازل عنها الصاغ محمود لبيب رحمه الله للإخوان حين تعرف على الأستاذ المرشد في مخيم الدخيلة بالإسكندرية.
وكان رئيس القسم المخصوص أو ما كان يسمى بالبوليس السياسي "المباحث العامة الآن" واسمه الصاغ زهران رشدي يجند مخبراً لمراقبة نشاطنا في الشعبة وكتابة التقارير عنا.. كان هذا المخبر يلازمنا طوال اليوم حتى ننصرف في المساء إلى بيوتنا، ولم يكن مجهولا لدينا، بل كان معروفاً لنا جيداً.
ولما جاء الأستاذ البنا لزيارتنا، شكونا إليه من وجود هذا الشخص بيننا، وطلبنا منه أن يسمح لنا بطرده من الشعبة، فضحك رحمه الله وقال: إن وجود مخبر بينكم ومعروف لديكم خير من وجود مخبر لا تعرفونه، فاحرصوا على معاملته معاملة كريمة، لعل الله يصلح حاله فلا يكذب عليكم ويكتب ما يراه وما يسمعه بالحق.
وأخذنا بنصيحة الأستاذ البنا حتى رأينا الرجل يخجل من نفسه وظل على وضعه حتى نهاية خدمته، واستمر الرجل وهو في المعاش على حاله في زيارته لنا، وكنا نستقبله بنفس الشعور الطيب..

حسن البنا.. وبعد النظر

- **مجلس عسكري..**

في اجتماع بالمكتب الإداري للإخوان بالإسكندرية في عهد وزارة إسماعيل صدقي باشا، ألقت الشرطة القبض على حوالي خمسين من الإخوان وأودعتهم سجن الأجانب.. وأذكر أن ذلك كان في نفس الأسبوع الذي نظم فيه الإخوان مظاهرة من فوق الجوالة، خرجت فجأة من ميدان محطة السكة الحديد بالإسكندرية قبيل المغرب تحمل المشاعل متجهة إلى ميدان قصر رأس التين، خطب فيها الأستاذ أحمد السكري وكيل جماعة الإخوان المسلمون في ذلك الوقت من شرفة مكتب الأستاذ أمين مرعي المحامي بشارع الغرفة التجارية "سعيد باشا سابقا"، ثم مضت هذه المظاهرة في سيرها حتى بلغت القصر وقدمت مذكرة بشأن "معاهدة صدقي بيفن" ثم انصرفت..
وبعد فترة حققت النيابة مع الإخوان المحتجزين في سجن الأجانب ثم أمرت بالإفراج عنهم. وبصفتي والأخ عادل بهجت من العسكريين فقد حولنا إلى السلطة العسكرية، حيث تم التحفظ عليَّ في معتقل معسكر كوم الشقافة بالإسكندرية وعلى الأخ عادل في معسكر سلاح الصيانة.. وحوكمنا أمام مجلس عسكري مركزي بتهمة انضمامنا إلى جماعة الإخوان، مخالفين بذلك تعليمات الجيش واللوائح العسكرية التي تقضي بعدم اشتغال العسركيين ورجال الجيش بالسياسة. وأرسلت إلى فضيلة المرشد عدة رسائل لأبدي له استعدادنا لتحمل كل ما يترتب من عقوبات مهما كانت شدتها وقسوتها، وأطلب منه ألا يحمل نفسه عبء السعي لمساعدتنا وألا يشغل نفسه بقضيتنا فالأمور تجري بالمقادير..
وفي سراي سيدي بشر انعقد المجلس العسكري، وأحضرنا بالحراسة المشددة، ووجدنا في استقبالنا مجموعة من المحامين، عرفنا أن فضيلة المرشد أوفدهم للدفاع عنا..

وبعد أن أقسم أعضاء المجلس العسكري على المصحف الشريف، سألنا رئيس المجلس: على لديكم أي اعتراض على المجلس؟ فقلت له: لا، ولكن لنا طلب. فقال: ما هو؟ فقلت: نحن لا نريد محاكمة على أساس قانون الإجراءات العسكرية، ولكن نريد المحاكمة على أساس المصحف الشريف الذي أقسمت عليه.
وهنا شعر رئيس المجلس أن القضية سوف تتحول إلى قضية إسلامية سياسية!!..
وتحول إلى السادة المحامين الموكلين بالدفاع، فتقدموا يطلبون تأجيل الجلسة أسبوعاً للاطلاع على تقارير القسم المخصوص "مباحث أمن الدولة الآن"، فوافق ورفعت الجلسة.
وعدنا إلى معسكر سلاح الصيانة معاً، وفي المساء من نفس اليوم صدر قرار بالإفراج عنا، وتوجهنا من المعسكر إلى شعبة الإخوان برأس التين حيث استقبلنا الإخوان بالبهجة والسرور.
ثم سافرت ومعي الأخ عادل لمقابلة فضيلة المرشد بالمركز العام بالقاهرة لنشكره على رعايته لنا واهتمامه بشئوننا..
وبعد أن شكرناه على جهده العظيم معنا، قلت: يا فضيلة المرشد، لماذا أجهدت نفسك كل هذا الإجهاد في سبيل الإفراج عنا؟
فقال: أنتم تنظرون إلى تبعات هذه القضية نظرة فردية، وأنا أنظر إليها نظرة أبعد وأشمل، ذلك أن صدور أي حكم عليكما بتهمة الإنتماء إلى جماعة الإخوان.. هذا الحكم مهما كانت درجته وبساطته ستترتب عليه نتائج خطيرة على دعوتنا للعسكريين وسوف يعوق حركتنا الوليدة في صفوف الجيش، هذا ومن المعروف أن طبيعة العمل في الجيش تختلف عن طبيعته في المجالات الأخرى فلا بد من تقدير تبعات كل عمل بالنسبة لمستقبل الدعوة أولاً!!
... وفي هذه اللحظة حضر الأخ الكبير الصاغ محمود لبيب، الذي رحب بنا ودعانا لتناول طعام الغداء معه.. فلبينا الدعوة شاكرين..

***

- **نشرة الإخوان بالإسكندرية..**

كان الإخوان بالإسكندرية يصدرون إخبارية شهرية عن نشاطهم يوزعونها على جميع مناطقهم يقومون بطبعها في مطابع رمسيس..
وبينما كنت في المطبعة أراجع مسودة أحد أعداد هذه النشرة، رأيت أن أعرضها على فضيلة المرشد الذي كان موجوداً بالإسكندرية في ذلك الوقت، حيث كان يصدر على الصفحة الأولى خبر نصه "لقاء رجلين.. التقى الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمون بسماحة الشيخ محمد الحسيني مفتي فلسطين الأكبر بعد غياب طويل، وكان لقاء وكانت ذكريات"، وهو خبر ذو طبيعة خاصة يحتاج إلى إذن في نشره..
وبالفعل التقيت بفضيلته وعرضت عليه مسودة النشرة.. فأخذ يراجعها، فلاحظت أنه توقف قليلاً عند خبر الصفحة الأولى ثم قال: ما الغرض من نشر هذا النبأ، وما هي الفائدة التي ستعود علينا من نشره؟
قلت: لقد قرأت في جميع الصحف نبأ زيارة كل الزعماء السياسيين لسماحة المفتي، ولسنا أقل من هؤلاء في أداء الواجب..
فتبسم الأستاذ المرشد، وقال: يا أخي هذه إعلانات وزيارة مجاملة، أما زيارتي فهي زيارة ترى بمنظار آخر ويفهمها أعداء الإسلام بفهم آخر.. إن زيارات الإخوان ينبني عليها عمل..

***

- **فرق العمل..**

ومن قبل حين بدأ حسن البنا دعوته في الإسماعيلية عام 1928 م، كانت الدعوة قد اكتمل تصورها في ضميره، ولكنه كان يؤمن بمرحلية الدعوة والتدرج في الخطوات وأن الزمن جزء من العلاج.
ففي الإسماعيلية، فكر الإخوان في مزاولة النشاط الرياضي تأثراً بفكرة الجهاد الإسلامي وتحقيقاً لنيته وتنفيذاً لأمر الإسلام وتحرجاً مما جاء في الحديث الشريف: "من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية"، فتألفت فرقة الرحلات للإخوان المسلمون على نظام الكشافة وانتقلت من الإسماعيلية إلى بقية شعب الإخوان وفروعهم[10].
وفي القاهرة في المؤتمر الثالث للإخوان الذي انعقد في مارس 1935 تمت الموافقة على مشروع فرق الرحلات وإقرار اللائحة التي وضعها مكتب الإرشاد وقامت بتعديلها لجنة مشكلة لهذا الغرض[11].. هذه الفرق التي عرفت عند الإخوان بعد ذلك بفرق العمل ثم فرق الجوالة.
كانت هذه الفرق على هيئة الفرق العسكرية من حيث النظام والتدريب وأيضاً الملابس التي كانت على شكل بنطلون طويل يشبه شرطي السواري وله "قايش" من الجلد.. لهذا ألهم حسن البنا أن هذه الصورة سوف تترك في نفوس العامة فضلاً

---

[10] مذكرات الدعوة والداعية / ص 108.
[11] المصدر السابق / ص 196.

عن السلطة والإنجليز المستعمرين شعوراً بالحذر والخوف مما قد يتضح من أمرها وهو إحياء روح الجهاد، ولا سيما أن تسميتها "فرق العمل" يوحي بمثل هذه المخاوف.
لهذا أسرع فضيلة المرشد إلى تحويل هذه الفرق إلى فرق للجوالة وسجلها في جمعية الكشافة الأهلية وأصبحت بذلك فرق جوالة للإخوان تابعة من الوجهة الرسمية والقانونية لجمعية ذات نظام عالمي وتقع في مصر تحت رعاية الملك، حيث كان فاروق يلقب بكشاف مصر الأول.
في هذه الفترة من تاريخ مصر كان حزب الوفد قد نظم شبابه في فرق شبه عسكرية ترتدي قمصاناً زرقاء لينازل بهم فرق القمصان الخضراء التي شكلتها جمعية مصر الفتاة، وكان في الميدان فرق للحزب الوطني وأخرى لعباس حليم تحت اسم حزب العمال، وأخذت هذه الفرق تتدرب، ولما جاء حزب الوفد إلى الحكم ووقع معاهدة 1936 واشتدت حملات المعارضة عليه تسلحت الفرق بالعصي والخناجر، وأخذت تهاجم دور الأحزاب الأخرى، واحتدمت المعارك بين فرق القمصان الزرق وفرق القمصان الخضر مما تسبب عنه سقوط قتلى وجرحى، مما جعل المعارضة تطالب بحل هذه الفرق[12].
وما ان انتهت 1937 حتى أقيلت حكومة الوفد وألف الوزارة محمد محمود باشا، الذي صدر في عهده أمر ملكي بحل جميع التشكيلات شبه العسكرية، ولما كانت فرق الإخوان قد تحولت لجمعية الكشافة العامة فلم يشملهم هذا الأمر.. ونجى الله فرق الإخوان من الحل بفضل بُعد النظر الذي ألهمه حسن البنا.

***

- **يوم في حياة البنا..**

خطب الإمام البنا الجمعة في مسجد الشيخ بالميدان بالإسكندرية وامتلأت الشوارع، وبعد الصلاة خرجنا من المسجد ونحن في الطريق إلى شارع فرنسا مررنا بحارة يسكن بها بعض اليهود، وفجأة سقط من أحد هذه المنازل لوح زجاج بجوار فضيلة المرشد وكتب الله السلامة لجميع الإخوة المارين ولم يصب أحد بسوء، غير أن الإخوة أخذوا يتشككون في الأمر ولكن الأستاذ هونه عليهم ولم يتخذ مما حدث فرصة للإثارة وقال: إنه حادث عابر غير مقصود.
وتوجهنا إلى المكتب الإداري بشارع كنيسة دبانة، وهناك استراح فضيلته بعض الوقت، ثم استأنفنا السفر إلى الجزيرة الخضراء وهي بلدة الأستاذ أمين مرعي المحامي رئيس الإخوان بالإسكندرية آنذاك، وتقع هذه القرية في مواجهة مدينة رشيد من الشرق، وفي الطريق توقفنا أمام كشك شرطة مرور كوبري الجدية ولاحظ فضيلة المرشد وجود "قلة ماء" أمام شرطي المرور فاستأذنه للشرب، فأسرع الشرطي مسروراً مرحبا به وتحدث معه فضيلته بكلمات..
فلما استأنفنا السير قلت: ربما كانت القلة التي شربت منها يا فضيلة المرشد غير صحية، فنظر إليّ وقال: لقد وقفنا لحظة والمهم هو الاستفادة بها في تبليغ الدعوة..
ووصلنا بسلامة الله إلى رشيد وركبنا في طريقنا إلى الجزيرة الخضراء.. وهناك استقبلنا استقبالاً طيباً، ثم تناولنا الغداء على مائدة الأستاذ أمين مرعي شقيق الأستاذ مصطفى مرعي النائب العام السابق، وبعده توجهنا إلى مسجد البلدة، وبدأ فضيلة المرشد حديثه الذي يؤلف القلوب ويزيل ضغائن النفوس ويرطب المشاعر، ثم عرج على قصة فقال: كان هناك ملك.. تسبب أحد وزرائه في عمل فتنة دفعت الملك إلى الاستغناء عن وزرائه جميعاً واحداً تلو الآخر. وذات يوم جاء لزيارة الملك رجل صالح، وجلس بين الملك وبين الوزير ومعه صورة لها وجهان أحدهماه قبيح والآخر جميل، وسأل الملك عن رأيه في هذه الصورة فقال الملك: إنها صورة قبيحة جداً، ثم سأل الوزير عن الصورة التي يراها فقال: صورة جميلة جداً، وهنا حدثت مشادة كبيرة بين الملك والوزير. ولكن الرجل الصالح أسرع وقلب الصورة، فتبين كل منهما حقيقة الصورة بوجهيها، وهنا قال الشيخ للملك: يجب على كل إنسان أن لا يصدر حكماً على شيء قبل أن يتبينه (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) [الحجرات: 06].
وبعد أن أنهى فضيلته حديثه العميق، عرفنا بعد ذلك أنه توجد في هذه البلدة بعض الخلافات.. كما عرفنا أن حسن البنا قبل أن يدخل أي بلدة يلم بكل ما يتعلق بها من أحوال حتى لا يصطدم بأمور تعوق أداء رسالته.
وعدنا إلى مدينة رشيد في مركب آلية وكان عددنا كبيراً، وجلس الأستاذ مع مجموعة من الإخوان في مقدمة المركب وجلس باقي الإخوان على السطح الذي توجد تحته الماكينة التي تحرك المركب، ولما اقتربت المركب من الشاطئ اصطدمت بقاع النيل فسقط بعض الإخوان في قاع المركب ففزع الإخوان وبقي حسن البنا ثابتا لم يتحرك، حتى إذا هدأت الثائرة قال للإخوان: الثبات عند الشدة أنجى وأكرم.

---

[12] انظر كتاب "حقائق وأسرار" للأستاذ محمد العدوي ص 9 – نشر دار الأنصار – القاهرة.

وتوجهنا إلى شعبة رشيد، وهناك تحدث فضيلته إلى الإخوان حديثاً مختصراً، وبعد فترة من الراحة استأنفنا سفرنا إلى شعبة سيدي بشر بالإسكندرية حيث أقام الإخوان حفلاً ليخطب فيه الأستاذ بعد صلاة العشاء. ولفت نظري أن الأستاذ حين بدأ حديثه قال: أيها الإخوة في العام الماضي تحدثت في موضوع مراحل الدعوة، ولم نستكمل هذا الحديث.. ثم استطرد في الحديث حتى آخره، وبعد الحفل توجهنا إلى داخل المكتب الإداري حيث جلس فضيلته مع أعضاء المكتب الإداري لتصريف شئون الدعوة وتوجيه الإخوان، وبات ليلته في الدار وفي الصباح الباكر غادرنا إلى القاهرة مصحوباً بعناية الله.

***

- **ادفع بالتي هي أحسن..**

في كفر المصيلحة بلدة عبد العزيز باشا فهمي[13] حدثت مشادة بين الإخوان وبين أفراد عائلة الباشا، وعلى أثر هذه المشادة توجه بعض الإخوان من هذه البلدة إلى القاهرة وقدموا شكواهم إلى فضيلة المرشد، وقالوا فيما قالوا، إنه بعد ذلك لا يستحب لفضيلتكم أن تقوم بزيارة عبد العزيز باشا فهمي عند حضورك للبلدة، إذ كان من عادة الأستاذ أنه إذا نزل بلدا فإنه يبدأ بزيارة عمدتها أو كبيرها.. وبعد أن استمع فضيلته منهم صرفهم ونصحهم أن يلتزموا الحكمة والصبر.

.. ومضت الأيام واعتزم الأستاذ زيارة كفر المصيلحة.. واستقبل الإخوان مرشدهم بصورة شعبية حماسية، وسار الموكب متجهاً ناحية شعبة الإخوان المسلمون، غير أن الأستاذ طلب من السائق التوجه إلى دار عبد العزيز باشا فهمي – كالعادة – ولم يستطع السائق إلا تنفيذ طلب الأستاذ.. وأخذت الإخوان الدهشة.. ولكن الموكب سار حتى وصل إلى دار الباشا الذي كان هو وعائلته يتشككون في هذه الزيارة بعد الذي حدث، واستقبله الباشا وعائلته استقبالاً كريماً، وودعوه وداعاً لائقاً.

وفي المساء ازدحم السرادق، وكان في الحضور هؤلاء الذين جاءوا ليؤججوا نيران الفتنة ويصيدوا في الماء العكر.

ووقف حسن البنا وحلق بالناس جميعاً في عالم جديد بعيداً كل البعد عما يجول في خاطرهم حتى بلغ غايته وربط بين القلوب برباط الإسلام وأذهب عن النفوس كيد الشيطان عند قوله، إنه جاء إليه منذ مدة وفد من الشعبة وحدثوه عن المشادة التي حدثت بين الإخوان وبين عائلة عبد العزيز باشا فهمي، وقالوا له إنه لا يستحسن بعد ذلك أن تبدأ بزيارته كالمعتاد، ووعدتهم خيراً ولكن الإخوان كما تعلمون يصدرون في كل تصرفاتهم عن عقيدة وشريعة ولا يحتكمون إلى هوى ولا يقادون إلى شهوة (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) [المائدة: 08]، لهذا حين جئت إلى هذا البلد الطيب كان لا بد أن أدخل البلد من الباب ولا يمكن أن أدخله من الشباك، والباب الوحيد لهذا البلد هو منزل عبد العزيز باشا فهمي.

وبوقوف الأستاذ المرشد عند هذه الكلمات الحكيمة الشافية تعالت الهتافات "الله أكبر ولله الحمد" من الناس جميعاً.. الإخوان وغير الإخوان ومن كانوا أعداء للإخوان.. وتصافحت الأيدي وربط الله بين القلوب، وهكذا علمنا المرشد معنى قوله تعالى: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين. ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌ حميم) [فصلت: 33 – 34].

- **جوالة رشيد والكأس..**

أقام الإخوان المسلمون سنة 1946 عرضاً رائعاً للجوالة على ملعب البلدية الكبير بالإسكندرية، حضره الأستاذ المرشد العام وصحبه عدد من الضباط في الجيش والعقيد علي البنا قائد سلاح السواحل.. وضيف كبير من الإخوان بالعراق.. وقام بالعرض فرق من جميع شعب مدينة الإسكندرية بالإضافة إلى شعبة سلاح الصيانة "شعبة الجهاد" التي قامت بعروض رائعة وقوية ولم يكن عدد المشتركين من كل شعبة يقل عن "25" أخاً، أما شعبة الإخوان في مدينة رشيد، فقد تقدمت للعرض بأربعة فقط من الإخوان على رأسهم الأخ المرحوم الحاج أحمد الخواجة أدوا عرضهم بمنتهى القوة والشجاعة.

وفي نهاية الحفل رأت لجنة التحكيم أن فريق شعبة سلاح الصيانة "شعبة الجهاد" هو الفائز الأول الذي يستحق الكأس، ولكن الأستاذ المرشد أبدى رأياً غير ذلك، وهو أن فريق شعبة رشيد هو الذي يستحق الكأس، حيث أن ضآلة عدده لم تفت في قواه وتقعده عن حضور العرض، وفي هذا من الشجاعة والالتزام والانضباط ما يجعلنا نقدر ذلك فيهم.. ووافقت اللجنة على رأي الأستاذ المرشد ومنح الكأس لفريق جوالة رشيد وسط الأناشيد الإيمانية الحماسية، وبين التكبير والتهليل..

***

[13] عبد العزيز فهمي (1870 – 1948) سياسي مصري ورئيس حزب الأحرار الدستوريين ورئيس مجمع اللغة العربية، اشتغل بالمحاماة وانتخب عضواً بالجمعية التشريعية 1914 ثم نقيباً للمحامين. كان أحد الثلاثة الذين ذهبوا لدار الحماية 1918 للمطالبة باستقلال البلاد. اشترك في الوفد المصري برياسة سعد زغلول منذ تأسيسه إلى 1921، ثم انفصل عنه. عين رئيساً لمحكمة الاستئناف ومحكمة النقض ووزيراً للعدل ووزيراً للدولة 1937، رأس حزب الأحرار الدستوريين 1941. له بحوث لغوية.

حسن البنا.. وهذا القرآن

في أحد أيام عام 1937..

استقبلنا حسن البنا على محطة السكة الحديد بالإسكندرية قبيل المغرب، حيث كان على موعد ليلقي كلمة في مناسبة ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد نبي الله دانيال، وكنا في هذا الوقت قلة من الشباب، فلما دخلنا المسجد وقف جمهور المصلين في دهشة وغرابة، ذلك أنهم لم يعتادوا أن يروا شباباً يدخل المساجد، فهم جميعاً من المعمرين الذين تجاوزت أعمارهم الستين عاماً.

وأذكر أن فضيلة المرشد تكلم في هذا اليوم، فقال:

(إن مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بنزول القرآن الكريم، فلولا هذا الكتاب ما عرف المسلمون شخصية الرسول العظيم، لهذا كان لزاماً علينا أن نتعرف على هذا الكتاب الكريم)..

وقال: (إن مثل كتاب الله كمثل ساعة، بعض الناس يتركونها، وبعضهم يلعبون بها ولا يعرفون قيمتها، وبعضهم يستفيدون بأجر إصلاحها، وآخرون هم الذين يستعملونها في الغرض الذي صنعت من أجله.. وهكذا كتاب الله تعالى، بعض الناس يعلقونه على الأبواب، وبعضهم يضعه تحت وسادته عند النوم وهؤلاء كالأطفال، وآخرون يقرأونه في الحفلات أو على المقابر، وهؤلاء هم الذي يتقاضون أجراً عليه، وقليل من الناس يتعامل مع القرآن فيشرحه ويعلمه ويلتزم بتعاليمه، وهؤلاء هم الذين يضبطون به حياتهم ويجاهدون به في سبيل إقامة الدولة المسلمة.. فنحن نعمل جاهدين، لكي يصبح القرآن دستورنا..

لا دستور لنا إلا القرآن.. فلم ينزل القرآن من علياء السماء على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون تميمة يحتجب بها، أو أوراداً تقرأ على المقابر وفي المآتم، أو ليكتب في السطور ويحفظ في الصدور، أو ليحمل أوراقاً ويهمل أخلاقاً، أو ليحفظ كلاماً ويهجر أحكاماً.. وإنما نزل ليهدي البشرية إلى السعادة والخير (قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) [المائدة: 15-16].

أليس من العيب أيها المسلمون أن ترضوا بأحكام الإفرنج ولا ترضوا بحكم الله، مع أن الله تعالى قد وصم كل أمة لا تحكم بأحكام كتابه بالفسق فقال: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) [المائدة: 47]، بل جعل الفسق هينا فوصمها بالظلم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) [المائدة: 45].

إن مثلكم أيها المسلمون عندما تركتم كتاب الله وراءكم، كمثل الرجل الذي بيده المصباح، فيأبى إلا أن يطفئه، ويلتمس غيره عند العميان..

وإن مثل موقف المسلمين اليوم من كتاب الله، كمثل جماعة أحاط بهم ظلام من كل جانب، فساروا على غير هدى يخبطون خبط عشواء مع أن في أيديهم مفتاح كهرباء لو وصلت إليه أصابعهم، يستطيعون بحركة بسيطة أن يضيئوا مصباحاً قوياً زاهراً.. هذا مثل المسلمين اليوم من كتاب الله..

وإن العالم الآن، قد غشيته موجة مادية، فجعلته كسفينة حار ربانها وأتت عليها العواصف من كل جانب، فالإنسانية قلقة معذبة، قد اكتوت بنيران المطامع والأغراض، فهي في حاجة إلى عذب من هدى القرآن يغسل عنها أوضار الشقاء ويأخذ بها إلى السعادة.

وإن علماء القانون عندما تركوا القرآن، واتجهوا إلى غيره، مثلهم كمثل الرجل الذي تكسدت خزائنه بالأموال، ثم يتجه إلى المرابين يقترض منهم بأفحش الفوائد الربوية، ولا يفعل ذلك عاقل أبداً.

ويحي على ساسة القانون ويحهم ... على جهود أضاعوها وما وجدوا
وبين أيديهم القرآن يوردهم ... أسمى المناهج والأحكام لو وردوا

أيها المسلمون:

ليس من العجب أن هؤلاء الغربيين، الذين لم يفتح الله بصائرهم على نور القرآن الكريم يسيرون على غير هدى، لأن الله يقول: (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) [النور: 40]، ولكن العجب في هؤلاء المسلمين، الذين لا يخلو جيب من جيوبهم ولا بيت من بيوتهم من نسخة من كتاب الله تعالى.. هؤلاء المسلمون، استطاع الغربيون أن يبعدوهم عن نور قرآنهم وهدى نبيهم تارة بالشهوات وطورا بالقوة والعلم (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) [الروم: 07]، حتى أصبح المسلمون كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً

بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه.. قالوا: اليهود والنصارى يا رسول الله. قال: فمن غيرهم؟!"[14].
هذا مع أن الله تعالى حذر المسلمين من ذلك فقال: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين. بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) [آل عمران: 149-150].. عجباً، عجباً!!

إن دعا الغرب للفوضى استجيب له وتنزووا إن دعا القرآن والرشد
يا لهف نفسي على القرآن قد غدا يودي بأحكامه أبناؤه العقد
العالم العربي اليوم في محن تشقيه فوضى عليها الغرب يعتمد

هذا هو القرآن الكريم الذي اتخذناه نحن الإخوان المسلمون قانونا لنا ودستوراً نستمد منه نوراً ونستلهم رشداً، فهو المنقذ حين تتري الخطوب والمحن، وهوالمخرج من ربقة الذل وضلال الفتن، وهو الصالح لكل جيل في أي عهد أو زمن.

- لا يأس:

وبعد انتهاء الحفل خرجنا مع حسن البنا وركبنا (حنطورا)، وأخذنا نجوب حفلات مولد الرسول الكريم المنتشرة في المدينة كالعادة في مثل هذه الأيام من كل عام. وكنا نستأذن أولا م القائمين على الحفل ليشارك الأستاذ البنا بكلمة في الذكرى العطرة. وكثيراً ما كان الصخب يسود هذه الأحفال، ذلك أن عامة الشعب في مثل هذه الأحفال لا يعطي للذكرى جلالها ولا للمتحدث الجو المناسب، ولكن لم يكن حال الناس وما اعتادوا عليه من فوضى يوهن من عزائمنا أو يسبب لنا يأساً أو تراجعاً.

حسن البنا.. يحافظ على جوهر الدعوة

في عام 1938..

عقد طلاب الإخوان المسلمون مؤتمراً بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة..

وعندما وقف الإمام البنا للخطابة، إذا بأحد الإخوة من الطلاب تجيش عواطفه وتأخذه الحماسة فيهتف (بحياة حسن البنا)!!.. وبالرغم من أن هذا الهتاف لم يكن إلا صيحة في فلاة، لم تجد من يستجيب لها من الحضور، فقد وجدنا فضيلته يقف صامتا والأنظار تتطلع إليه وكأن شيئاً قد حدث، وما هي إلا لحظات حتى بدأ حديثه في غضب، فقال:

أيها الإخوان إن اليوم الذي يهتف فيه في دعوتنا لأشخاص لن يكون ولن يأتي أبداً.. إن دعوتنا إسلامية ربانية، قامت على قاعدة "لا إله إلا الله"، فلن تحيد عنها..

أيها الإخوان لا تنسوا في غمرة الحماس الأصول التي آمنا بها وهتفنا لها من كل قلوبنا "الله غايتنا"، فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد الصلة التي تربطهم بالله تبارك وتعالى، والتي نسوها فأنساهم الله أنفسهم (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) [البقرة: 21].. و "الرسول قدوتنا" (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) [الأحزاب: 56].. 1هـ.

وبهذا الموقف الذي جاء في حينه، وضع حسن البنا شباب الإخوان أمام درس عملي للمحافظة على جوهر الدعوة وأصولها الربانية، التي لا تقر قيام روابط المؤمنين بها على (الأشخاص) مهما تكن مراكزهم في المجتمع أو في مسيرة العمل الإسلامي.

درس آخر في رشيد

وفي مدينة رشيد أقام الإخوان حفلاً بمناسبة ذكرى (الإسراء والمعراج) على صاحبهما أفضل الصلاة والسلام، وحضره فضيلة المرشد..

وحين جاء دور أحد الدعاة في الخطابة، وكان من المتحمسين لنشر دعوة الإخوان، قام فقال: إن مثلنا الآن من فضيلة الأستاذ المرشد (وهو يشير إليه)، كمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه.. وما كان الأستاذ المتحدث ينتهي من التلفظ بهذه العبارة، حتى نهض الأستاذ البنا مسرعاً إلى المنصة واتجه إلى الناس وهو يقول: (أيها الإخوة معذرة إذا كان

---

[14] رواه الشيخان.

الأستاذ المتحدث قد خانه التعبير، فأين نحن من تلامذة تلامذة رسول الله صلى الله عليه وسلم!!).. ثم عاد إلى مكان جلوسه.
.. وانتظر الناس أن يستأنف الأستاذ المتحدث كلامه ويتم خطابه، ولكنه لم يفعل، وفي اليوم التالي انقطع اتصاله بالإخوان، وبعد مدة أعلن عن تكوين جمعية باسم (التقوى والإرشاد) بالإسكندرية.
.. والحق أن الأستاذ البنا لم يكن باستطاعته السكوت على مثل هذه (الأقوال).. ذلك أنها كانت تمس الأصل الأول الذي قامت عليه دعوته وأراد أن يجيء بناء جماعته على أساسه، فقام في الحال ليقطع مسلكاً من مسالك الانحراف عن طريق الدعوة الرباني، فهو الذي يعلم الإخوان أن لا يهتفوا باسم أحد إلا الله، ولا يعظموا شخصاً ولا يحيوا إنساناً إلا الرسول الكريم..
استمع إليه وهو يشرح هذا الهتاف، ويعمق معانيه في النفوس حين يقول:
- الله غايتنا:
(إن دعوة الإسلام أيها المسلمون مبدؤها ومنتهاها أن يتصل الناس بالله صلة حقيقية تطهر من قلوبهم وتغير من نفوسهم وأن يتعرفوا عليه تعرفاً حقيقياً، وهي الغاية التي قامت عليها السماوات والأرض، وبعث لأجلها النبيون ويقوم بها الصالحون..
فالناس لا ينصلحون ولا تنصلح أحوالهم إلا إذا عرفوا ربهم.. ونريد نحن الإخوان أن نقيم الناس على أمر الله، وذلك لن يكون إلا إذا عرفوه، وتفتحت قلوبهم عليه، فإذا لامست معرفة الله قلب إنسان تحول من حال إلى حال، وإذا تحول القلب تحول الفرد، وإذا تحول الفرد تحولت الأسرة، وإذا تحولت الأسرة تحولت الأمة، وما الأمة إلا مجموعة أسر وأفراد.
فإننا حينما نهتف بأن (الله غايتنا)، فإنما نريد أن تعلو كلمة الله على كل كلمة وأن يسود تشريع الله على كل تشريع، وأن يصبح المسلمون جميعاً ربانيين.
إذن فغايتنا الله، لأننا ندعو الناس إلى الله، ونجمعهم على الله، ونعرفهم بالله، ونحن نعلم أننا ما خلقنا في هذا الوجود إلا لعبادته (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات: 56].. ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي ما خلقتكم لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستعين بكم على أمر عجزت عنه، ولا لجلب منفعة، ولا لدفع مضرة، وإنما خلقتكم لتعبدوني طويلا وتذكروني كثيراً وتسبحوني بكرة وأصيلاً".
ونحن نأتمر بما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، إذ قال له: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) [الأنعام: 162-163]. وننصح بما نصح به الرسول صلى الله عليه وسلم ابن عمه عبد الله بن عباس إذ قال له: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف".
فنحن لا نتوكل إلا على الله، ولا نطلب إلا من الله، ولا نخاف إلا الله، فلن نضام ما دام معنا الله، فنحن في نعيم دائم، ولو تكاثرت علينا مصائب الدنيا (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) [الرعد: 28] 1هـ.

***

حسن البنا.. غنى بالدعوة

حين ضاقت دار المركز العام للإخوان المسلمون بالحلمية الجديدة بالقاهرة بشتى ألوان النشاط.. فكر الإخوان في شراء دار أخرى فسيحة تساعد على استيعاب النشاط العام للجماعة.. وفي أثناء ذلك لفتت أنظار الإخوان فيلا كبيرة تقابل دار المركز العام، يهيط بها فناء فسيح في نفس الميدان، فعرضوا أمر شرائها على فضيلة المرشد، فأوفدهم ليتفاهموا مع أصحابها.. فوافق أصحاب الفيلا على بيعها في حدود عشرة آلاف جنيه، ولم يكن في صندوق الإخوان سوى خمسمائة جنيه فقط، فكتب الأستاذ المرشد العقد الابتدائي بهذا المبلغ.
وأشفق مكتب الإرشاد أن لا يستطيع الإخوان سداد باقي الثمن فضلا عن تكاليف إصلاحها وتأثيثها، كما توجس المكتب خيفة من أن يتهمنا أعداء الإسلام بأن الإخوان المسلمون تأتيهم الأموال من الخارج، ولا بد أن نعرف كيف يكون التصرف من الآن في مبلغ لا يقل عن خمسة عشر ألف جنيه.
وطمأنهم فضيلة المرشد قائلا: إنني سوف أعلن في مجلة "الإخوان" عن شراء دار للجماعة وسوف ننشر الصورة الفوتوغرافية للدار مع الإعلان، وأطلب من الإخوان التبرع، وأتعشم أن يسددوا بقية الثمن في الشهر الأول أو الشهر الثاني أو الثالث.. سأترك للإخوان فرصة حتى آخر ديسمبر 1944 م لتمويل المشروع، فإذا لم يستطع الإخوان الوفاء بالقيمة المطلوبة كلها قبل الموعد النهائي، فإني أحفظ من أسماء الإخوان أكثر من عشرين ألفاً، وسوف أرسل لكل أخ منهم خطاباً

بالبريد أطالبه أن يساهم في شراء الداء بمبلغ جنيه واحد، وأعتقد أن ذلك هو أضعف الإيمان.. فسكت الإخوة أعضاء مكتب الإرشاد بعد هذا الإيضاح..
وللحق وللتاريخ فقد كان الإخوان على مستوى حسن الظن بإيمانهم ووفائهم، فلم يمض شهر واحد حتى توفر للإخوان المبلغ المطلوب ويزيد عن ذلك تلك الهبات العينية من عقود أراض وأملاك أرسل بها الإخوان من كل مكان في العالم الإسلامي لتكون تحت تصرف الجماعة.. هذا وإني لأذكر بالفخر والإعجاب الأخوات المسلمات حيث تطوعن بالحلي الذهبية.. وقد اتفق على عدم التصرف في هذه التبرعات العينية ووضعوها في خزانة الجماعة ليراها زوارنا ولتكون دليلاً على المثل العليا التي انبعثت من نفوس المؤمنين بفضل عظمة هذه الدعوة ونبل أبنائها..
وفي حديث لمجلة (مسامرات الجيب) مع فضيلة المرشد، سأل مندوب المجلة فضيلته، فقال: هل أنت غني؟
وكان جوابه رضي الله عنه: نعم أنا غني بهذه القلوب المؤمنة التي تحابت معي في الله.
فقال مندوب المجلة: أقصد الناحية المادية.
فقال فضيلته: نعم غني والحمد لله.. فكل أموال الإخوان التي في جيوبهم ملك للدعوة..

- **أحمد ماهر رئيس الوزراء**

يمنع عرض الإخوان ومؤتمرهم..

وبعد أن سدد الإخوان ثمن الدار وتسلموها.. وبعد أن قاموا بتأثيثها وتجهيزها أعلنوا عن موعد افتتاحها، وأعدوا لذلك برنامجاً حافلاً وكان على رأس هذا البرنامج القيام بعرض لفرق جوالة الإخوان لا يقل عن عشرين ألفا يمثلون جميع الشعب والمناطق في جميع أنحاء البلاد، وفي نهاية اليوم يقام مؤتمر جامع للإخوان بميدان الحلمية، وكان قد أعد في القاهرة مراكز إيواء لاستقبال الإخوان الوافدين به كل وسائل الراحة من حيث الطعام والمبيت والمواصلات، وكانت إدارة الجوالة قد وضعت خط سير العرض من الابتداء إلى الانتهاء وأعدت الأعلام الكبرى وعربات الاتصال والحراسات اللازمة.. إلخ.
وبينما كانت جموع الإخوان تتوافد على القاهرة عصر يوم الخميس استعداداً للاحتفال الكبير في صباح يوم الجمعة صدر قرار من دولة أحمد ماهر رئيس الحكومة بمنع الاحتفال ومنع العرض.. وهكذا وضعت قيادة الإخوان في وضع بالغ الحرج!!.
فصدرت أوامر فضيلة المرشد للإخوان بأداء فريضة الجمعة في جامع الأزهر الشريف، فتدفقت جموع الإخوان إلى ميدان الأزهر، وكانت قوات الشرطة قد سبقتهم إلى هناك وحاصرت المسجد من كل مكان.
واحتشد الإخوان في المسجد حتى لم يبق فيه مكان لإنسان.. وبعد الصلاة اشرأبت الأعناق إلى الشيخ عبد المعز عبد الستار الذي صعد المنبر وبعد كلمات قليلة قدم الأستاذ البنا، الذي لم يلحظ أحد وجوده بالمسجد.. فتعالت الهتافات "الله أكبر ولله الحمد" حتى هزت أركان المسجد.
ووقف الإمام البنا يخطب في الإخوان والجماهير الإسلامية في قوة وحماس، ولازلت أذكر صوته وهو يقول:
أيها الإخوان لم نلتق في هذا المسجد على شكل مظاهرة، وإنما ليس في القاهرة بعد قرار مصادرة الاحتفال بافتتاح دارنا مكان يتسع لهذا اللقاء في شكله وفي مضمونه سوى الجامع الأزهر..
وصاح الأستاذ:
أيها الإخوان إننا لسنا راغبين في إثارة ولا خائفين من أية قوة، ولكنا أبعد نظراً من أن تستفزنا الحوادث فنغامر بأمر دعوتنا، وإنني والله – أيها الإخوان – لأضع الحق في يميني وأضع روحي في يساري – وهو يشير إلى رقبته – لا أخاف في الله لومة لائم – وليس أعظم من الصبر حين يملك الإنسان نفسه عند الغضب.
والآن أيها الإخوان لقد حققنا بهذا اللقاء بعض ما تجيش به نفوسنا نحوكم، كما أنكم أعلنتم بهذا اللقاء عن مدى ارتباطكم بدعوتكم في دقة التنظيم وسرعة الاستجابة وضبط النفس، فإني أهيب بكم أن تنصرفوا في هدوء مشكورين مأجورين ولا تعطوا لأعدائكم فرصة الاصطدام بكم..
ودوى المسجد بالهتافات الإسلامية.. وبدأت جموع الإخوان تنصرف في هدوء ونظام، والبعض غلبته عواطفه فانفجر في البكاء، فقد كان الموقف شديد الألم على نفوس الإخوان.
وبغير توجيه سابق وجدت جموع الإخوان نفسها متجهة إلى ميدان الحلمية الجديدة، ولم تمض ساعات حتى تجمعت في دار المركز العام الجديد دون أن تعترض من قوات الشرطة.. وما إن ازدحمت الدار وما حولها حتى وصل فضيلة المرشد مع بعض الإخوان وفوجئ بهذا المؤتمر الذي افتتح بالقرآن الكريم، ثم ألقى الأستاذ عبد الحكيم عابدين سكرتير عام الجماعة كلمة حماسية إلى أن بلغ في كلمته حد الهجوم العنيف على قصر عابدين (مقر الملك) وقصر الدوبارة (مقر المندوب

السامي البريطاني)، فأشار فضيلة المرشد باختتام الحفل، فقرئت آيات من القرآن الكريم ختاماً للحفل وانصرف الإخوان إلى بلادهم في هدوء..

- **أتمدونني بمال؟!**

عندما فشلت أساليب الإرهاب والإعنات والتضييق التي استخدمها المستعمرون الإنجليز وأذنابهم مع الإمام البنا ليوقفوا تيار دعوته الجارف وليصدوه عن إثارة الوعي الإسلامي في نفوس الشعب.. عندما فشلوا في استخدام أساليب الترهيب قالوا نحاول ترويضه، ورأوا أن يجربوا معه طريقة الإغواء والإغراء فقد أفادت مع غيره.

وفعلا بدأ أحدهم يتصل بفضيلته في المركز العام الذي كان قد انتقل إلى 13 شارع أحمد عمر بميدان الحلمية الجديدة.. وتوالت الاتصالات، فهذا مسلم بريطاني يغار على الإسلام والمسلمين وذاك مستشرق يعشق الحقيقة وله عشق خاص بالدراسات الإسلامية ويحقق التاريخ الإسلامي، وتوالى (الغيورون) على الأستاذ يتحدثون عن كفاءته وامتيازه والظلم الواقع عليه، كيف يكون هذا وقد كان أول دفعته، كيف يعمل مدرساً ابتدائياً ومن هم أقل منه أساتذة بالجامعات.. يا سيدي إن مكانك هناك في مدرجات الجامعة وليس في صفوف المدارس الابتدائية!! وأفهمهم الأستاذ أنه هو الذي اختار هذا الطريق وانصرف عن طريق البعثة لصالح الدعوة.. فقالوا وكأنهم لا يفهمون، الأمر ما زال في أيدينا ولا بد من رفع الظلم الواقع عليك.. واعتذر الأستاذ وقطع عليهم الطريق.

وجاء آخر يبدي إعجابه بنشاط الإخوان، ويقول: إن الإمبراطورية من خططها معاونة الجمعيات الدينية والاجتماعية، وهي تقدر كثرة النفقات والأعباء الكثيرة التي تضطلع بها الجماعة، وهي لهذا تعرض مساعدتها بدون مقابل ولا بأس في ذلك.. ورفض فضيلة المرشد، ولكنه حاول أن يفهمه أن هذا أمر عادي نقوم به مع أصدقائنا وقد سبق أن قدمنا مثل هذه المساعدات لجمعيات وأحزاب صديقة وزعماء ورؤساء نقدرهم ونعجب بنشاطهم، وهذا شيك بعشرة آلاف جنيه مساعدة من الإمبراطورية.. ورد الأستاذ بابتسامة: إنكم في حالة حرب وأنتم أكثر احتياجاً إلى هذه الآلاف..

وظن بعضهم أن سعر السوق في دار الإخوان أعلى من هذا فرفع المبلغ، وكلما امتنع الأستاذ زاد في المبلغ، ولما لم يجد نتيجة للمحاولة، قال: يا فضيلة الأستاذ إني أريد أن أقدم لكم خدمة لا أكثر ويدفعني إلى هذا حبي وتقديري، وهذا (شيك) على بياض فاكتب الرقم الذي تريد.. ورفض فضيلة المرشد بكل إباء، وقال: إن المال لا يشترى به غير العبيد، وما دمتم تتعاملون مع الشعوب بهذه الطريقة، وما دامت هذه عقليتكم في سياسة مستعمراتكم فإن ملككم زائل لا محالة.

ويقول: لقد عرفت كيف يتعاملون مع زعماء الأحزاب وقادتنا السياسيين.. لقد كانت الكلمات تنزل على صدري نزول الخناجر.. وتمثلت قول سليمان فيما روته عنه الآية الكريمة: (فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمالٍ فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) [النمل: 36]، في الرد استهزاء بالأسلوب الرخيص الذي استخدمه الاستعماريون في سياسة مستعمراتهم وشراء ذمم القادة والزعماء.. وفي الرد استهزاء بالمال، واستنكار للاتجاه إليه في مجال غير مجاله، مجال صاحب العقيدة وصاحب الدعوة..

وللأسف كان في صفوف الجماعة من خالف القائد في نظرته، وكانت حجته في ذلك لم لا نأخذ المال ونستعين به عليهم؟!.. وكان جواب القائد: إن اليد التي تمتد لا تستطيع أن ترتد، وإن اليد التي تأخذ العطاء لا تستطيع أن تضرب.. إننا مجاهدون بأموالنا وليس بأموال غيرنا وبأنفسنا وأرواحنا لا بأرواح غيرنا[15].

حسن البنا.. ومراحل دعوته

عدنا بعد حفل الشاي الذي أقامه الإخوان لرجال الفكر والجامعة بالإسكندرية في نادي حديقة (أنطونيادس)[16] إلى دار شعبة الإخوان بمحرم بك وكانت فئة المستمعين هنا تختلف عن فئة المستمعين هناك في حفل الشاي فاختلف أسلوب الدعوة والداعية.

في هذه المرة أخذ فضيلة المرشد يشرح دعوته ومراحلها مستعملا أسلوب التشبيه وضرب الأمثال، هذا الأسلوب الذي يجيء في القرآن الكريم لزيادة الإيضاح والبيان..

.. ذكر فضيلته أن وزيراً حدثه فقال: أنت يا فضيلة المرشد مثلك في هذه الدعوة كرجل ورث مع أهله قصراً فخماً كبيراً مضى عليه أكثر من ألف عام، وهذا القصر بدأ يتهدم وأصبح آيلاً للسقوط.. فرأيت أن تجمع ورثة هذا القصر جميعاً وتشاورهم في أمر إعادة هذا القصر إلى بهائه وروعته وإدراكه بالإصلاح والترميم قبل أن يسقط.. ولكن الجميع رفضوا ذلك، بعضهم احتج بأن القصر لا فائدة من محاولات إنقاذه فقد استهلك وأدى دوره وانتهى زمانه وأن إصلاحه عبث لا طائل

---

[15] انظر: كتاب "حقائق وأسرار" للأستاذ محمد العدوي ص 18, 19.
[16] انظر: موضوع (حسن البنا.. ورجال الفكر والثقافة) في هذا الكتاب.

من ورائه، وبعضهم اعتذر بشيخوخته وكبر سنه وضعفه وخور قواه ووهن عزيمته حتى أنه لم يعد له أمل في الحياة، وبعضهم رآى أن هذا العمل يحتاج إلى إمكانيات مالية فتعلل بضيق ذات يده.. وهكذا تخلى الجميع عن مسئولياتهم نحو قصرهم وإعادة مجده..

ومضى فضيلته في سرد القصة..

وحدث الرجل نفسه قائلاً: ولقد كنت مقدراً لو تعاون معي الورثة تعاوناً وثيقاً، فإنه بالإمكان أن نختصر الوقت في إصلاح القصر حتى يتم ذلك فيما لا يزيد على عشرين عاماً، فلما رفض الورثة التعاون معي رأيت أن لا أتخلى عن واجب الوفاء لإنقاذ قصرنا التليد وإعادته إلى شموخه، وقلت في نفسي المهم هوالوصول إلى الإصلاح طال الزمن أم قصر، وتوكلت على الله ومضيت في العمل مستعينا بحوله وقوته، وأحطت القصر بسور عال كما يفعل في تجديد العمارات الآيلة للسقوط في المدن الكبيرة، وحجبت القصر عن الأعين تماماً.. وأخذت أجوب القرى والكفور والمدن مدينة مدينة وقرية قرية وكفراً كفراً أثير الهمم وأشحذ العزائم وأبني لبنة لبنة، حتى إذا اكتمل القصر واطمأننت إلى قوة بنيانه أزحت عنه الحجب ورفعت عنه السور الذي أخفاه عن الأعين..

وفوجئ الناس بالقصر شامخاً قوياً جديداً، ودهشوا متى وكيف تم ذلك؟! ثم أشاعوا من أين المال، ومن أين الرجال؟!.

***

شبه الإمام الدعوة يوم قيامه بها بقصر متداع انصرف عنه ورثته وتخلوا عن عبء القيام بإصلاحه وإعادة مجده، فحمل هو وحده مسئولية إقامة القصر من جديد.

وأشار فضيلته إلى مراحل دعوته التي بدأها باتصلات ومحاولات لحفز همم رجالات الأمة وهيئاتها للعمل على إعادة كيان الأمة الإسلامية واستئناف دورها الحضاري، ولكن كانت نتيجة هذه الجهود في هذه التعلات والمعاذير التي وردت في القصة، ويمكن الرجوع إلى حقيقة هذه الاتصالات في الفترة التي قضاها بالقاهرة طالباً بكلية دار العلوم والتي كتب عنها في كتابه "مذكرات الدعوة والداعية".

لقد نشأت دعوة الإخوان المسلمون في نهاية العشرينيات وتبلورت أهدافها أول ما تبلورت في نفس الإمام البنا، وقد أجمع الذين عاصروه والذين كتبوا عنه من معارضيه ومؤيديه أنه كان داعية متمكناً من دعوته فاهما لمضمونها الاجتماعي والحركي مدركاً لما يحيط بها وما ستواجهه من أخطار وما يجب عليه أن يحققه من أهداف..

وإيمان الداعية بدعوته وتمكنه منها أول بوادر النجاح والنصر لها، لهذا حرص الإمام البنا من أول يوم في دعوته أن يحدد الأسس العقائدية والحركية لها تحديداً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، ولكن التكتيك الحركي اقتضاه بأن لا يكشف عن مراحل دعوته ومعالم طريقها بشكل كامل منذ اليوم الأول لانطلاقه، ولهذا لم يفصح عن جميع أهداف دعوته ووسائلها جملة واحدة فيلفت إليها أنظار الأعداء المتربصين بها فيضربونها قبل أن يشتد عودها ويكثر أتباعها، ولهذا كانت خطط الدعوة واضحة بالنسبة للإمام البنا وضوح الشمس في رابعة النهار، كما كانت مراحلها محددة ومتكاملة في نفسه، إلا أنه لم يكن يفصح عنها إلا لخاصة الإخوان بين الفينة والأخرى، أما بقية الناس فكانوا لا يعرفون عن أهداف الدعوة ووسائلها إلا الأهداف والوسائل المرحلية الآنية التي كان يعلنها في أحاديثه وخطبه للناس كافة.

اتجه الإمام البنا إلى عامة الناس، فاتصل بهم عن طريق المساجد والندوات والمقاهي على طول القطر من أسوان إلى الإسكندرية من خلال عشر سنوات طول، لم يدع مدينة أو قرية إلا ونزل بها واتصل بأهلها مبلغاً دعوته عاملاً على بناء الجماعة قوية شامخة..

وهذه هي المرحلة الأولى التي أوفت على غايتها ثم جاءت بعدها مرحلة جديدة بعد عشر سنوات قضاها في بناء جيل من الشباب وإعداده بالتربية الصالحة والتنظيم النافع بعيدا عن الدعاية.

والحقيقة أن هذه الدعوة بقيت مجهولة للأعداء، إذ كانوا يعدونها واحدة من الطرق الصوفية أو جمعية دينية تقليدية من الجمعيات التي كانت منتشرة في مصر آنذاك، التي لا يتعدى نشاطها الميدان الاجتماعي، حتى استصدر الإخوان رخصة بمجلة (النذير – سياسية أسبوعية)، التي صدر العدد الأول منها في مايو 1938، وقد ظهر منها واضحاً اتجاه الإخوان الوطني وابتداء اشتراكهم في الكفاح السياسي في الداخل والخارج.

حسن البنا.. في مؤتمراته ولقاءاته

المؤتمر الدوري الخامس

بعد مرور عشر سنوات على قيام جماعة الإخوان المسلمون، دعا الإخوان إلى المؤتمر الدوري الخامس الذي عقدوه بسراي آل لطف الله بالجزيرة 1357 هـ، وكنت يؤمئذ لا أزال طالباً بمدرسة محمد علي الصناعية بالإسكندرية، ولم

يسعدني حظي بحضور هذا المؤتمر التاريخي حيث كانت الامتحانات على الأبواب.. ولكنني بلهفة وشوق ترقبت عودة من حضره من إخوان الإسكندرية لأسمع منهم أخبار هذا المؤتمر، فأعوض بهذا شيئاً مما فاتني..
وحين عادوا، التقينا بهم وتحدثوا إلينا عن مشاهداتهم والنشوة التي كانوا يشعرون بها من روعة هذا المؤتمر الجامع.
لقد كان المؤتمر ممثلاً لجميع الإخوان في مختلف أقاليم القطر المصري، فلم تتخلف شعبة واحدة عن إيفاد من يمثلها في هذا المؤتمر الجامع.. وبعد أن قامت فرق الجوالة باستعراض قوي في القاهرة هز النفوس وأحيا معاني الجهاد بشعاراتها القوية، تولت الإشراف بدقة على نظام المؤتمر..
وأشد ما أثر في نفوس الإخوان هو "الخطاب الجامع" الذي ألقاه فضيلة المرشد العام في المؤتمر، هذا الخطاب الذي يعتبر تطوراً جديداً، بل بعثاً جديداً لمفهوم دعوة الإخوان وكشفاً واضحاً صريحاً لمنهجهم ورسالتهم في العالم أجمع.
ومن الأساليب الإعلامية المبتكرة للإخوان في هذا المؤتمر – في ذلك الحين – هو قيامهم بإعداد خطاب فضيلة المرشد مطبوعاً قبل انعقاد المؤتمر على صفحات مجلة "النذير" التي كانت تنطق باسمهم، وقيامهم بتوزيعه على الحضور في المؤتمر بعد انتهاء الأستاذ من إلقائه.
وقد لفت نظري في دعوة الأستاذ المرشد إلى المؤتمر، أنه دعا (علي باشا إسلام) وهو شخصية كبيرة ومن المحبين للإخوان في مدينة بني سويف ليقوم بافتتاح هذا المؤتمر، فقد كانت الصحافة والرأي العام لا يهتمان إلا بالمؤتمرات التي يحضرها الأعيان والوجهاء، فكان لا بد أن يستعان بأحد هؤلاء الوجهاء المشهود لهم بالسمعة الطيبة وحسن الخلق ومحبة الناس له.. وهنا أدركت أن هذا من التدابير التي اتخذها فضيلة المرشد للدعاية لهذا المؤتمر الكبير، ومن ذلك اختياره سراي آل لطف الله بالجزيرة، وهي دار لها شهرتها لتكون مكانا للمؤتمر.
وبالفعل صدرت جريدة "الأهرام" في اليوم التالي وهي تنشر على إحدى صفحاتها أخبار هذا المؤتمر وصورة فوتوغرافية لعلي إسلام باشا وهو يفتتح المؤتمر ويخطب فيه وبهذا استطاع الرأي العام أن يتعرف على كل شيء يتعلق بأهداف جماعة الإخوان، ورحم الله إمامنا الشهيد الذي كان يعطي لكل موقف ما يناسبه من الرجال ويعرف لكل موقف ما يلائمه ليصل به إلى ما يحقق الدعوة في صبر وحلم وأناة.
وقد أصدر الإخوان رسالة "المؤتمر الخامس"، وهي خلاصة الخطاب الجامع الذي ألقاه الإمام الشهيد في هذا المؤتمر، إذا اطلعت عليها يا أخي يتضح لك أن هذا الخطاب كان حديثاً من القلب للأستاذ القائد إلى مندوبي شعب الجماعة في مختلف مناطق القطر، يقدم لهم فيه تقريراً عن جهاد عشرة أعوام، هي عمر الجماعة يومئذ.

اجتماع رؤساء المناطق والشعب ومراكز الجهاد

دعا المركز العام للإخوان المسلمون رؤساء المناطق والشعب ومراكز الجهاد في جميع أنحاء المملكة المصرية إلى الاجتماع في اليوم الثاني من عيد الفطر 2 من شوال 1364 هـ الموافق 8 من سبتمبر 1945 م للنظر في موقف الإخوان من الحقوق الوطنية في هذه الآونة.
وقد لبى الدعوة ألفان وخمسمائة عضو يمثلون فروع الهيئة ودام الاجتماع برئاسة فضيلة المرشد العام حوالي أربع ساعات، وتناول المجتمعون فيه بالبحث موقف الجماعة من الحقوق الوطنية، كما تناولوا موضوع القانون رقم 49 لسنة 1945 الذي أصدرته وزارة الشئون الاجتماعية الخاص بالجمعيات[17]، وبعد مناقشات أصدروا القرارات الآتية:
يقرر المجتمعون باعتبارهم الجمعية العمومية للإخوان المسلمون التي تمثل مناطقهم وشعبهم في المملكة المصرية ما يأتي:

- أولاً: فيما يتعلق بموقف الإخوان المسلمون بمناسبة صدور القانون رقم 49 لسنة 1945 الخاص بتنظيم الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية:

إن جماعة الإخوان المسلمون هيئة إسلامية جامعة تعمل لتحقيق المقاصد والأغراض التي جاء بها الإسلام ومنها:

1- الغرض العلمي: وهو شرح دعوة القرآن الكريم شرحاً دقيقاً، وعرضها عرضاً يوافق روح العصر ويرد عنها الأباطيل والشبهات.

---

[17] أصدرته وزارة السعديين برياسة النقراشي في إبريل 1945، ويهدف هذا القانون إلى وضع القيود وخلق العقبات أمام الجمعيات وتكوينها وإعطاء الحكومة حق حل الجمعية إذا اشتغلت بالسياسة وترجع بداية إصدار هذا التشريع مع وزارة الوفد سنة 1942. وتطور علي يديها سنة 1950.. لقد كانت هيئة الإخوان هي الهيئة الوحيدة المقصودة بهذا القانون ليقذفوا بها بعيداً عن ميدان السياسة ويضعوا كل أنشطتها تحت رقابتهم، ويظل العمل السياسي حكراً على تجارب الأحزاب السياسية وخدم المستعمر وعبيد السراي.

2- الغرض العملي: وهو جمع كلمة الأمة المصرية، والأمم الإسلامية عامة على هذه المبادئ حتى يتكون رأي إسلامي عام يعمل على نصرتها وتحقيقها:
3- الغرض الاقتصادي: وهو يرمي إلى تنمية الثروة القومية من زراعية وصناعية وتجارية، ويعمل على تحريرها وحمايتها.
4- الغرض الاجتماعي: وهو يحقق رفع مستوى المعيشة وكفالة التوازن الاجتماعي بين الأفراد والطبقات وضمان تكافؤ الفرص للجميع بمكافحة المرض والفقر والجهل والرذيلة وتشجيع أعمال البر.
5- الغرض الوطني القومي: وهو تحرير وادي النيل، والمساهمة في العمل على استقلال البلاد العربية والشعوب الإسلامية من كل سلطان أجنبي، واستنقاذ الأقليات الإسلامية في كل مكان ومساعدتها على الوصول إلى حقها وتأييد الوحدة العربية والسير إلى الجامعة الإسلامية.
6- الغرض العالمي: وهو المشاركة في بناء السلم العالمي على قواعد من الأخوة الإنسانية والعدالة الدولية، وتجلية مبادئ الإسلام العالمية التي تحقق هذه القواعد ليقوم النظام العالمي على أساس جديد من تآزر المادة والروح.

ووافق المجتمعون على التعديل المعروض للقانون العام وفقاً لهذه الأغراض.

- ثانياً: فيما يتعلق بموقف الهيئة من الحقوق الوطنية، فقد قرر المجتمعون ما يأتي:

1- من حق مصر أن تنال حقوقها الوطنية ومن واجب بريطانيا والأمم المتحدة أن تعترف لها بذلك، وفي مقدمة هذه الحقوق:
   أ- جلاء القوات الأجنبية جميعاً عن أرض وادي النيل فوراً.
   ب- حل مسألة السودان حلاً سريعاً على أساس أن مصر والسودان وطن واحد للسوداني ما للمصري من حقوق وعليه ما عليه من واجبات.
   ت- قناة السويس أرض مصرية تقوم مصر وحدها بحراستها وحمايتها وتنظيم شئونها.
   ث- رفع جميع القيود الاقتصادية والتجارية والمالية والنقدية التي قبلتها مصر مساهمة منها في المجهود الحربي[18]. واستيفاء ديون الأرصدة الاسترلينية والديون الأخرى التي لمصر على انجلترا.
2- مطالبة الأمم المتحدة – تطبيقاً لميثاق الأطلنطي الذي أعلنته – أن تعترف بحق الوطن العربي والإسلامي في الحرية والاستقلال، واستنكار كل تصريح أو رأي يرمي إلى انتقاص حقوق هذه الأمم وتشجيع الاستعمار الظالم على التدخل في شئونها.
3- يرى المجتمعون أن من واجب الهيئات والأحزاب والجماعات أن تنتهز هذه الفرصة التي إن فاتت فلا تعوض، للعمل مجتمعين أو منفردين على هذه الأهداف بوسائل يتفق عليها. وعلى المركز العام للإخوان المسلمون أن يؤلف لجنة تذكرهم بواجبهم وتدعوهم إلى القيام به إبراء للذمة وإعذاراً إلى الله والناس.
4- على المركز العام للإخوان المسلمون أن يقوم بواجبه كاملاً في هذه الساعات الفاصلة بأن يعمل بكل الوسائل لتحقيق هذه الغايات ومن ذلك:
   أ- إذاعة البيانات والنشرات.
   ب- عقد المؤتمرات في عواصم المحافظات والمديريات والمدن الهامة.
   ت- الدعوة لعقد مؤتمر عربي إسلامي في إحدى عواصم الأقطار العربية لتنسيق خطة العمل المشترك بين الشعوب العربية والإسلامية والبدء في ذلك منذ الآن بإرسال مندوبين من المركز العام للإخوان المسلمون للتفاهم على ذلك مع الهيئات الوطنية والإسلامية المختلفة في هذه البلاد.
   ث- إرسال الوفود والبعثات إلى عواصم الدول الكبرى لبث الدعوة وتنوير الشعوب والحكومات في القضية الوطنية والإسلامية.
5- إن مصر والأمم العربية والإسلامية، وهي ترى من واجبها أن تساهم في الأمن العالمي وفي بناء الحضارة الجديدة على أساس العدالة والمساواة، لم تعد غافلة ولا لاهية عما يدور حولها من أحداث جسام واتفاقات ومؤتمرات تتناول مصالحها الجوهرية وحقوقها الطبيعية. وإن من حق أية دولة أن تمثل في أي اجتماع يتصل بهذه الحقوق والمصالح، فإذا لم تدرك الأمم الكبرى هذه الحقائق فإن المجتمعين – وهم الحريصون على استقرار الطمأنينة والسلام – يدركون

[18] في الحرب العالمية الثانية، فقد كانت مصر حليفة لبريطانيا في هذا الوقت.

أن الشعب المصري والشعوب العربية والإسلامية ستضطر اضطراراً إلى الوقوف من الدول المعتدية في الخارج والحكومات غير الوطنية التي تصادفها في الداخل موقفاً لا يعين على التعاون العالمي المنشود الذي هو أمنية الجميع.

6- بما أن العالم الآن تتقاذفه عدة تيارات فكرية ونفسانية، وبما أن الشعور العالمي قد تهيأ للرجوع إلى الهدوء الروحي، وبما أن كلمة الدول الكبرى قد اجتمعت على أن من حق كل أمة أن تضع نظامها الداخلي كما تريد، وبما أن الفكرة الإسلامية قد ظفرت بالتقدير الكامل في مؤتمر لاهاي 1938، وفي مؤتمر واشنطون 1942، وبما أنها في حقيقتها أكمل نظام اجتماعي للمسلم وغير المسلم عرفته الإنسانية، وبما أن الدستور المصري ينص في المادة 149 على أن "الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية" فإن من واجب الحكومة المصرية كائنة ما كانت أن تعمل على تحقيق ذلك عملياً وأن يكون من مظاهر ذلك:

أ- أن تعلن أنها حكومة إسلامية تلتزم أحكام الإسلام وتدعو إليه وتمثل فكرته دولياً.

ب- أن تحترم فرائضه وتقاليده رسمياً وتلزم بها موظفيها وعمالها المسلمين.

ت- أن تحرم المنكرات التي يحرمها الإسلام من الخمر وما يتصل بها والزنا وما يمهد له والربا وكل ما يمحق المال من قمار وكسب حرام.

ث- أن يستند التعليم على التربية الإسلامية ويحقق في نفوس المتعلمين فضائل الإسلام العليا ويثقفهم في أحكامه.

ج- أن تكون الشريعة الإسلامية المصدر الأول للقانون.

ح- أن تصدر الحكومة عن هذا التوجيه الإسلامي في كل تصرفاتها العامة والخاصة.

7- يرفع المركز العام هذه القرارات إلى الجهات الرسمية وإلى ممثلي الدول العربية والإسلامية والأجنبية وتنشر في الصحف ويصدر بها عدد خاص من مجلة الإخوان المسلمون.

المؤتمر الشعبي الأول بالقاهرة

بعد أن عاد محمود فهمي النقراشي باشا بعد إلقاء خطابه بالجمعية العمومية للأمم المتحدة، قام الإخوان المسلمون بعمل مؤتمرات شعبية لتأييد المطالب الوطنية بجلاء القواب البريطانية عن أرض مصر. فقادوا المظاهرات وأعلنوا عن يوم الجلاء ويوم الحريق، فكانوا يجمعون كل الكتب والمجلات الإنجليزية ويحرقونها في الميادين العامة في عواصم المحافظات، كما قاموا بتوزيع آلاف من شارات الجلاء، وأنزلوا كل اللافتات المكتوبة باللغة الإنجليزية من المحال التجارية.

وكان المؤتمر الأول بمدينة القاهرة في أحد أيام عيد الأضحى المبارك، حيث اجتمع له أكثر من نصف مليون مواطن لم تتسع لهم دار الإخوان المسلمون، ففرشت الشوارع المحيطة بميدان الحلمية الجديدة بالحصير، وخطب في هذا المؤتمر الأستاذ السكري والأستاذ لويس فانوس عضو مجلس الشيوخ. وحين دعى الأستاذ المرشد لإلقاء كلمته قام من وسط الجماهير حيث كان يجلس معهم على الحصير.

وتحدث – رحمه الله – في هذا المؤتمر، فكان مما قال:

إننا نحن المصريين نطالب بجلاء القوات البريطانية عن الوطن العربي والإسلامي، وفي نفس الوقت لا نزال نتعامل معهم ونجاملهم، وليس هذا الأسلوب بمخرجهم من بلادنا. إننا في حاجة إلى شعور من البغض ينبع من قلوبنا، ومن فقه عقيدتنا.. إنه لا يمكن خروج الأعداء بالمعنى السياسي وحده ولا المصلحة وحدها، ولكن لا بد من عامل العقيدة أولاً، فلا بد من أن يدفعنا إلى ذلك شعور من البغض، وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟! ولهذا فأنا أقول لكم إذا سلم عليكم إنجليزي فاغسلوا أيديكم سبع مرات بالماء إحداهن بالتراب.

ثم قال: يجب أن يعلم كل مصري أن مصر تدين بريطانيا العظمى بحوالي 500 مليون جنيه استرليني، وعلى هذا يكون نصيب كل فرد عشرين جنيهاً، فيجب على كل مصري أن يطالب بحقه في هذا الدين.

ثم قال: ليعلم كل مصري أن بريطانيا قد خرجت من الحرب العالمية الثانية فقيرة ومدينة لجميع الدول وأصبح مثلها الآن في نظر الشعوب "كخيال المآتة" الذي يضعه المزارعون في وسط المزارع ليرهبوا به العصافير والطيور، أو مثل رجل غني أصابه الفقر وباع كل ما يملكه سوى بدلة "ريدنجوت" أبقى عليها وحدها ليلبسها في الحفلات الكبرى ليظن الناس حين يخرج بها أنه لا يزال بجاهه وغناه.

وختم الأستاذ المرشد – رحمه الله – خطابه فقال:

إننا يجب أن نرضع أطفالنا كراهية وبغض الإنجليز، وسنجعل من قنوتنا في الصلاة "اللهم رب العالمين وأمان الخائفين ومذل المتكبرين وقاصم الجبارين.. تقبل دعاءنا وأجب نداءنا وأنلنا حقنا ورد إلينا حريتنا. اللهم إن هؤلاء الظالمين قد طغوا

في البلاد فأكثروا فيها الفساد، اللهم فرق جمعهم وفل حدهم وشتت شملهم واجعل بأسهم بينهم شديداً واهزمهم وانصرنا عليهم".
.. ثم قال في قوة وحماس: سوف نعلم أولادنا الحرية والوطنية كما نعلمهم السورة من القرآن.. (إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم). كما نعلمهم اخرجوا من بلادنا مصر والسودان وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق وسائر بلاد المسلمين.
وضج المؤتمر بالهتافات التي دوت في كل الأرجاء، واختتم في ساعة متأخرة من الليل وبات آلاف الإخوان في القاهرة والأقاليم في الأرض الفضاء المعدة لبناء دار الطباعة والنشر الإسلامية المقابلة لمسجد قيسون بشارع محمد علي.
وفي أرض دار الطباعة والنشر أمام مسجد قيسون بشارع محمد علي وقف الأستاذ المرشد على منصته وظل الإخوان يسلمون عليه أفراداً إلى قبيل الفجر.. ولازلت أذكر وأنا أقف في الصف الطويل كي أسلم على فضيلته، قول أحد الإخوة وهو يسلم عليه: "هل تذكرني يا فضيلة المرشد؟" فنظر إليه ثم قال له: "نعم أذكرك، ألست فلانا الذي ألقى قصيدة في حفل طنطا مطلعها كذا". وكنت قبل أن يرد عليه الأستاذ في غاية الإشفاق في هذا الموقف الحرج، كما كنت غير مستسيغ لمثل هذا السؤال، فالأستاذ المرشد كثيراً ما يسلم على كل أخ باسمه، وأحيانا يستوقفه ليسأله عن بعض شأنه، والحديث يطول في الإحاطة بحدة ذاكرة الأستاذ المرشد التي ميزه الله بها.
ومن أجمل ما كان بعد انتهاء المؤتمر، هو تجول فضيلة المرشد بين الإخوان ولقاؤه بهم جماعات حتى أدركه الفجر فأدى صلاة الفجر بالإخوان في جامع قيسون ثم بدأت الوفود تنصرف.

المؤتمر الشعبي الثاني بالإسكندرية

وبعد انتهاء المؤتمر الشعبي الأول بالقاهرة دعا الإخوان المسلمون بالإسكندرية إلى عقد مؤتمر شعبي، وقاموا بالدعاية اللازمة، حتى احتشد أكثر من خمسة آلاف مواطن داخل المكان وهو المعد للحفل في نهاية شارع محرم بك (سينما لوتس الصيفي) كما حرص الإخوان في هذا المؤتمر على توفير كل وسائل الأمن والمحافظة على النظام. وسارت جوالة الإخوان بالإسكندرية لاستقبال فضيلة المرشد وصحبه حين حضورهم بالقطار في المحطة، وعندما وصل القطار تعالت الهتافات "بشراك يا مصر"، كما ردد الإخوان هتافهم "الله أكبر ولله الحمد" مدويا في كل الأرجاء، ونزل من القطار الوفد المرافق للأستاذ المرشد ليقول لنا: إن الأستاذ سيلتقي بكم في شعبة محرم بك.. وشعر الإخوان بشيء من الضيق، ولكن لم يسعهم إلا الانصراف بنفس النظام إلى الشعبة في مظاهرة إسلامية رائعة، والشرطة تراقب دون أي تدخل.
وبعد أن انصرف الإخوان من محطة السكة الحديد خرج الأستاذ المرشد من المحطة ذاتها في هدوء وركب عربة "حنطور" وسار في الطريق إلى شعبة محرم بك، ولم نلتفت لهذا الموقف إلا بعد أن وصلنا، حيث فهمنا من ذلك أن الأستاذ المرشد لم يرغب في هذه الصورة من الاستقبالات التي درجت عليها الطرق الصوفية والأحزاب السياسية التي تحيط الشيخ أو الزعيم بهالة من القداسة.
وفي المساء تحدث فضيلته في المؤتمر الذي كان من حضوره الأستاذ فؤاد سراج الدين سكرتير حزب الوفد وآخرون.. وكان من كلامه – رحمه الله – "إن الإسلام نظام شامل كامل، فإذا كان بعض المسلمين يجهلون شمول الإسلام، فإننا نعذرهم، إذا صح أن الجهل عذر".
ولازلت أذكر هذا المثل الدقيق، الذي صور به حقيقة الإسلام وحال الناس في نظرتهم إليه أجزاء وتفاريق، فكان يقول: إنني أمثل الإسلام كهرم كبير له أربعة أركان، إذا وقف أحد أمامه لا يرى إلا وجهاً واحداً وركناً واحداً، فيقول: إن الإسلام عبادة، ويقول الثاني الذي يقف أمام ركن آخر: إن الإسلام تصوف، ويقول الثالث الذي يقف أمام ركن آخر: إن الإسلام معاملة، ويقول الرابع الذي لا يرى إلا ما يقف أمامه: إن الإسلام سياسة، وكل منهم يتعصب لرؤيته الخاصة.. وهكذا تتعدد آراؤهم وتصوراتهم بحسب ما رأوا من أركان الإسلام، والحقيقة أن الإسلام هو كل هذا الذي رأوه مجتمعين، ولكنهم لن يدركوه كاملاً ولن يحيطوا به كله إلا إذا وقفوا على قمة الهرم، وساعتئذ تنكشف لهم حقيقة الإسلام المتكاملة مرة واحدة.
وبعد أن انتهى المؤتمر الذي استمر أكثر من ثلاث ساعات متصلة ازدحم الناس ليسلموا على فضيلته، فأقبل عليهم بانشراح وبعد أن انتهى خرج إلى الباب فوجد الأستاذ فؤاد سراج الدين ينتظره بسيارته، فلما دعاه ليركب معه شكره واعتذر له حيث إن شعبة محرم بك على مقربة من المكان.
ولما وصل فضيلته إلى شعبة محرم بك وقف الإخوان من حوله يسلمون عليه، وقد لاحظت أن بعض الإخوة يعودون مرة أخرى للسلام، فطلبت من الإخوان أن ينصرفوا حتى يعطوا فضيلة المرشد فرصة للراحة، فانصرف الإخوان.

وحين ذهبنا إلى منزل المهندس محمد القراقصي للمبيت عنده طلبني الأستاذ وسألني في عتاب: لماذا أمرت الإخوان في شعبة محرم بك بالانصراف؟ فقلت: لأنني أشفقت على فضيلتكم من التعب والإرهاق، فقال: ومن قال إنني متعب. قلت: السفر طويل والمؤتمر استمر أكثر من ثلاث ساعات، ثم إن بعض الإخوة يسلمون عليك أكثر من مرة. فقال: وهل هذا تعب؟! قلت: نعم. قال: كنت أظن أنك قد فهمت، ولكن يبدو أنك لم تفهم، إن سعادتي لا تقدر حين أضع يدي في أيدي إخواني..إنها روح وحياة وسعادة تمسح التعب وتزيل الألم والإرهاق. فأطرقت خجلاً وبدأت أفهم بل أتذوق.
وحين جاء موعد تناول طعام العشاء، جلسنا على المائدة وكان فضيلته يقوم بنفسه يتوزيع الطعام علينا، ويرغبنا في الأصناف الموجودة، ويتناول معنا الأحاديث التي تدخل علينا السرور، ذلك أنه كان يتلطف معنا بصورة ترفع عنا الحرج والتكلف وتشعرنا بالحب والأخوة الصادقة، حتى يشعر كل واحد منا بأنه أقرب الإخوان إلى قلبه.
وفي صباح اليوم التالي غادر الإسكندرية في أمان الله إلى دمنهور حيث دعى لصلاة الجمعة في مسجد الزرقا.

لقاء مع مراسل أجنبي

جاء إلى المركز العام للإخوان المسلمون بالقاهرة كالعادة مراسل إحدى الصحف الكبرى في أمريكا وطلب مقابلة الأستاذ المرشد.
وفي المقابلة سأل الأستاذ البنا عن فكرة الإخوان المسلمون وغايتهم، ولما كان الأستاذ لا يجيد غير اللغة العربية، فقد تولى شباب الإخوان الترجمة، ولكن الأستاذ لاحظ أن انطباعات وجه المراسل تدل على أنه لا يفهم جيداً ما يقال له.. فقال الأستاذ المرشد للإخوة الذين يقومون بالترجمة:
قولوا له: هل قرأت شيئاً عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟.
قال المراسل: نعم قرأت.
قال الأستاذ: هل عرفت تاريخ الإسلام وكيف كان يحكم ثلث العالم بالعدل.
قال المراسل: قرأت ذلك وتعجبت.
قال الأستاذ: قولوا له، إن دعوة الإخوان المسلمون هي نفس الدعوة ونفس الغاية، ولكن بدون نبي ورسول، لأن الإسلام خاتم الأديان والنبي محمد خاتم الأنبياء.
فتبسم المراسل، ودعاه الأستاذ البنا لفنجان من الشاي وودعه حتى الباب.

المؤتمر الأول
لطلاب الإخوان المسلمون

في شهر فبراير عام 1938 م أقام قسم الطلاب بالإخوان المسلمون مؤتمراً عاماً، واختاروا مقر المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة مكاناً انعقد فيه هذا المؤتمر الحافل.
واتخذ الطلاب الترتيبات الكفيلة بأن يكون مؤتمرهم في مستوى جلال الدعوة التي ينتسبون إليها وأن يأتي بالثمار المرجوة منه بتوفيق الله. فأعلنوا عنه في الصحف والجرائد اليومية، وطبعوا بطاقات للدعوة إليه، ووجهوا الدعوة إلى الصحفيين والمصورين ورؤساء الجمعيات الإسلامية وأساتذة الجامعة والمهتمين بالقضايا الإسلامية للحضور.
وقد احتشدت قاعة جمعية الشبان العامة للمحاضرات بالآلاف من الطلاب والأساتذة. وكانت سكرتارية المؤتمر للأستاذ حامد شريت الذي افتتح المؤتمر بكلمة طيبة حول الدعوة، وتكلم الشيخ محمد نايل مندوب كلية اللغة العربية، كما ألقى الأستاذ محمد الجنيدي جمعه كلمة الإخوان بالأزهر ودار العلوم في موضوع "الإسلام والوطنية"، وألقى الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد كلمة طلبة الإخوان بالجامعة والمدارس الثانوية والفنية.. وبعد ذلك نهض الإمام الشهيد فألقى خطابه الجامع حول موضوع "الإسلام والسياسة" حيث وفقه الله في توضيح معنى السياسة واعتبر السياسة جزءاً لا يتجزأ من الإسلام، وأعلن موقف الإسلام من الحزبية السياسية فقال: (لقد لقد آن الأوان أن ترتفع الأصوات بالقضاء على نظام الحزبية في مصر وأن يستبدل به نظام تجتمع به الكلمة وتتوحد به جهود الأمة حول منهاج قومي إسلامي صالح..)، وفي شمول الإسلام قال: (أنا أعلن أيها الإخوان من فوق هذا المنبر بكل صراحة ووضوح وقوة: إن الإسلام شيء غير هذا المعنى الذي أراد خصومه والأعداء من أبنائه أن يحصروه فيه ويقيدون به وأن الإسلام: عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة وخلق ومادة وثقافة وقانون، وأن المسلم مطالب بحكم إسلامه أن يعنى بكل شئون أمته ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.. وأعتقد أن أسلافنا رضوان الله عليهم ما فهموا للإسلام معنى غير هذا، فبه كانوا يحكمون وله كانوا يجاهدون وعلى

قواعده كانوا يتعاملون وفي حدوده كانوا يسيرون في كل شأن من شئون الحياة الدنيا العملية قبل شئون الآخرة الروحية، ورحم الله الخليفة الأول إذ يقول: لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله.
ومضى فضيلته يقول: بعد هذا التحديد العام لمعنى الإسلام الشامل ولمعنى السياسة المجردة عن الحزبية، أستطيع أن أجهر في صراحة بأن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسياً بعيد النظر في شئون أمته مهتماً بها غيوراً عليها، وأستطيع كذلك أن أقول إن هذا التحديد والتجريد أمر لا يقره الإسلام وأن على كل جمعية إسلامية أن تضع في رأس برنامجها الاهتمام بشئون أمتها السياسية وإلا كانت تحتاج هي نفسها إلى أن تفهم معنى الإسلام..).
واسترسل فضيلته يبين كيف ينظم الإسلام أمر الحكومة ووظائفها، وكيف عرض الإسلام للقوانين الدستورية والمدنية الجنائية بفروعها المختلفة، وكيف قرر الإسلام سلطة الأمة، وكيف أرسى قواعد السياسة الخارجية والعلاقة بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم وتوجيه الدول كلها إلى السلام العالمي وهو ما يسمونه (القانون الدولي)، وكيف كفل الإسلام حقوق غير المسلمين ما دامت لا تضر بهم سواء كانت حقوقاً دولية أم كانت حقوقاً وطنية للأقليات غير المسلمة.. كما تكلم رحمه الله في سعة التشريع الإسلامي وكيف أن تعاليم الإسلام وسياسته ليس فيها معنى رجعي أبداً بل هي على أدق قواعد التشريع الصالح، وأكدت ذلك مؤتمرات التشريع الدولية[19].
وانتهى هذا المؤتمر ونجح نجاحاً عظيماً في عرض مبادئ الدعوة، وقد نشرت جريدة "الأهرام" صفحة كاملة حول هذا المؤتمر وعرضت بعض الصور الفوتوغرافية لما كان يحويه من مستمعين وخصت كلمات الخطباء والمتحدثين.
وقد كانت جماعة الإخوان المسلمون قبل هذا المؤتمر تقبل المنتسبين إلى الأحزاب السياسية أعضاء بها، ولكن بعد هذا المؤتمر اشترطت تجرد المشترك من أي حزب باعتبار أن الإسلام لا يقبل الشركة وقد تضمنت أركان البيعة العشرة ذلك.

حسن البنا.. يطالب بحكم الإسلام

منذ أكثر من خمسين عاماً كتب الإمام الشهيد رضوان الله عليه رسالة إلى أحمد خشبة باشا وزير الحقانية (العدل) في مصر حينذاك، يعذر فيها إلى الله ويطالبه بالحكم بما أنزل الله، في الوقت الذي كان يعكف فيه على تربية جيله المؤمن الجديد.. وقد أفضى إلى ربه شهيد الدعوة التي عاش لها، وبقي الجيل الذي رباه أميناً مصراً، لا يرضى إلا بالحق، ولا يميل مع الريح.

***

(حضرة صاحب المعالي أحمد خشبة باشا وزير الحقانية..
أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تمسك بشريعته إلى يوم الدين، وأرفع إليك تحية الإخوان المسلمون فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
لست في حاجة إلى أن أتقدم إليكم بالبراهين الكثيرة والحجج المتضافرة على أن دواء هذه الأمة في رجوعها إلى هدى الإسلام في كل الشئون، وأول هذه الشئون القانون فأنت بحمد الله – فيما أعتقد – مقتنع بهذه الفكرة: سمعتك تتحدث بها وتدلل عليها وتعمل لها وأنت خارج الحكم، وأنت عضو في مجلس إدارة الشبان المسلمين، وأنت أمين صندوق اللجنة العامة للدفاع عن فلسطين، وأنت رئيس جماعة إحياء مجد الإسلام.
والآن "معالي الباشا" وقد جاء دور العمل وواجهنا الحقائق، ودخلنا بوتقة التجارب، وأصبحت وأنت شيخ القضاة ورأس المشرعين في مركز تستطيع أن تحقق ما يرجوه المسلمون جميعاً ويتمنونه، ويريدون الحصول عليه مهما كلفهم ذلك من أثمان، وما كنت أنت نفسك تتمناه وترجوه وتؤمن بصلاحيته وتعتقده، من وجوب تعديل القوانين، وتوحيد المحكمة المصرية حول الشريعة الإسلامية – الآن وقد صرت راعياً مسئولاً عن الرعية من ناحيتك.
إن صدور الأمة محرجة أشد الحرج لشعورها بأنها تحكم بغير كتاب الله وقانونه وشريعته، وأن الشعوب إن تعودت الصبر حيناً فإن الانفجار نتيجة طبيعية لهذا الصبر في كثير من الأحيان، وليس يحرج النفس شيء أكثر من الاصطدام بالعقيدة الراسخة الثابتة. وإن قوانيننا الحالية تنافي الإسلام وتصدمه وتحطمه في نفوس المؤمنين به وهم كل هذا الشعب، وقد تفتحت أذهان الأمة وأركت بُعد ما بينها وبين دينها في هذه الناحية فشعرت بالحرج الشديد إن بقيت الحال على ما هي عليه، فلا تلجئوا الناس إلى عصيان القوانين واحتقار الشرائع والتبرم بالقضاء وبالأحكام. يا "باشا" لنقف معاً بين يدي الله ونسمع معاً، ألم يقل الله تبارك وتعالى:

---

[19] انظر الخطاب بنصه كاملاً في "مجموعة رسائل الإمام الشهيد" – طبعة المؤسسة الإسلامية في بيروت (ص 155 – 169).

1- (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرج مما قضيت ويسلموا تسليماً) [النساء: 65].
2- (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس فاسقون. أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) [المائدة: 49-50] وفي بيان طويل يستفتح بالآية الكريمة (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) و (الظالمون) و (الفاسقون).
3- (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً) [النساء: 105].

هذا في الناحية الكلية، وفي الناحية الجزئية قد بين القرآن كثيراً من الأحكام في كثير من الشئون المدنية والجنائية والدولية والتجارية وما إليها، وأكدت الأحاديث الصحيحة كل ذلك أيدته، وما أنزلها الله وقدرها إلا ليعمل بها المسلمون، وينتهوا إلى حكمه فيها، ويستمدوا منها ويطبقوا عليها، فإذا كانت قوانيننا وشرائعنا والدستور نفسه مستمدة من معين غير هذا المعين مستقاة من مصادر أوربية بحتة: بلجيكية وفرنسية ورومانية وهي في الكثير من كلياتها وجزئياتها تتناقض تناقضاً صارخاً مع التعاليم الإسلامية الصريحة، فكيف يكون موقف المسلم الذي يؤمن بالله وكتابه فيما إذا عرضت قضية حكم فيها بغير ما أنزل الله وكان الحكم مناقضا لدين الله؟! وكيف يستحل القاضي هذه المخالفة، وكيف يستسيغها وكيف يتحمل تبعتها شيخ القضاة ووزير العدالة والتشريع بين يدي أحكم الحاكمين؟

أنقذونا يا "باشا" من هذا الحرج وأخرجونا من هذه الورطة، ولا تجعلوا أعمالنا تصطدم بعقائدنا وأنا أعرف كثيراً من الناس يفضل ضياع حقوقه مدنية أو جنائية أو تجارية على أن يقف بين يدي قاض بحكم بغير ما أنزل الله.

إن التبعة يا "باشا" كبيرة، ولئن كان هذا الحساب شديداً فإن هناك حسابا أشد، ومهمتنا التذكير، ولا يغني أن تتعلل بالمعاذير فإن الله لا ينظر إلا إلى القلوب، والأعمال.. هذا من الوجهة الروحية البحتة – ولنأت من الوجهة القانونية.

ألم يعترف كبار رجال القانون من مصريين وأجانب بأن الشريعة الإسلامية من أخصب منابع التشريع وأزكاها وأدقها وأشملها؟ ولم ننس بعد تصريح المسيو بيولاكازللي بوجوب تصحيح القواعد الفاسدة في القانون الفرنسي المعمول به في مصر طبقاً للشريعة الإسلامية، ولم ننس كذلك محاضرات المسيو لامبير وتصريحاته الخطيرة الواضحة في هذا الشأن، ولم ننس بعد تقارير مؤتمر لاهاي في الإشادة بالشريعة الإسلامية وامتداح نظرياتها القانونية والبحوث القيمة وكفايتها في التشريع التام. وفي مصر كثير من أعلام رجال القانون يؤمنون بذلك ويصرحون به ويودون أن يكلفوا الاضطلاع بهذا العبء. وعجيب أن يكون من بينهم المستشارون في المحاكم المختلطة بله المحاكم الأهلية، ومن هؤلاء محمد "بك" صادق فهمي رئيس محكمة المنصورة المختلطة، والأستاذ عبد الرزاق السنهوري "بك" عميد كلية الحقوق السابق، كما أشار إلى ذلك حضرة كامل "بك" مرسي، وعبد الفتاح "بك" السيد والأستاذ علي بدوي من أساتذة القانون في المحاكم وفي كلية الحقوق.

والبحث العلمي أعدل شاهد على صحة هذه النظريات، وما قال هؤلاء ما قالوا إلا بعد دراسات طويلة وبحوث عميقة خلدوا بعضها بكتاباتهم وبقي بعضها مستقراً في نفوسهم إلى الوقت المناسب، وليس المقصود من هذا الخطاب هذه الموازنات.

يا (معالي الباشا) إننا أمة مسلمة وقد وطدنا العزم على ألا نحكم بغير قانون الله وشريعة القرآن الكريم وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم مهما كلفنا ذلك من ثمن، ومهما بذلنا من تضحيات، وذلك أبسط حقوقنا كأمة لا تعدل باستقلالها في كل مظاهره السياسية والاجتماعية شيئاً، فأعينونا على الوصول إلى هذا الحق وارفعوا عنا هذا الحرج، ولا تلجئوا الأمة إلى سلوك سبيل المضطرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

حسن البنا.. يحول المواقف لصالح الدعوة

كان مساء الخميس من كل أسبوع في الدار القديمة للمركز العام بالحلمية من منتصف عام 1941 موعدا للقاء دائم لفضيلة المرشد مع الطلاب، وكانت محاضرة ذلك اليوم في موضوع "نظرة الإسلام للمرأة".. وفيما فضيلته يتحدث، إذا بجلبة تحدث خارج الصالة، ويتقدم أحد الإخوة بورقة مكتوبة، فيقرأها الأستاذ المرشد، ثم يستأذن معتذراً عن المحاضرة ويخرج.

وبعد فترة من الوقت يعتلي الشيخ عبد المعز عبد الستار المنصة ويتحدث إلينا في حماسة تبنئ أن في الأمر شيئاً، فنتبين بعده أن أمراً عسكرياً قد صدر بنقل الأستاذ المرشد إلى قنا.

لقد حاول الإنجليز أن يغروا الإخوان كما أغروا غيرهم من الهيئات الأخرى، ليسيروا في ركابهم أثناء الحرب ضد المحور.. ودهش الإنجليز، فلم تصادف الامبراطورية مثل هذا أبداً، فلا الجاه أغرى حسن البنا عندما عرضوا عليه مدرجات الجامعة

بدلاً من فصول الابتدائي، ولا المال خلب لبه عندما حاولوا بذله إليه بسخاء.. إذن فليستخدموا أسلوب البطش والتنكيل، والبلاد في هذا الوقت ترزح تحت الحكم العسكري، ودولة الحاكم العسكري هو حسين سري باشا المعروف بولائه لهم، وتم الاتصال بين السفارة البريطانية والباشا الحاكم العسكري ليصدر أمره بحل جماعة الإخوان المسلمون وإغلاق شعبهم! .. ولكن ما الدافع إلى هذا، قالوا: إن رئيسهم عدو لنا ولن نأمن وجوده في حالة الحرب هذه.. إذن أنفيه لكم إلى آخر الدنيا، اطلبوا أي شيء اطلبوا اعتقال قادة الإخوان بل اطلبوا اعتقال الإخوان، ولكن طلب حل جمعية دينية لا أستطيعه! ثم أصدر أمره إلى وزير المعارف وهو الدكتور محمد حسين هيكل آنذاك.. عندك مدرس بمدرسة عباس الابتدائية بالسبتية اسمه حسن البنا مطلوب نقله حالا إلى قنا، وأسرع هيكل إلى الاستجابة والتنفيذ.. وأبلغ حسن البنا بقرار النقل.

فجمع فضيلة المرشد نواب الشُعَبِ بالمركز العام في اجتماع عاجل وعرض عليهم أمر النقل، فأجمع الحاضرون على رفض النقل مع تقديم الأستاذ استقالته للتفرغ للدعوة.

ولكي تتفادى الحكومة الوقوع في حرج مع السادة في السفارة البريطانية، أصدرت أمراً عسكرياً بتنفيذ النقل بالقوة، وضحك فضيلة المرشد لما سمع الخبر وقال: "ناس لا يستطيعون الحصول على وظيفة، وناس لا يستطيعون ترك الوظيفة".

وبينما كان الأستاذ بالمركز العام ينتظر ما تسفر عنه الأحداث، إذا به يرى وزير المواصلات يقف بسيارته أمام المركز العام وينزل منها ثم يصعد للقاء المرشد العام على غير ميعاد، وكان القادم إبراهيم دسوقي أباظة سكرتير حزب الأحرار الدستوريين، وبعد أن سلم وجلس بدأ الحديث مباشرة: لعل فضيلة المرشد العام يعجب من قدومي على غير ميعاد أو سابق معرفة وتوفيراً للوقت أقول: لقد علم عبد العزيز باشا فهمي رئيس الحزب بالأمر العسكري الصادر بنقلك بالقوة إلى قنا فكلفني بدعوة عاجلة لمجلس إدارة الحزب فوراً واجتمع المجلس وعرض عبد العزيز باشا الأمر شارحاً أن الحزب لا يمكن أن يشارك في اضطهاد جماعة إسلامية ولا يتحمل هذه المسئولية والسابقة الخطيرة، وقرر انسحاب الحزب من الوزارة واستقالة وزرائه إو إلغاء الأمر العسكري والرجوع عن اضطهاد أي جماعة إسلامية. وفعلا أخذت استقالات الوزراء مع قرار الحزب وذهبت لمقابلة رئيس الوزراء وسلمته الاستقالات.

ودهش رئيس الوزراء وقال: ما هذا يا إبراهيم باشا؟ معنى هذا سقوط الوزارة وأنتم تعلمون معنى هذا جيداً. وكان ردي حاسما، هذا قرار من الحزب بعد دراسته ولا رجوع فيه.

وكيف يلغي الحاكم العسكري أمراً ولم يمض عليه 24 ساعة، أين كرامة الحكومة، ورد إبراهيم باشا هذا قرار نهائي.

وما العمل وكيف الخروج من المأزق. هناك حل واحد هوأن نقنع حسن البنا بتنفيذ أمر النقل وكأنه لا يعلم بالأمر العسكري، وأعد بشرفي أن ينقل ثانية إلى القاهرة بعد شهر. وقال إبراهيم باشا الأمر الآن بين يديك يا فضيلة المرشد إما أن تتمسك برأيك – وهذا حقك – أو ترجع عن استقالتك وتنفذ النقل وتسافر إلى قنا، وأعد بشرفي أنه إذا لم يوف رئيس الوزراء بوعده فلن نسحب الاستقالات.

ويدرس القائد الأمر بسرعة خاطفة ويرد، هذا موقف كريم للأحرار الدستوريين اتخذوه بدون طلب من أحد، بل من واقع إحساسهم، ولم يكن هناك سابق اتصال بالحزب.. الموقف الكريم يقابله موقف كريم يا باشا، هذه حقيبتي أعددتها للاعتقال سأسافر بها إلى قنا وأبلغ تحياتي إلى عبد العزيز باشا وجميع أعضاء مجلس إدارة الحزب[20].

ومما يذكر في هذا الشأن، أن مكتب الإرشاد قد اجتمع وتناول الأمر بالبحث والمناقشة، وتحمس أكثر الأعضاء لعدم تنفيذ الأمر، وبعد أن استفاضت المناقشات أخذ فضيلته الكلمة فقال: إن أمر الاستقالة والإصرار عليها سهل، ولكن أمراً عسكرياً آخر سيصدر باعتقالي وخاصة أن الأحكام العسكرية مفروضة على البلاد والعباد، لذلك أرى أن النقل أيسر الأضرار وأنفع للدعوة من الاعتقال، وهي فرصة أتاحها الله تعالى لنعطي للصعيد حقه في نشر الدعوة وتربية الإخوان، ويؤجر المرء رغم أنفه.. ثم إننا لم نقدم للاستقالة بما يعوضنا عنها حيث جزء كبير من المرتب يدفع لخدمة الدعوة، وبعد الاستقالة فإن الدعوة ستدفع، ولم يحن وقت ذلك بعد.. وشرح الله صدور الإخوان بهذا الرأي.

وحزم الأستاذ المرشد أمتعته وغادر القاهرة في أول قطار إلى قنا.

وفوجئ الإخوان هناك بنقل فضيلته إليهم، ولم يلبث أن شاركهم في نشاطهم بالدار كواحد منهم، واندهش الشباب كيف أنه كان يستقبلهم ويسلم على كل منهم باسمه دون أن يكون قد تعرف والتقى بهم قبل ذلك، فلما سألوه عن ذلك متعجبين، أخبرهم أنه كان حين يوقع على بطاقة الجوالة الخاصة بهم بصفته الرئيس العام للجوالة كان يحفظ الاسم والصورة معاً.

---

[20] انظر: كتاب "حقائق وأسرار" للأستاذ محمد العدوي – نشر دار الأنصار – القاهرة (ص 20 – ص 25).

وتسلم الأستاذ عمله بمدرسة قنا الابتدائية، وحين جاءت الأوامر السرية لناظر المدرسة بأن يرهقه بالعمل فيوكل إليه أقصى قدر من الساعات، والمدارس يومها تجري على نظام اليوم الكامل، من السابعة والنصف صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر، لم يتململ البنا من هذا، وكل ما هنالك أنه رغب في أن يقوم بتدريس مادة الخط العربي[21]، وسعدت المدرسة برغبته، وسعد بها زملاؤه، فقد كان المدرسون يهربون من هذه المادة، لأنهم يرونها أدنى من غيرها، ولعزوف الطلاب عنها، واعتمادها على الموهبة، وعدم اعتناء المفتشين بها، فأعطوها له شاكرين!

أما البنا نفسه فكان يهدف من وراء هذه الرغبة إلى غايتين، أولاهما: أن الساعات المقررة للخط أسبوعياً ساعتان، ومعنى هذا أنه سوف يدرس لكل تلاميذ المدرسة البالغ عددها 15 فصلاً، سوف يلتقي بكل هؤلاء الصغار، وهم على أبواب الشباب، فيصنع العطوف في هدوء، والحنون في وقار، جعل من حصة الخط شيئاً جميلاً، يقبل عليها الصغار فرحين، فهو يتباسط معهم في القول، ويحدثهم عن كثير من شئونهم، ولا يبعد بهم عن عالمهم، ويسألهم في غير إحراج أن تأتيب: من الذي صلى منهم الصبح فيكافئه ويطريه، ومن الذي يحفظ شيئاً من القرآن فيسمعه منه ويصحح له، فإذا جاءت فسحة وسط النهار تواعد معهم على اللقاء في مصلى المدرسة.

وبعد شهر واحد كان أحب الأساتذة إلى كل تلاميذ المدرسة بلا استثناء!

أما الغاية الثانية فهي أن حصة الخط تنتهي بانقضاء وقتها، فلا تصحيح بعدها، ولا تحضير لها، فيفيد بالقليل الذي تبقى له من اليوم وبقية الليل في الدعوة ونشرها، واكتساب أنصار لها، وفي القراءة والعبادة[22].

.. وكما يقول الأستاذ محمد العدوي، جرت الدماء في العروق وتوافد الناس على الدار "دار الإخوان المسلمون" وازدحمت بهم، وحضر الإخوان من جميع أنحاء الصعيد وهكذا، محاضرات وزيارات ولقاءات وتنظيمات.. لقاء في قنا ومؤتمر في سوهاج وآخر في أسيوط.. وجاءت ذكرى مولد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، فلتكن اثنتا عشرة محاضرة تختم بالموكب الكبير.. وفي هذه الظروف دخل بعض الإخوان على الأستاذ والغضب باد عليهم، يقدمون له إعلانات وزع بعضها تعلن عن اثنتي عشرة محاضرة في الكنيسة.. واحدة بواحدة!! وماذا في الأمر ستقومون أنتم بتوزيع الإعلانات وأرفق كل إعلان من إعلانات الإخوان بإعلان من الإعلانات الأخرى، وتنفيذاً لأمر المرشد قام الإخوان بتوزيعها في أنحاء قنا.

- استدعاء:

وجاءت برقية تلهث في سرعة أن الأستاذ البنا مطلوب لمقابلة رئيس الوزراء حالاً.. وفوراً يسافر الأستاذ إلى القاهرة، ثم إلى ديوان رئاسة الوزراء، ويسأله الرئيس: ما هذا الذي فعلته؟!..

خيراً إن شاء الله!!..

أنت ذاهب إلى قنا لتحريض المسلمين على قتل النصارى؟؟

أنا لم أذهب ولكنهم نقلوني إلى هناك.

أنت نقلت إلى مدرسة قنا الابتدائية للتدريس.

وقد ذهبت فعلاً إليها وقمت بأداء واجبي فيها.

اتفضل!!.. وناوله برقيات كثيرة بأسماء بعض النصارى يطلبون نقل حسن البنا لأن وجوده خطر على حياتهم.

الأمر بسيط يا دولة الباشا، وهمَّ واقفاً.

إلى أين تذهب؟

إلى قنا يا باشا، واطمئن وسيصلك الرد واطمئن فنحن دعاة حب وأصحاب رسالة، وخرج الأستاذ بعد أن طمأن الباشا، وعاد إلى قنا.

وأنهى احتفالات المولد باستعراض بديل في هيئة جديدة بدلاً من الموكب المشهور، جوالة الإخوان وأعيان قنا يسيرون وفي مقدمتهم القائد يرددون نشيداً وضعه الأستاذ، وختم الاحتفال بمؤتمر دعا إليه مطران قنا وأعيان النصارى فيها وقساوستها وأجلسهم بين الإخوان، وكان حفل شاي[23].. وألقى الأستاذ خطابه في قضية الحكم بالشريعة الإسلامية، فقال: مما هو معلوم عن جماعة الإخوان المسلمون، أنهم يدعون ويتصدرون الدعوة إلى الحكم بالقرآن الكريم، وهذه القضية ولا شك تثير بعض الخوف والشكوك عند إخواننا المسيحيين. وأنا أحب أن أجلي هذه القضية بروح المودة وما خفي أو يخفى عن الناس من أمور حتى يتبينوا فيها وجه الحق والصواب، فالناس أعداء ما جهلوا. لا شك أننا مع إخواننا الأقباط نعتبر أنفسنا عرباً، حيث إننا جميعاً نتكلم اللغة العربية ونتعامل بها، ومادمنا عرباً فمن الطبيعي أن نتحمس للتحاكم إلى قانون

---

[21] انظر: مقال "حسن البنا كما عرفته للدكتور الطاهر أحمد مكي"، مجلة الدوحة القطرية – عدد 115 يوليو سنة 1985.

[22] ربما يكون من أسباب إسناد هذه المادة للأستاذ هو أن النقل تم في نهاية العام الدراسي.

[23] عن كتاب "حقائق وأسرار" للأستاذ محمد العدوي – ص 24-25 (بتصرف).

عربي لا إلى قانون غربي متنوع المصادر فرنسي وبلجيكي وغير ذلك، والقانون العربي الوحيد الجامع الشامل الذي جربناه مسلمين ومسيحيين مئات السنين هو القرآن الكريم..
فإذا اعترض على أن القرآن كتاب المسلمين، فنقول فليكن ذلك اعتقاد المسلمين كدين وليكن قانوناً عادياً عند الأقباط، كما نتحاكم نحن اليوم إلى قانون نابليون.
.. ثم قال: إن الشواهد التاريخية المكررة والتي لا تحتمل الإنكار بحال تشهد بأنه في ظل حكم الشريعة الإسلامية عاش المسلمون والمسيحيون في وئام وسلام ليس له مثيل، وضرب لذلك عدة أمثلة، منها موقف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الصلاة في كنيسة القيامة، كما ذكر بعضا من وصيته المشهورة، واستطرد في ضرب الأمثلة الحية من واقع تاريخ الخلفاء.
ثم ختم حديثه فقال: إن الإسلام لا يعرف معنى الديمقراطية التي يحدد مدلولها الناس حسبما تقضي أهواؤهم ومصالحهم، فالإسلام لا يعرف هذه المتغيرات بل هو شريعة العدل التي لا تتغير ولا تتبدل تبعاً للمصالح والأهواء.
وهكذا لم ينته الأستاذ من حديثه إلا وقد شرح الإسلام كدين ونظام وعلاقة المسلمين بغيرهم من أهل الذمة.. وأحكام الإسلام وقوانينه وآدابه في هذا الشأن.
قال النصارى: يا فضيلة المرشد لم نسمع مثل هذا من قبل وقد فهمنا وعلمنا ما لم نكن نعلم، وقبل أن نقوم من مكاننا لنا رجاء، اكتب طلباً إلى رئيس الحكومة لتنفيذ ما تطلبون ونحن نوقع عليه، وقد كان، وأرسل الخطاب إلى رئيس الحكومة.

***

هكذا كان حسن البنا.. قلبا كبيراً يعمره حب الناس، فما من موقف إلا ويحوله لصالح دعوته، وما من شيء حوله إلا ويجعله مصدر خير وبركة.
في قنا كان يشده جمال الطبيعة، ومنظر النيل، وغروب الشمس، ومهابة الجبال، ويرى فيها بديع صنع الله، فما أكثر ما كان يصحب الإخوان هناك في جولات ونزهات إلى غابة قنا، وكانت قد أنشئت في تلك الأيام على حافة المدينة، فوق جزء من الصحراء، وهناك يصلون المغرب، لا يحد بصرهم جدران، ولا يعزلهم عن السماء ستار.
ولم يمض غير شهر ونصف حتى أحست انجلترا المستعمرة بالخطر، ولها في قنا قوات ومخابرات، إذ حولت قنا الهادئة سنة 1940 إلى مدينة صاخبة تضج بالحركة والجند والسلاح والسيارات والمصفحات، جنود من كل جنس ولون، وجاءوا من شتى أطراف الدنيا، من بريطانيا، والهند، ودول إفريقية، واستراليا وأوروبا، وآلاف من العمال المصريين معهم يتلقون أجوراً عالية، ويعملون في مد خطوط السكك الحديدية والكهرباء والماء بين قنا والقصير على البحر الأحمر، فقد اندلعت الحرب العالمية الثانية قبل ذلك بعام، وعانى الإنجليز هزائم مريرة في شمال مصر على الحدود الليبية، وحصاراً عنيفاً في البحر المتوسط، إذ سيطرت عليه الغواصات الألمانية والإيطالية، فأرادوا أن يتلقوا إمداداتهم عن طريق البحر الأحمر، وهو أكثر أمنا لهم، ويتيح لهم الانسحاب بخسائر أقل في حالة الهزيمة الكاملة.
وجاءت انجلترا بجنودها إلى قنا ومعها كل الأمراض: الجريمة، والسوق السوداء، والسرقات، وأزمة الإسكان، والتضخم، وقلة المواد التموينية، والملاريا.. لم يمض أكثر من شهر ونصف حتى أحست انجلترا بقواتها الاستعمارية والحكومة المصرية التي تتحرك في إطارها، أن حسن البنا في الصعيد أخطر منه في القاهرة، فهو يتحرك في مجال بكر مفتوح، ويلتقي بأناس خلص، لم تفسدهم الحضارة، ولم تعرف الطراوة طريقها إلى قلوبهم أو أبدانهم. فردته إلى القاهرة من جديد.
وقبل أن يرحل البنا من قنا أراد أن يفيد من مكانته، ومن حب الناس له، وتعلقهم به، فتمنى عليهم أن تكون دار الإخوان خاصة بهم وملكا لهم، وليست شقة مستأجرة في عمارة، فانهالت التبرعات من كل طبقات السكان، وبنوها في أفضل مكان من المدينة، وضمت الكثير من المؤسسات العلمية والاجتماعية: قاعة محاضرات، وعيادة، ومكتبة، ومصلى، ونزلا للقادمين من الإخوان، وأصبح أعضاؤها وروادها من خيرة الشباب.

- **اعتقال..**

ولم تمض أيام حتى صدر قرار باعتقال الأستاذ المرشد في معتقل الزيتون بالقاهرة، فاعتصم الطلاب في مسجد السلطان الحسن بعد صلاة الجمعة، فاضطرت السلطات أن تفرج عن فضيلته.. وفي المصلى المقام في بدروم المركز العام القديم استقبلناه بكل أشواقنا وعواطفنا الحارة، حيث تحدث إلينا فقال: لقد كانت فترة الاعتقال بمثابة اعتكاف إجباري أو محطة في طريق السفر الطويل راجعت فيها كتاب الله تعالى حفظاً ودراسة وتدبراً، وعرفت واختلطت بأناس آخرين[24].. وجدت فرصة أخلو فيها إلى نفسي أستعرض أحداث الماضي وأفكر في الحاضر بهدوء وروية، وأعتقد أننا لم نخسر شيئاً في أمر قد قدره

---

[24] كان الأستاذ فتحي رضوان من هؤلاء الذين اختلط بهم الأستاذ البنا في هذا المعتقل.. يذكر الأستاذ فتحي أن الإمام البنا كان قد بدأ في تنظيم دروس لهم من كتاب "إحياء علوم الدين".. فكانت سياحة روحية لم تكتمل بسبب الإفراج عن الأستاذ البنا.

الله لنا.. فإن ما يحدث لنا من عذاب أواضطهاد، أمر قد تعاهدنا عليه، فلا غرابة فيه ولن يؤثر فيما عقدنا العزم عليه، ولكنه فقط يعطينا المؤشرات ويحذرنا من المطبات ويفتح أعيننا على ما هو آت.. وما حدث لنا لن يوقف حركة الدعوة، ولن يرهب أبناءها الذين اعتقدوا أن أقل ما يطلب في سبيلها هو الدم والمال (والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [يوسف: 21].

ثم استطرد الأستاذ البنا فقال: حين جاء أمر الإفراج عني سألت عن شمول هذا الأمر للأساتذة أحمد السكري وعبد الحكيم عابدين.. ولما علمت أن أمر الإفراج يشملني وحدي رفضت الخروج وتمسكت بذلك ذاكراً قصة الحمام والصياد التي حفظناها من أيام، التي تحكي أن مجموعة من الحمام قد وقعت في شبكة صياد، وتصادف وجود فأر صديق لقائد سرب الحمام، فأراد أن يقرض الشبكة لتخليص قائد الحمام وحده فرفض أن ينجو بنفسه دون زملائه، فقام الفأر بتخليص الجميع.. وهكذا خجلت من نفسي، كيف أخرج وأتراك إخواني؟ ولكن محاولات وتصالات كثيرة بذلت حتى أعطوني وعداً باستصدار قرار الإفراج عنهما.. وخرجت آسفاً لذلك، ولكني أكرر ما قلت لكم من قبل: هذا هو الطريق، وبقي علينا أن نواصل العمل مسترشدين بهذه الأحداث في سبيل الوصول إلى الغاية المنشودة.

معهد حراء الإسلامي

ونعود بذاكرتنا مع الأستاذ البنا وهو في الإسماعيلية مع بواكير الدعوة هناك.. يقول رحمه الله في مذكراته: ".. وشاء الله تبارك وتعالى وتم بناء المدرسة فوق بناء مسجد الإخوان.. وكنت إذ ذاك حديث عهد بما درسناه من المثل العليا في التربية والمربين. ولا زالت صورة بستالوتزي في مدارسه في بتوهافن واستانز ويرجدورف وقرون وصورة فرويل في مدرسة جريشم وكيلهو.. إلخ وطرق هربارت وبنتسوري في صناعة التعليم، لا تزال كل هذه الصور تتراءى في الذهن غضة طرية. لكن في وضع جديد يتناسب مع الميول الإسلامية والآمال الإسلامية التي ركزتها النشأة وغذتها الدعوة، فما أن تم بناء المدرسة حتى أطلقنا عليها اسما إسلاميا هو "معهد حراء الإسلامي" واشترطنا للتلاميذ زيا خاصا: هو جلباب ومعطف من نسيج وطني، وطربوش أبيض من صناعة وطنية كذلك وصندل من صناعة وطنية أيضا. كما كانت أوقات الدراسة مخالفة لمثلها في المدارس.

فهي تتمشى إلى حد كبير مع أوقات الصلاة فتبدأ في وقت مبكر وتنتهي الفترة الأولى قبل صلاة الظهر حيث يؤدي التلاميذ جميعاً الصلاة مع الجماعة في المسجد ويعودون بعد الغداء وقبيل العصر ليؤدوا الصلاة مع الجماعة أيضاً.

وكان منهاج المعهد التعليمي ذا ثلاث شعب: القسم الأول منه يتمشى مع منهاج المدارس الأولية الكاملة ليجهز التلميذ للأزهر والمعاهد الدينية، والقسم الثاني يتمشى مع المدارس الأولية أول النهار ومع المدارس الصناعية آخره فيتوجه الطلاب بعد الغداء إلى مصانع وورش أهلية يديرها إخوان تعهدوا بتعليم هؤلاء الطلاب الصناعة باشراف المعهد ورجاله وفق نظام خاص، والقسم الثالث يتمشى مع منهاج المدارس الابتدائية الأميرية ليجهز للثانوي فالعالي وهكذا. وفرضت على الطلاب مصروفات مدرسية مناسبة ليس فيها إرهاق وزيدت نسبة المجانية بحسب ظروف أولياء أمور الطلاب واستحضر للمعهد نخبة من المدرسين الفنيين ذوي المؤهلات والشهادات العالية.

أقبل الناس على معهد حراء الإسلامي إقبالاً عظيماً، وكانت طرائق التعليم فيه مبتكرة تتمشى مع أحداث نظريات التربية، فكثير من الدروس كان يلقى في الهواء الطلق وبين خمائل الإسماعيلية وأفنان حدائقها الغناء، وكانت الحروف الهجائية ومبادئ الحساب تعلم بالمحسات من الطين أو الصلصال أو الكرات، وكان للتلاميذ حرية واسعة في أن يصارحوا المدرسين بكل ما يدور في أنفسهم من تعب أو إرهاق أو خواطر، وكانت الصلة بين الطالب والأستاذ وبين المدرسة والمنزل على أتم ما تكون من التعاون والوئام، ولا يزال كثير من شباب الإسماعيلية اليوم يذكرون فضل هذا المعهد. ويجدون في أنفسهم حلاوة ما وجدوا فيه من معاني التراحم والتعاطف بين الطلاب والمدرسين.

وقد تطور هذا المعد، من وضعه النموذجي بعد مغادرتي الإسماعيلية إلى مدرسة ابتدائية لم تحظ بتشجيع وزارة المعارف، بل كان لها القسط الأكبر من معاكستها، والحمد لله الذي يحمد على كل حال حتى عادت مدرسة أولية عادية.

وكانت العقبة الكأداء في سبيل نجاح الوضع الأول ندرة الصنف الذي يعتبر نفسه صاحب رسالة، لا طالب وظيفة بين الناس، لقد كنت أنتهز فرصة الحصص الخالية في جدولي في أثناء اليوم الدراسي، فأذهب تواً إلى المعهد لألقي درساً فيه على الطلاب بحضور بعض المدرسين، وكنت ألقي على المدرسين أنفسهم توجيهات طويلة عريضة في أثناء دروسهم وبعد انتهائها، واشتركت مع الكثير منهم في تحضير الدروس، وكنت أصاحب طلاب المعهد جميعاً إلى الحدائق وحدي، أو بمصاحبة بعض المدرسين أو ضباط النظام في المعهد، حيث أقضي معهم أكثر من ساعتين بعد نهاية الدروس أعني إلى وقت الغروب تقريباً في نزهة أبيح لهم فيها حق السؤال وحرية الانتقال، وحرية اللعب وحرية المزح، وأشاركهم في

ضروب من هذا كله، حتى أن الكثيرين من هؤلاء الناشئين لم يكن يخفي عني شيئاً من شئونه الداخلية، أو المنزلية، ويشعر وأشعر معه بأنني منه بمنزلة الوالد، أو الأخ الكبير. كل هذا كنت أصنعه وأحاول أن أشعر المدرسين أن المقصود منه أن يكونوا كذلك، وأن يعتبروا أنفسهم حملة رسالة ودعاة فكرة، وبناة جيل. وكان هذا يثمر فعلا في الكثير منهم، كما كان يذهب هباء منثوراً عند الكثير كذلك، وما أحوج مجتمعنا إلى الذين يعملون بأرواحهم لا بأشباحهم وبضمائرهم لا برقابة غيرهم عليهم، والقلوب بيد الله يقلبها كيف شاء[25].

الشيخ محمد سعيد العرفي

ويمضي فضيلته في مذكراته، فيقول عن خبرته مع أحد أعلام سوريا الشقيقة:

وبمناسبة معهد حراء الإسلامي وشعبته أذكر أن هذا الاسم من وضع الأخ المفضال العالم الفاضل المجاهد الشيخ محمد سعيد العرفي عالم دير الزور ونائبها السابق في مجلس النواب السوري، وثائرها على الظلم والاحتلال الفرنسي.. وقد صادر الفرنسيون أملاكه وكتبه وحكموا عليه بالنفي، فحضر إلى مصر، واستأجر حجرة متواضعة في زقاق ابن يونس بالسيدة عائشة بحي القلعة بالقاهرة أسماه القصر العالي، وتعرفنا إلى الرجل فعرفنا فيه صدق الدين وقوة اليقين، والعلم الواسع في المعقول والمنقول والشجاعة والنجدة، وعلو الهمة، فهو عالم وطبيب وضابط وعابد معا، تلقى العلم على شيوخه الأجلاء، والتحق بالجيش التركي، فرقي إلى ضابط، واتصل بالقسم الطبي بالجيش، فأفاد علم الطب، وكان رامية يرمي فيصيب عشرة في عشرة، وكان مع ذلك أديباً مؤرخاً، راوياً للمنظوم والمنثور، حلو الحديث، حسن الدعابة فكه المحضر، حاضر البديهة، صوفيا في تعبده وتقشفه، فيلسوفا في تفكيره ونظراته. وقد أفدنا من صحبته الكثير، وزار الإسماعيلية فقضى معنا فيها أياما كانت من أجمل الأيام وأسعدها، وعلم عزمنا على إنشاء المدرسة، وأخذنا نفكر في تسميتها، فقال: الإسماعيلية بلد الدعوة وهذه أول مدرسة تنشئها الدعوة والدعوة، دعوة قرآن، والقرآن أول ما نزل في حراء فأطلقوا عليها معهد حراء وقد كان.

كان الشيخ سعيد العرفي ينام أربع ساعات على الأكثر في الليل، ويستيقظ قبل الفجر، فيطرق علينا حجراتنا ويصيح: "فيقوا، فيقوا" إن بعد الحياة نوماً طويلاً، فنقوم ونصلي ونحمد الله ونشكر له هذا الصنيع.

كان يقول يا أخي سمّ، فأقول: وما أسمي يا سيد محمد؟ فيقول: سم إخوانك وأصحابك ومنشآتك، قل لهذا إنك تشبه أبا بكر، ولهذا إنك تشبه عمر، فإن ذلك يبعث فيهم الحمية، ويدفعهم إلى القدوة الحسنة، والأسوة الصالحة فأقول: يسلقنا الناس بألسنه حداد، فيقول: مالك وللناس، كن مع الله وافعل كل ما فيه الفائدة وسم منشآتك: معهد حراء للبنين، مدرسة أمهات المؤمنين للبنات، نادي الخندق.. إلخ، لتبقى هذه الذكريات في النفوس.

كان يقول لي دائماً اسمع:

لا تتحرج أبداً من أن تضم إلى الدعوة المقصرين في الطاعات المقبلين على بعض المعاصي الحسيسة مادمت تعرف منهم خوف الله، واحترام النظام، وحسن الطاعة، فإن هؤلاء سيتوبون من قريب، وإنما الدعوة مستشفى فيه الطبيب للدواء، وفيه المريض للاستشفاء، فلا تغلق الباب في وجه هؤلاء، بل إن استطعت أن تجتذبهم بكل الوسائل فافعل، لأن هذه هي مهمة الدعوة الأولى. ولكن احذر من صنفين حذراً شديداً ولا تحلقهما لصفوف الدعوة أبداً:

1- الملحد الذي لا عقيدة له، وإن تظاهر بالصلاح فإنه لا أمل في إصلاحه وهو بعيد عنكم بأصل العقيدة، فماذا ترجو منه؟
2- والصالح الذي لا يحترم النظام، ولا يقدر معنى الطاعة، فإن هذا ينفع منفرداً، وينتج في العمل وحده، ولكنه يفسد نفوس الجماعة: يغريها بصلاحه، ويفرقها بخلافه، فإن استطعت أن تستفيد منه وهو بعيد عن الصفوف فافعل، وإلا فسد الصف واضطرب، والناس إذا رأوا واحداً خارج الصف لا يقولون خرج واحد.. ولكن يقولون صف أعوج، فاحترس من هذا كل الاحتراس.

كان يقول: العالم معلق بخيوط الوهم. وإنما يكشف الإيمان وحده الحقائق أمام المؤمنين، ولهذا ينتصرون وإن ضعفت قوتهم، ويهزم غيرهم وإن استعد، ومن هنا كان الإيمان أقوى أسلحة العاملين في الحياة.

وكان يقول إني أعرف إقبال الناس وإدبارها في كل شيء، فإذا أقبلت أقبل كل شيء، حتى أن اللص الداعر ليتقدم إليَّ ليسلمني نفسه بمجرد مروري في الطريق، وإذا أدبرت أدبر معها كل شيء حتى أن دابتي الذلول تجمح وتستعصي ولم يكن ذلك لها بخلق، ولقد دخلت مصر مرتين: مرة وأنا السيد محمد سعيد العرفي وجيه دير الزور وعالمها، فاستقبلني على إفريز القطار كبار بلدكم وعظماؤه حتى خجلت من نفسي، ومرة وأنا السيد محمد سعيد المحكوم عليه من فرنسا بالنفي،

---

[25] مذكرات الدعوة والداعية: ص95-99.

والمجرد من ماله وثروته وحوله وقوته، فلم أجد من ينتظرني، أو يتقدم إليَّ بكلمة، حتى أني خجلت من نفسي مع أني في الحالة الثانية أحوج إلى المواساة، وأحق بها مني في المرة الأولى.
ولكن الله جعل لي في معرفة الإخوان أجزل المثوبة وأعظم العوض وأفضل العزاء..
وكان أبياً عزوفاً كريماً جواداً عفيفاً آثر أن يشتغل بتصحيح الكتب طول إقامته في مصر ويأكل من عمل يده ولم يتناول من أحد معونة أو هبة وكل ما في بيته بعد ذلك لإخوانه وزائريه.
وعاد إلى سورية بعد فترة واختير نائباً عن دير الزور وحضر إلى مصر مرة ثالثة يحمل هذه الصفة ومع وفد من النواب لحضور المؤتمر البرلماني لقضية فلسطين فيما أذكر فترك حقائبه في الكونتنتال وهرع إلينا في دار الإخوان، وكان يقضي معهم وقت العمل الرسمي ومعنا ما بقي من وقته بعد ذلك.
وأظنه الآن بمنصب القضاء وفقه الله ونفع به وأرانا وجهه في خير.

حسن البنا.. وإحياء السنة

لا يختلف اثنان أن بُعد المسلمين عن كتاب الله وسنة رسوله الكريم، كان من أخطر عوامل ضلالهم وضعفهم وانحلال قوتهم وضياع دولتهم.
لقد فعلت عوامل الإهمال والتحريف فعلها في عقائد المسلمين وعبادتهم، فدخل فيها من التحريف ما بَعُد بها عن السنة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام دعاة يدعون إلى العودة إلى السنة المطهرة والاستمساك بها ومحاربة ما أدخل على الدين من البدع والخرافات.
وغني عن البيان أن نذكر أن شاباً كحسن البنا نشأ في حجر والد متضلع في علوم السنة النبوية عكف طيلة حياته على ترتيب أحاديث أكبر المسانيد الصحيحة فيها وتخريجها وتبويبها وشرحها والتعليق عليها وهو "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، الذي يضم بين دفتيه أربعين ألف حديث، ولعل هذا الشاب قد شارك والده في بعض المراحل في هذا المجهود الكبير.. شاب نشأ هذه النشأة لابد أن يكون حب السنة قد اختلط بمنهجه وامتزج بدمه وملك عليه لبه.. فكيف تجسدت هذه العاطفة في نفس الإمام الشهيد وتحولت إلى مواقف في إحياء السنة؟؟
كتب فضيلته في مذكراته، يقول:

- صلاة العيد في الصحراء..

كنت أقوم في رمضان بتدريس بعض الأحكام الإسلامية عقب صلاة الفجر في المسجد العباسي وكانت أكثر ما تتعرض لأحكام الصيام والزكاة ورمضان، وقبيل نهاية رمضان تناولنا أحكام صلاة العيد بالبيان، وجاء في هذه الأحكام أن من السنة أن يصلي العيد في ظاهر البلد وأن يخرج لها الناس رجالاً ونساء يشهدن الخير وجماعة المسلمين، وأن الأئمة قد اتفقوا جميعاً على أفضلية صلاتها في الصحراء ما عدا الإمام الشافعي الذي أفتى بأن صلاتها في المسجد أفضل إذا كان في البلد مسجد يتسع لأهلها جميعاً.
وبينما نحن نقرر هذه الأحكام إذ اقترح أحد المستمعين أن نحيي هذه السنة ونقوم بصلاة عيد الفطر في الصحراء وبخاصة وليس بالإسماعيلية حينذاك إلا مساجد صغيرة لا تتسع لبعض أهل البلد فضلاً عن كلهم، ومن حولها صحراء قد اتسعت لجنود الاحتلال، وتحمس السامعون جميعاً لهذا الاقتراح فلم أر بدأ من موافقتهم عليه ولكن مراعاة لما أعلم من سرعة انقسام الآراء في هذا البلد حول المسائل الدينية لشدة حساسيته في هذه الناحية ولقرب عهده بالخلافات الماضية اشترطت ألا نخطو خطوة حتى نستشير العلماء ونتفق معهم على أسلوب التنفيذ فإن وافقوا فذاك وإلا فإن اجتماع الأراء على خلاف الأولى أفضل من افتراقها وتشتيت الكلمة على ما هو أفضل.
وحاولت أن أخطو هذه الخطوة فإذا بي أفاجأ بحملة عنيفة من المتربصين بالدعوة واتهامات قاسية بأن هذا ابتداع بالدين وتعطيل للمساجد ومحاربة للإسلام وإفتاء بالباطل، ومن ذا الذي يقول: إن الشارع أفضل من الجامع، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. وانتشر الخبر بسرعة البرق وأصبح حديث الناس في المقاهي والمساجد والمجتمعات العامة والخاصة وكانت حملة يالها ن حملة.. وتصادف أنني كنت حينذاك معتكفاً العشر الأواخر من رمضان بالمسجد العباسي، فكان الناس يتقاطرون عليَّ عقب كل صلاة ويسألونني عن هذه البدعة الجديدة وأنا أستغرب هذه الحملة التي لا أساس لها، وأقرر حكم الدين ببساطة، وبراءة وأطلع الناس على النصوص الفقهية في هذا العنى، وأتجنب الجدل والمراء وأوصي بجمع الكلمة والبعد عن الخصومة، ولكن الأمر كان قد خرج من يدي ويد العلماء وتحمس الجمهور للحق والسنة وأعلنوا أن الصلاة ستكون في ظاهر البلد، وأعدوا المصلى لذلك فعلاً، وكنت لابد أن أحضر إلى القاهرة لأقضي العيد مع الأهل فيها. فحضرت ليلة العيد ورتب الناس أنفسهم وصلى بهم الشيخ محمد مدين إمام مسجد العرايشية. وكان سرور الناس وانشراحهم بهذا

المظهر الإسلامي عظيماً، وحلت في نفوسهم بركة السنة النبوية المطهرة. وعدت من إجازة العيد، ورأيت آثار هذا الارتياح بادية على كل وجه، وخمدت العاصفة المغرضة، وتقررت السنة المباركة واستمرت صلاة العيدين إلى الآن بظاهر البلد في مهرجان إسلامي جميل.

- **نقاش في بيت القاضي..**

وفي إحدى ليالي رمضان زرت منزل فضيلة قاضي الإسماعيلية الشرعي واجتمع في هذه الزيارة مأمور المركز والقاضي الأهلي وناظر المدرسة الابتدائية ومفتش المعارف ولفيف من الأدباء والفضلاء والمحامين والأعيان، وكانت جلسة سمر لطيف.

وطلب فضيلة القاضي الشاي، فقدم إلينا في أكواب من الفضة وجاء دوري فطلبت كوباً من الزجاج فقط، فنظر إليَّ فضليته مبتسماً، وقال: أظنك لا تريد أن تشرب لأن الكوب من فضة، فقلت: نعم، وبخاصة ونحن في بيت القاضي.

فقال: إن المسألة خلافية، وفيها كلام طويل ونحن لم نفعل كل شيء حتى نتشدد في مثل هذا المعنى، فقلت: يا مولانا إنها خلافية إلا في الطعام والشراب، فالحديث متفق عليه والنهي شديد، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما"، ويقول: "الذي يشرب في آنية الذهب والفضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم" ولا قياس مع النص ولا مناص من الامتثال، وحبذا لو أمرت بأن نشرب جميعاً في أكواب من زجاج. وتدخل بعض الحاضرين في الأمر، وأرادوا أن يقولوا إن الأمر مادام خلافيا فلا لزوم للإنكار، وأراد القاضي الأهلي أن يدلي بدلوه في الدلاء، فقال للقاضي الشرعي: يا فضيلة القاضي مادام هناك نص فالنص محترم، ولسنا ملزمين بالبحث عن الحكمة وإيقاف العمل بالنص حتى تظهر، فعلينا الامتثال أولاً، ثم إن عرفنا الحكمة فبها وإلا فذلك قصور منا والعمل على كل حال واجب، فانتهزتها فرصة وشكرت له، وقلت له مشيراً إلى إصبعه: ومادمت قد حكمت فاخلع هذا الخاتم، فإنه من ذهب والنص يحرمه، فابتسم وقال: يا أستاذ أنا أحكم بقوانين نابليون وفضيلة القاضي يحكم بالكتاب والسنة وكل منا ملزم بشريعته، فدعني وتمسك بقاضي الشريعة، فقلت: إن الأمر إنما جاء للمسلمين عامة وأنت واحد منهم فهو يتجه إليك بهذا الاعتبار. فخلع خاتمه، وكانت جلسة ممتعة حقاً، وكان لها صداها بعد ذلك في جمهور يرى مثل هذا الموقف العادي أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر ونصيحة في ذات الله[26]. 1هـ.

حسن البنا.. والمتعجلون

كانت مجلة "النذير" هي مجلة الإخوان المسلمون ولسان حالهم لمدة عامين، في الفترة من 30 ربيع أول 1375 = 30 مايو 1938 إلى 3 رمضان 1358 = 16 أكتوبر 1939. ولكن في النصف الأخير من عام 1939 وكنت وقتها لم أكن قد عرفت الطريق إلى المركز العام بالقاهرة لاحظت أمراً غريباً في تحرير هذه المجلة.. لاحظت على افتتاحيات الأعداد الصادرة في هذه المدة كأنها صرخات تجيء من عالم آخر غير عالم الإخوان المسلمون موجهة إلى نوع خاص من الشباب.. لاحظت أن هذه الافتتاحيات صدرت تحت نداء "يا شباب سيدنا محمد"، فكنت أقرأها فأحس بأنها تصدر عن روح خاص ودعوة معينة وحركة حماسية قلقة توحي بأن في الأمر شيئاً.

وأخيراً وصل إلى علمنا في الإسكندرية، أن مجموعة من شباب الإخوان المتحمسين قد اختلفوا مع فضيلة المرشد حول بعض القضايا الخاصة بسياسة الجماعة، منها تعجل مواقف قبل أوانها وقبل أن تتغلغل الدعوة وتتمكن في قلوب الناس.. وعقدت معهم جلسات كثيرة لتصفية هذا الخلاف، ولكنهم أصروا على موقفهم، مما جعل الأستاذ المرشد يستجيب لمطلبهم في الانفصال عن الجماعة إذ كانوا – في زعمهم – لا يستطيعون الصبر على ما اختطته الدعوة لنفسها من أسلوب بطيء، وسيحاولون إنشاء تكوين جديد حثيث الخطى يتجاوب في خطو سريع مع ما تجيش به صدورهم وتضطرم به نفوسهم(!!!).. ومع الاستجابة لطلب الانفصال تنازل لهم الأستاذ عن ترخيص "مجلة النذير" وما بقي من مال في صندوق الجماعة.

وفي الجلسات التي عقدها فضيلة المرشد لتصفية الخلاف دعاهم لتحديد اعتراضاتهم على الجماعة والمطالب التي يريدونها، فقام أحدهم وحددها في ثلاثة بنود:

الأول: أنه يرى أن الإخوان تجامل الحكومة وتتبع معها سياسة اللف والدوران والواجب أن يواجهوا الحكومة بالحقيقة التي قررها القرآن في قوله تبارك وتعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) [المائدة: 44].

---

[26] مذكرات الدعوة والداعية: ص 110-111-112.

الثاني: موضوع المرأة وإلزامها حدود الإسلام في عدم التبرج والاحتشام، يرى أن الإخوان لم يتخذوا إجراء ما في شأنه مكتفين بدعوة المرأة إلى ذلك بالنصيحة والكلام دون العمل. ويرى أن المسلك العملي هو أن يوزع الإخوان أنفسهم في شوارع القاهرة مزودين بزجاجات حبر، وكلما مرت فتاة أو امرأة متبرجة ألقوا عليها من هذا الحبر حتى يلطخ ملابسها فيكون هذا رادعا لها.

الثالث: موضوع فلسطين، يرى أن وقوف الإخوان في مساعدة مجاهدي فلسطين عند حد الدعاية لهم وجمع المال لهم هو تقصير في حق هذه القضية وقعود عن الجهاد وتخلف عن المعركة وعلى الإخوان أن يتركوا أعمالهم ويتطوعوا في صفوفهم وإلا كانوا من الخالفين.

وتصدى بعض الحضور من الإخوان على ما جاء في الاعتراضين الأولين، فقال: إن مواجهة الحكومة يجب ألا تكون إلا بعد توفير عاملين:

1- توعية الشعب بالحقائق الإسلامية التي لا زال حتى اليوم خالي الذهن منها، ولازال الشعب يجهل علاقة الإسلام بالحكم وعلاقة الإسلام بالتشريع، ونحن لولا اتصالنا بدعوة الإخوان ما فهمنا هذه المعاني.
2- اكتساب الدعوة قوة شعبية تستند إليها إذا ما أرادت المواجهة، ولازالت الدعوة حتى اليوم دعوة وليدة في حاجة إلى تثبيت لدعائمها وبسط لرواقها.

وبالنسبة لموضوع المرأة لو أخذنا باقتراح كهذا لكانت النتيجة هي إيداع الإخوان السجون وإلزامهم بالتعويض عن ثمن الثياب التي لطخت بالحبر وليس في هذا ردع للمتبرجات.

وبشأن موضوع فلسطين، فقد كان المجهود الذي يبذله الإخوان في ذلك الوقت هو القدر المطلوب والذي كان الفلسطينيون في أمس الحاجة إليه ولا يستطيعه غيرهم..

وذلك حسب رد سماحة المفتي على الأستاذ..

مصارحة

وبالرجوع إلى رسالة "المؤتمر الخامس" تقرأ فيها ما يشير إلى مقدمات هذا الخلاف، فقد قال الأستاذ البنا في فقرات منها بعنوان "مصارحة":

أيها الإخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم:

اسمعوها مني كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع، إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده، ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، أجل قد تكون طريقاً طويلة ولكن ليس هناك غيرها، إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها، ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره في ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين: إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة.

أيها الإخوان المسلمون:

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد.

أيها الإخوان المسلمون:

إنكم تبتغون وجه الله وتحصيل مثوبته ورضوانه، وذلك مكفول لكم ما دمتم مخلصين، ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال ولكن كلفكم صدق التوجه وحسن الاستعداد، ونحن بعد ذلك إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدين، وإما مصيبون فلنا أجر الفائزين المصيبين، على أن التجارب في الماضي والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم، ولا إنتاج إلا مع خطتكم ولا صواب إلا فيما تعملون، فلا تغامروا بجهودكم ولا تقامروا بشعار نجاحكم، واعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم والفوز للعاملين (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم) [البقرة: 143]. 1هـ.

ولم أكن أعرف عن تفاصيل هذا الخلاف شيئا حتى عثرت على وثائق تلقي بعض الضوء على بعض ما زعمته هذه المجموعة من الشباب التي خرجت عن الصف وشكلت لنفسها جماعة عرفت باسم "شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم"[27].

غضبة في سبيل الله(!!)

وبعد أن استقل هذا الشباب بمجلة "النذير" وأصبحت ناطقة باسم جماعة "شباب محمد صلى الله عليه وسلم" أصدروا في أول المحرم سنة 1359 هـ الموافق 9 من فبراير سنة 1940 م نشر بالعدد الأول عنوان (غضبة في سبيل الله) نورد نصه فيما يلي، ثم نعقب عليه برد الأستاذ المرشد الذي أصدره في نشرة خاصة، فلم يكن للإخوان في ذلك الوقت صحافة بعد أن صارت "النذير" بتنازل الأستاذ المرشد عنها لشباب محمد كما سبق أن ذكرنا.

(بسم الله الرحمن الرحيم الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، وباسم الزعيم الأعظم محمد سيد الأنبياء والمرسلين نتقدم إلى إخواننا في الله معلنين تحت راية القرآن الكريم مدار الخلاف الذي استعر بيننا وبين الإخوان المسلمون في مسائل جوهرية تخص صميم الدعوة التي بايعنا الله على أن نعمل في ميدانها في غير هوادة أو ضعف أو لين مشهدين الله على ما نقول وهو نعم المولى ونعم النصير.

وإلى إخواننا في الله نسرد بإيجاز أوجه الخلاف بيننا وبينهم مذكرين من عرفوا الدعوة وآمنوا بها بأنها لا تنحصر في مكان ولا تتوقف على شخص ولكنها دعوة الحق، دعوة إلهها واحد وزعيمها واحد خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه وهي مفروضة على كل مؤمن.

أوجه الخلاف

1- الشورى: يرى فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمون أنه لا شورى في الدعوة(!!)، وأن الدعوة إنما ينهض بها فرد واحد له أن يأمر وعلى الجميع أن يطيع، وقد خالفناه في هذا الرأي، وأصررنا على موقفنا لأن في رأي فضيلته مخالفة للنظام السياسي للإسلام وتحديا لمصدريه العظيمين الكتاب والسنة (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) [آل عمران: 159]، (وأمرهم شورى بينهم) [الشورى: 38].

حاولنا أن نتفاهم مع فضيلته كثيراً فأبى إلا أن يكون رأيه الفصل ولو كان في ذلك إقصاء للمخلصين من الإخوان المسلمون، ثم عاد إلى التعلل أخيراً بأنه لم يجد في الإخوان من هو أهل للشورى وهذا مالا نقره عليه.

2- العمل تحت لواء الحاكمين بغير ما أنزل الله: من مبادئ الإخوان المسلمون أن لا نجاح للدعوة إلا بقوة الشعب الذاتية وتوجيه الرأي العام توجيها إسلاميا خالصا دون الاعتماد على الحكام، ولكن الأستاذ حاد عن هذا المبدأ القويم معلنا أن نجاح الدعوة مرهون بإرضاء الحكام والعمل تحت ألويتهم الحزبية(!!) وأخذ يسلك سبلا متفرقة ما بايعنا الله عليه (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعون ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) [الأنعام: 153] متناسيا ألا أمل للإسلام فيهم وأنهم يحكمون بغير من ما أنزل الله، والله تعالى يقول: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) [المائدة: 44] (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) [هود: 113] (أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) [النساء: 139].

عارضنا هذا بكل قوة مرددين أقوال فضيلته بأننا إسلاميون غير حزبيين وأننا نعمل لله ولرسوله لا لزعيم ولا لحزب مدعمين هذا بخطبه في المناسبات الكثيرة وبمقالاته في صحف الإخوان.

فأبى إلا العمل برأيه وأصر على المضي فيه (أفحكم الجاهلية يبغون من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) [المائدة: 50].

3- التلاعب المالي: طلبنا من فضيلته تكوين هيئة لمراقبة المال والمحافظة عليه لتكون مسئولة أمام الإخوان المسلمون، فأعرض فضيلته وأصم أذنيه عن هذا القول الذي نعده طلباً عادلاً يتفق مع أبسط مبادئ الإدارة.

وكان من نتيجة عدم الأخذ بهذا الرأي أن أنفقت أموال كثيرة لا نقول في أغراض شخصية ولكن على الأقل في غير الأغراض التي جمعت من أجلها.

---

[27] انظر: كتاب (الإخوان المسلمون – أحداث صنعت التاريخ) للأستاذ محمود عبد الحليم، الجزء الأول ص 200 – ص 213 / دار الدعوة بالإسكندرية.

فأولاً: على سبيل المثال، قد جمع في عام 1939 أكثر من 300 جنيه مصري قيمة اشتراكات سهم الدعوة، وكان من الواجب أن يكون نصف هذا المبلغ على الأقل باقياً في خزانة الجماعة حسب القانون المالي لهذا السهم، ولكن بكل أسف لا يوجد مليم واحد من هذا المبلغ في خزانة الجماعة.
ثانياً: على سبيل المثال أيضاً، قد جمع في خلال عام أو أكثر على سبيل الاكتتاب من الشعب مبالغ لمساعدة فلسطين الشقيقة في محنتها التي تجتازها وبلغ مجموع هذه الاكتتابات حسب بيان الأستاذ الأخير مبلغ 570 جنيها مصريا.
ومما لا شك فيه أن هذا المبلغ يعتبر أمانة في ذمة الإخوان فرض عليهم أن يؤدوها لأصحابها بمجرد وصولها إلى أيديهم.
ومع ذلك فلم يصل لفلسطين من هذا المبلغ سوى 465 جنيها على ثلاث دفعات أما باقي المبلغ فقد اعترف الأستاذ أن جزءاً كبيراً منه أنفق في شئون الجمعية الخاصة، ولا يرى فضيلته في ذلك مانعاً شرعياً.
ثم عاد وقال بعد أن سمع من أحد الإخوان حكم الشرع في هذا أنه مستعد لجمع هذا المبلغ وإرساله والمهم أنه لا يوجد كذلك بخزانة الجمعية مليم واحد من هذا المبلغ أيضاً.

4- تطهير الدعوة: ألحفنا على فضيلته ورجوناه غير مرة أن يحرص على طهارة الدعوة بإقصاء كل الأعضاء الذين تشوب أخلاقهم الشوائب ليسلم هذا البناء الذي كنا ومازلنا نفديه بأنفسنا وحتى يسمو عن المظان والشبهات وكان من بين هؤلاء الأعضاء أشخاص اعترف فضيلته في أحاديث متعددة بعد أن تبين من تحقيقات أجراها بنفسه بأن في وجودهم إضراراً بسمعة الدعوة من الناحية الخلقية. وكلنه أصر على إبقائهم فضلاً عن أنه أسند إليهم أعمالاً رئيسية وأخذ يشيد بذكرهم في رحلاته إلى الصعيد وغيره.

وأخيراً: على هذا اختلفنا وكان موقفنا واضحاً جلياً لا غموض فيه.
وكان اختلافنا على المبادئ العامة فلم نلجأ إلى دعاية شخصية ولا إلى أساليب كلامية متخذين من محمد صلوات الله وسلامه عليه إماماً ومن كتاب الله الكريم منهاجاً.
هوجمنا أشد المهاجمة وعودينا أشد المعاداة فلم نقابل العدوان بمثله بل كنا نردد قوله تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) [القصص: 55].
غير أن هذا الموقف الهادئ نفسه لم يعجب فضيلة الأستاذ، فقد أعلن وقد راعه تأييد الإخوان المسلمون المتوالي لموقفنا بأنه لا يستطيع العمل معنا على هذه الأسس التي نتمسك بها بحق كل الاستمساك ويأبى بكل قوة أن يجيب على أي واحد منها ولذلك فقد أعلن عن فصلنا عن جماعة الإخوان المسلمون.
ولما كنا قد عاهدنا الله تعالى على أن نظل طوال حياتنا جنوداً للإسلام نجاهد في سبيله (حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) [الأنفال: 39] عاملين تحت راية القرآن متأسين بالزعيم الأول سيد الأنبياء، وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام.
ولما كان الجهاد في سبيل الله والعمل تحت راية رسوله لا يتقيد بأمكنة ولا أشخاص فقد عزمنا على السير في طريقنا مستعينين بالله مقتدين بسيرة سيد الأنبياء معتمدين على أنفسنا وروضناها على العمل لتحقيق المثل العليا التي نؤمن بها (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) [الحج: 40]، (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) [محمد: 07].
ونحن إذ نسير في طريقنا في عزم وقوة مزودين بأعمق الإيمان رائدنا الإخلاص ووجهتنا الله، نرحب بمجهود كل شاب مؤمن يدين بهذه الغاية النبيلة مقبلين على تلك الميادين التي تعرفونها – أيها المسلمون الأبرار – ميادين الجهاد والتضحية مترسمين خطى المهاجرين والأنصار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

- رد الأستا المرشد:

إلى الذين تخلفوا عن الصف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[28]
وبعد...
فقد قرأت بيانكم في مجلة "النذير" عن موقفكم مني ومن إخوانكم في جماعة الإخوان المسلمون التي نشأتم في روضها ودرجتم في عشها وتعلمتم الغيرة على الإسلام من دعاتها، وإليكم كلمتي فيما ذكرتم لا حرصاً على الرد ولكن تبيانا للحق وتذكرة لكم، ويعلم الله كم يعز علي ويحز في نفسي أن تقفوا هذا الموقف وأن تتنكروا للحقيقة هذا التنكر وأن تستفتحوا

[28] صدر هذا الرد في نشرة خاصة، فلم يكن للإخوان في ذلك الوقت مجلة تنطق باسمهم بعد أن تنازل فضيلة المرشد عن مجلة "النذير" لجماعة شباب محمد.

عملكم الجديد بهذا التجني الذي نهيتكم عنه وحذرتكم إياه والذي ما زدتم به على أن نقضتم عهدكم وعققتم أباكم وخاصمتم إخوتكم وقللتم جلدكم وأضعفتم قوتكم وحاولتم صدع بناء شاده الله وهو عليه حفيظ، وقد حاول ذلك من قبلكم من هو أشد منكم قوة وأكثر جمعاً فلم يظفروا بطائل والله غالب على أمره، ولقد كنت أود لكم غير هذا من العمل الجدي والميادين النافعة وتعهدت لكم بمساعدتكم في ذلك أكبر المساعدة إن سلكتم هذه السبيل فغلبتكم العاطفة على عقولكم ووضعتم لأنفسكم ألقاباً وصفات لتجسموا الخطب وتهولوا الواقع ولكن الناس بأخلاقهم لا بألقابهم، فغفر الله لكم وهدانا وإياكم وصدق الله العظيم (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) [الأعراف: 155].

1- يسرني أن تعلموا

علم الله أيها الأبناء أنني لا يسؤوني – لو صدقتم – أن أجد لكم روحاً وثابة وحماسة فياضة وغيرة صادقة، ويسرني أن أراكم تعملون للإسلام في الميدان الذي ترضونه تبنون ولا تهدمون وتؤسسون ولا تنقضون.

ولقد قلتم إنني فصلتكم وأنتم تعلمون – وإخوانكم الذين حضروا الاجتماع الذي دعوتكم إليه يعلمون كذلك – أنكم أنتم الذين ألحفتم في طلب الفصل وألححتم إلحاحاً، وذلك لما بيتمون من نية وما اعتزمتموه من عمل منذ أمد بعيد، وأنتم بين ظهرانينا فلم يسعني إلا أن أنزل على رغبتكم في ذلك داعياً لكم بالتوفيق والإخلاص، إذ أن أكبر ما يسر الوالد أن يرى ابنه موفقا وإن لم ينسب إليه هذا التوفيق، وأنتم تعلمون أن مجلة النذير كانت لي فأعطيتكم إياها وتنازلت لكم عنها عن طيب خاطر بشرط أن تنصرف جهودكم إلى عمل نافع وميدان فيه خير للإسلام، ولئن كان العدد الأول علينا فالعدد الثاني وما يليه قد يكون لنا بحكم خدمة الدعوة العامة التي نعمل لها جميعاً.

2- الشورى

زعمتمأيها الأبناء أني أرى أنه لا شورى في الدعوة وسامحكم الله في هذا الادعاء عليّ وعلى الحقيقة، فأنا لم أقل هذا ولكني أنكرت أن يتحكم فرد تأثر بدعايته سبعة عشر فرداً من أفراد أسرة في بقية ألف من هؤلاء الأفراد وهم إخوانكم بالقاهرة وهو ما أردتموه أنتم فقد أبيتم إلا أن أنزل على آراء بعضكم ولو خالف هذا آراء الجميع من الإخوان، أفهذه هي الشورى التي تريدونها؟ وقد دعوتكم إلى الجمعية العمومية للإخوان بالقاهرة لتعرضوا عليها آراءكم وتطلبون إليها ما تريدون فأبيتم هذا ولازلت أدعوكم إليه وأستطيع أن أقول إنني أكتب هذا باسم ألف من إخوانكم في القاهرة عدا شعب الأقاليم الخمسمائة فماذا ترون؟ وهل بعد هذا لازلتم تصرون على أن لا شورى في الدعوة؟

هذا هو ما وقع وهذا هو ما نسير عليه الآن، فالشورى ماثلة في كل عمل من أعمالنا والحمد لله كما أرادها الإسلام وصورها، والشورى الإسلامية ليس فيها أغلبية ولا أقلية، فالإمام يستوضح الآراء وهو أمين عليها ثم يأخذ بما يتبين له منها جميعاً فينفذه وفق أحكام الإسلام، وهو مسئول بعد ذلك عن نتائج سياسته، هذه هي النظرية الإسلامية للشورى وإنا كنا في الواقع قد اتخذنا في تطبيقها صورة قريبة إلى ما ألف الناس من هذه التشكيلات، ولقد كان آخر نظام للإخوان في مكتب القاهرة ارتضيتموه أنتم وعملتم على أساسه ووقعتم بذلك على محضره هو نظام اللجان، فلكل لجنة عملها واستقلالها والشورى تسودها بأوسع معانيها، ولقد كان بعضكم في هذه اللجان فعلاً فهل شعرتم بأن أحداً وقف في طريقكم في شيء؟ ولكنكم أردتم الاستئثار الذي يتنافى مع الشورى فأبينا عليكم ذلك حرصاً على حقوق إخوانكم الذين هم أكثر منكم إلماماً بالدعوة وغيرة عليها وحرصاً على خيرها والنهوض بها، ويفضلونكم بعد ذلك بالأسبقية إليها والصبر على آلامها والتضحيات في سبيلها، ثم بالسن الذي يقدره الإسلام ويحله المحل اللائق بجلال التجربة.

وبعد: فنحن في دور تكوين وتربية، والتكوين والتربية في حاجة إلى التوجيه الحازم والبعد عن الخلاف في الرأي والانقسام في النقاش وهو ما أقصد إليه وأعمل عليه ويوافقني في ذلك كل الإخوان المسلمون.

3- التلاعب المالي:

غفر الله لكم أيها الأبناء فلكم أن تقولوا كل شيء إلا أن الإخوان ينظرون إلى المال أو يتطلعون إلى الدنيا، فإن من يقرأ هذا العنوان يظن أن الإخوان قد ملأوا جيوبهم من الأموال العامة، ثم ماذا تذكرون بعد ذلك.

1- تذكرون أن سهم الدعوة قد بلغ أكثر من (300) ثلاثمائة جنيه مصري وكان المفروض أن نصفها يجب أن يظل للمساهمين، ونسيتم أن قرار جمع سهم الدعوة أجاز للمكتب أن يستخدم هذا النصف في عمل تجاري، وذلك ما كان فإننا جددنا مطبعة الإخوان المسلمون وقيمتها الآن تزيد على أكثر من المائة والخمسين جنيها، فماذا في هذا التصرف من التلاعب، وقد وقع وفقا للقرار المعلن الموضوع في حدود مصلحة الدعوة وخيرها.

2- وتذكرون أن مبلغاً يبلغ المائة جنيه مما جمع لفلسطين لم يصل إلى فلسطين ولم تذكروا – وأنتم أعلم بذلك – أن المكتب بالقاهرة قد بلغت مصروفاته الخاصة بأعمال الدعاية لقضية فلسطين نفسها ولجمع هذه قد وصلت إلى أكثر من 124 جنيها "مائة وأربعة وعشرين جنيها"، ما بين مطبوعات ورسائل بريد وبرقيات وسفر

مندوبين وطبع قسائم وعمل شارات وتذاكر شخصية وما إلى ذلك عدا ما صرف لقضية فلسطين في غير هذه الأبواب أيضاً مما يعرفه الكثير من الإخوان. فهل يقال بعد هذا إن هناك تلاعباً فيما يجمع من أموال، وإذا كان كل ما جمع معروفاً بالمليم وكل ما صرف كذلك بدليل ما أوردتم من أرقام فأين التلاعب المزعوم؟!

ولقد علم الناس أجمعون، وفي مقدمتهم أبناء فلسطين البواسل أن الإخوان المسلمون هم الذين يفدون فلسطين الشقيقة بأموالهم وأولادهم ودمائهم، ولكنكم أردتم أن ترفعوا بذلك "قميص عثمان" والله بيننا وبينكم وهو أحكم الحاكمين.

إنني أعتب عليكم في هذا عتباً شديداً وما كنت أظن أنكم تتجاوزون الحق هذه المجاوزة في نقاط واضحة بينة، تعلمون أنتم وجه الحق فيها قبل غيركم من الناس، ولكن غفر الله لكم أيضاً.

4- العمل تحت لواء الحاكمين بغير ما أنزل الله

وأكثر أمركم عجباً بل أشد غرابة وأكبره تجنيا أن تذكروا أنني أعلنت "أن نجاح الدعوة مرهون بإرضاء الحكام والعمل تحت ألويتهم الحزبية..." وما كنت أدري أن لجاجتكم في الخصومة تحدوكم إلى هذا الافتراء المبين على شخصي، وأنتم تعلمون وقد تلقيتم أن نجاحها مرهون بإرضاء الله وحده والسير على منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اعترفتم بذلك في بيانكم وعليه سرنا ونسير حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين، ونحن نرى مع هذا أن توجيه الدعوة للحاكمين ومخاطبتهم بها وتعريفهم إياها من أنفع الأشياء ولتحقيق أغراضها والوصول من أقرب الطرق إلى أهدافها فإن الله يصلح بالواحد منهم أمة – لو أصلحه الله – وأنتم تعلمون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"، وقول الحسن البصري: "لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للسطان فإن الله يصلح بصلاحه خلقاً كثيراً"، ولقد علم الناس جميعاً بما فيهم الحكام أنفسهم أننا كم وجهنا ونوجه على الدوام إليهم كلمة الحق قوية مدوية لا يثنينا عن ذلك ما قاسيناه من اضطهاد وعنت، ولا نخشى إلا الله وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ونحن نرى كذلك أنه ليست في كل الظروف تكون مخاصمة الحاكم وإخراجه من الإسلام، فقد يقف الحاكم أمام خصم قوي للإسلام يدفعه ويحول دون غايته فيكون من الحمق لا من الدين أن يجرح المسلمون من يحول دون وصول عدوهم إلى غايته منهم، وهذا كلام أنتم أعلم بمضمونه ولا يخفى معناه على الناس، وعلى كل حال لأن يكون الحاكمون أعواناً للإخوان المسلمون على تربية الشعب وتوجيهه توجيهاً إسلامياً مثمراً خيراً من أن يكونوا خصوماً لهؤلاء الداعين يحولون بينهم وبين ما يريدون، وموقفنا من الحكام جميعاً ومن الأحزاب جميعاً موقف الدعاة لا الأشياع ومحال أن ننضوي تحت لواء حزب كائنا من كان أو أن نمالئ حاكماً كائناً من كان.

وأغلب الظن أيها الأبناء، أنكم أنتم الذين استخدمتم مطايا للحزبية البغيضة من حيث لا تشعرون وفتشوا أنفسكم من يتصل الآن بكم ومن ينشط في نشر دعايتكم معكم فستعلمون صدق ما أقول.

ومما يؤسف له حقاً أن تعجز الأحزاب عن أن تجد سبيلاً إلى صفوف الإخوان إلا عن طريقكم، وإن كان كل ذلك وأكثر منه سيتحطم على صخرة الدعوة المباركة التي ستظل بعون الله وحده الجوى اللاصق بين جوانح كل من يريد الكيد للإسلام وتسؤوه الدعوة إلى الله.

5- تطهير الدعوة:

من فضل الله على الإخوان المسلمون في كل وقت أن دعوتهم تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، وهذه جربناها مراراً كثيرة، ومجموعة الإخوان في القاهرة فيما أعتقد هي أطهر مجموعة عرفتها هيئة من الهيئات، ولقد تجنيتم على بعض إخوانكم بكلام لا حقيقة له، ولقد أصغيت إليكم ودرست ما قلتم وتبينت مبلغه من الصحة فإذا هو اتهام واه منهار لا أساس له ولا دليل عليه وما كنت لأدع يقيني لشككم ولقد نصحت لكم وعرفتكم حكم الإسلام فيما تقولون فأبيتم إلا أن تلجوا بالباطل ولا أقول في هذه غفر الله لكم فليست هذه من حقي، ولكني أنصح لكم مرة أخرى أن تسترضوا إخوانكم الذين خضتم فيهم فإن عقاب الله في ذلك قاس شديد ولا أزال أذكركم بقوله تعالى: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) [الأحزاب: 58].

- وأخيراً:

لا أعرض هنا لما سلكتم من أساليب لا تتفق مع الحق المر فضلاً عن السمو والتكرم للذين يجب أن يكونا أول ما يتصف بهما عامل للإسلام، ولا أحاول أن أكشف عما في بيانكم من مغالطات وأمور لا تتفق مع الواقع فإني أكره الجدل أشد الكراهية، وحسبي أن تكلمت في رؤوس الموضوعات الهامة، وطبعاً سيكون هذا هو البيان الأول والأخير من جهتي في هذا الموضوع.

ولي معكم بعد ذلك كلمة أخيرة فاستمعوا إليها إن شئتم، والله يتولانا وإياكم بحسن الرعاية.
أولاً: ما دمتم قد أعددتم أنفسكم للعمل للإسلام في ميدان أخذتموه، فأوصيكم أن تكونوا بنائين لا هادمين وحينئذ عليكم أن تفكروا في ابتكار ميادين تعملون فيها وتخدمون الإسلام بها، ودعوا الخصومة جانباً، فإن الانصراف إلى البناء خير ألف مرة وأجدى من الانصراف إلى الهدم، وعلم الله إنني لا أريد بهذا إلا أن تنصرف الجهود إلى النافع المفيد.
ثانياً: لقد كنتم قبل الآن جنوداً فأصبحتم تقولون إنكم اليوم قادة، وواجبات القائد أثقل بكثير وأدق من واجبات الجندي، فاحرصوا دائماً على أن تظهروا أمام الناس بالمظهر اللائق بكرامة الدعوة الإسلامية في كل ناحية من نواحي تصرفاتكم الشخصية أو الجمعية.
ثالثاً: أحب أن تحكموا خطتكم وأن تسوسوا طريقكم بالعقل والعاطفة معاً فلا تتركوا للحماسة وحدها أن تقودكم في مسالك لا يفيد فيها الدعوة ولا ينفع الداعين إلا العقل الكامل والتصرف الدقيق المحكم، فالكيس الكيس أيها الأبناء.
رابعاً: أحب أن تعتقدوا أولاً وآخراً أنني لا أضمر لكم إلا الخير وقد أغضيت عن سيئاتكم لحسناتكم وعن تصرفاتكم لنياتكم التي أرجوا أن تكون خيرة فاضلة، والله أسأل أن لا يكون ذلك لكم فتنة، وهو المستعان على ما تصفون.

الإخوان والقوة والثورة

تحت هذا العنوان تكلم الأستاذ البنا في المؤتمر الخامس، فقال:
يتساءل كثير من الناس: هل في عزم الإخوان المسلمون أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟..
وهل يفكر الإخوان المسلمون في إعداد ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر؟..
ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين في حيرة، بل إني انتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا في وضوح وفي جلاء. فليسمع من يشاء.

- أما القوة:

فشعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته، فالقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) [الأنفال: 60]، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف"، بل إن القوة شعار الإسلام حتى في الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة، واسمع ما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم في خاصة نفسه ويعلمه أصحابه ويناجي به ربَّه "اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال" ألا ترى في هذه الأدعية أن قد استعاذ بالله من كل مظهر من مظاهر الضعف.. ضعف الإرادة بالهم والحزن، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل، وضعف المال بالجبن والبخل، وضعف العزة والكرامة بالدين والقهر. فماذا تريد من إنسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قوياً في كل شيء شعاره القوة في كل شيء؟ فالإخوان المسلمون لابد أن يكونوا أقوياء، ولابد أن يعملوا في قوة.
ولكن الإخوان المسلمون أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن يستهويهم سطحية الأعمال والفكر فلا يغوصوا إلى أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة: قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك: قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما: قوة الساعد والسلاح. ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فيكون مصيرها الفناء والهلاك.
هذه نظرة، ونظرة أخرى: هل أوصى الإسلام – والقوة شعاره – باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال؟ أم حدد لذلك حدوداً واشترط شروطاً ووجه القوة توجيها محدوداً؟
ونظرة ثالثة – هل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء بالكيّ؟ وهل من الواجب أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف؟ أو من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون؟
هذه نظرات يلقيها الإخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه..

- والثورة.. أعنف مظاهر القوة، فنظر الإخوان المسلمون إليها أدق وأعمق، وبخاصة في وطن كمصر جرّب حظه في الثورات فلم يجن من ورائها إلا ما تعلمون.

وبعد كل هذه النظرات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين: إن الإخوان المسلمون سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء

صرحاء وسينذرون أولا، وينتظرون بعد ذلك ثم يُقدكون في كرامة وعزة، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح.
وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة في مصر بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر أولو الأمر في إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل، فسيؤدي ذلك حتما إلى ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمون ولا من دعوتهم، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال، وإهمال مرافق الإصلاح. وليست هذه المشاكل التي تتعقد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضي الأيام إلا نذيراً من هذه النذر، فليسرع المنقذون بالأعمال.

حسن البنا.. والوحدة الإسلامية

في يوم الإثنين 16 سبتمبر سنة 1927، وبعد تخرجه من دار العلوم، ودع حسن البنا أصدقاءه الأوفياء الذين اجتمعوا عنده قبيل سفره إلى الإسماعيلية، حيث مقر العمل الذي ألحقته به وزارة المعارف..
وينزل الوافد الجديد إلى الإسماعيلية ليتسلم عمله بمدرستها الابتدائية..
فكيف كانت أيامه الأولى بهذه المدينة؟.. يقول في مذكراته أنه قضاها بين المسجد والمدرسة والمنزل، لا يحاول أن يختلط بأحد ولا أن يتعرف إلى غير بيئته الخاصة من زملائه في وقت العمل. أما وقت فراغه فهو مكب فيه على رياضة، أو دراسة لهذا الوطن الجديد، من حيث أهله، ومناظره وخصائصه، أو مطالعة أو تلاوة، لا يزيد على ذلك شيئاً مدى أربعين يوماً كاملة، ولم تزايله لحظة من اللحظات كلمة الصديق المودع:
"إن الرجل الصالح يترك أثراً صالحاً في كل مكان ينزل فيه، وإنا لنرجو أن يترك صديقنا أثراً صالحاً في هذا البلد الجديد عليه"[29].
وفي المسجد استطاع حسن البنا أن يعرف كثيراً من أحوال الإسماعيلية الدينية وظروفها الاجتماعية.
وقد عرف فيما عرف أن هذه المدينة المحاصرة بمعسكرات قوات الاستعمار البريطاني من ناحيتها الغربية، ومستعمرة إدارة شركة قناة السويس من ناحيتها الشرقية، يمزق أهلها الطيبين الخلاف الديني والتحيز لآراء وأفكار لا تجتمع عليها القلوب، ولا تنبني معها الوحدة المنشودة التي لا تتحقق بدونها غاية..
فكيف كان موقف الأستاذ البنا من هذه الحالة المؤسفة، وكيف واجهها؟

- **إلى القهاوي مرة ثانية[30]:**

أخذ المدرس الجديد "حسن البنا" يفكر فيما يصنع، وكيف يواجه هذا الانقسام، وهو يرى أن كل متكلم في الإسلام، يواجهه كل فريق بفكره، ويريد أن يضمه إلى جانبه، أو أن يعلم على الأقل، أهو من حزبه أو من أعاديه، وهو يريد أن يخاطب الجميع، وأن يتصل بالجميع، وأن يلم شتات الجميع؟!
فكر طويلاً – أي حسن البنا – في ذلك، ثم قرر أن يعتزل هذه الفرق كلها، وأن يبتعد ما استطاع عن الحديث إلى الناس في المساجد، فالمسجد وجمهور المسجد هم الذين مازلوا يذكرون موضوعات الخلاف، ويثيرونها عند كل مناسبة، إذن فليترك هذا النزيل المسجد وأهله، وليفكر في سبيل أخرى يتصل بها بالناس، ولم لا يتحدث إلى جمهور "القهوة" في "القهوة"؟
ساورته هذه الفكرة حينا، ثم اختمرت في رأسه، وبدأ ينفذها فعلاً، واختار لذلك ثلاث "مقاه" كبيرة، تجمع فئات من الناس ورتب في كل منها درسين في الأسبوع، وأخذ يزاول التدريس بانتظام في هذه الأماكن. وقد بدأ هذا اللون من ألوان الوعظ والتدريس الديني غريباً في نظر الناس أولاً، ثم ما لبثوا أن ألفوه وأقبلوا عليه.
كان "المدرس حسن البنا" دقيقاً في أسلوبه الفريد الجديد، فهو يتحرى الموضوع الذي يتحدث فيه جيداً بحيث لا يتعدى أن يكون وعظاً عاما: تذكيراً بالله واليوم الآخر، وترغيباً وترهيباً، فلا يعرض لتجريح أو تعريض، ولا يتناول المنكرات والآثام التي يعكف عليها هؤلاء الجالسون بلوم أو تعنيف، ولكن يقنع بأن يدع شيئاً من التأثير في هذه النفوس وكفى.
وهو كذلك يتحرى الأسلوب فيجعله سهلاً جذاباً مشوقاً، خليطاً بين العامية أحياناً، ويمزجه بالمحسات والأمثال والحكايات، ويحاول أن يجعله خطابياً مؤثراً في كثير من الأحيان، وهكذا يتحايل دائماً على جذب هذه النفوس، باعثاً الرغبة والشوق إلى ما يقول، وهو بعد هذا لا يطيل حتى لا يمل، ولكنه لا يزيد في الدرس على عشر دقائق، فإذا أطال فربع ساعة، مع الحرص التام على أن يوفى في هذا الوقت معنى خاصاً، يقصد إليه، ويتركه وافياً واضحاً في نفوس السامعين، وهو حين

---

[29] انظر: مذكرات الدعوة والداعية للإمام الشهيد، ص 63-64-65.
[30] كانت المرة الأولى بالقاهرة – انظر ص 50-51 من مذكرات الدعوة والداعية.

يعرض – فيما يعرض – لآية أو حديث يتخير تخيراً مناسباً، ثم يقرأ قراءة خاشعة، ثم يتجنب التفاسير الاصطلاحية، والتعليقات الفنية، ويكتفي بالمعنى الإجمالي يوضحه، والاستشهاد المقصود يشرحه.
كان لهذا المسلك أثر في الجمهور الإسماعيلي، وأخذ الناس يتحدثون ويتساءلون، وأقبلوا إلى هذه المقاهي ينتظرون، وعمل هذا الوعظ عمله في نفوس المستمعين، وبخاصة المواظبون منهم، فأخذوا يفيقون ويفكرون، ثم تدرجوا من ذلك إلى سؤاله عما يجب أن يفعلوا ليقوموا بحق الله عليهم وليؤدوا واجبهم نحو دينهم وأمتهم، وليضمنوا النجاة من العذاب، والفوز بالنعيم، وابتدأ هو يجيبهم إجابات غير قاطعة جذباً لانتباههم واسترعاء لقلوبهم، وانتظاراً للفرصة السانحة، وتهيئة للنفوس الجامحة.

- **تعليم عملي:**

وتوالت الأسئلة على المدرس "حسن البنا" من هذه القلوب المؤمنة الطيبة، ولم يشف غليلها هذا الجواب المقتضب، وألح نفر من الإخوان، في وجوب رسم الطريق التي يجب أن يسلكوها، ليكونوا مسلمين ينطبق عليهم بحق وصف الإسلام، فهم يريدون أن يتعلموا أحكام الإسلام بعد أن تحرك وجدانهم بشعور أهل الإسلام، فيشير عليهم المدرس باختيار مكان خاص يجتمعون فيه بعد دروس المقهى أو قبلها ليتدارسوا هذه الأحكام، ويقع اختيارهم على زاوية نائية في حاجة إلى شيء من الترميم والتصليح للاجتماع ولإقامة الشعائر.
يالله.. ما أطيب قلوب هذا الشعب، وما أعظم مبادرته إلى الخير، حتى وجد الداعية المخلص البريء، لقد أسرع هؤلاء الإخوان، وفيهم أهل المهن المعمارية المختلفة إلى الزاوية يرممونها، ويستكملون أدواتها، ويهيئونها لما يريدون، وفي ليلتين اثنتين استطاعوا أداء المهمة على أكمل وجوهها، وانعقد بالزاوية أول اجتماع.
كان المجتمعون حديثي عهد بالتعبد، أو بعبارة أدق كان معظمهم كذلك، فسلك بهم "المدرس حسن البنا" مسلكاً عملياً بحتاً. إن لم يعمد إلى العبارات يلقيها، أو الأحكام المجردة يرددها ولكن أخذهم إلى "الحنفيات" توا، وصفهم وصفاً ووقف فيهم موقف المرشد إلى الأعمال عملاً عملاً، حتى أتموا وضوءهم، ثم دعا غيرهم، ثم غيرهم، وهكذا أصبح الجميع يتقنون الوضوء عملاً، ثم أفاض معهم في فضائل الوضوء الروحية والبدنية والدنيوية، وشوقهم بما ورد في مثوبته من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من مثل قوله عليه الصلاة والسلام: "من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره" وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين، يقبل بقلبه ووجهه عليهما إلا وجبت له الجنة" يثير ذلك شوقهم ويرغبهم فيما ندبهم الله له.
ثم ينتقل بهم بعد ذلك إلى الصلاة شارحاً أعمالها، مطالباً إياهم بأدائها عملياً أمامه، ذاكراً ما ورد في فضلها، مخوفاً من تركها، وهو في أثناء ذلك كله يستظهر معهم الفاتحة، واحداً واحداً، ويصحح لهم ما يحفظون من قصار السور، سورة سورة، مقتصراً في حديثه إياهم على الكيفيات المشربة بالترغيب والترهيب، لا يحاول أن يفرع المسائل، أو يلجأ إلى المصطلحات الغامضة، حتى رقت للأحكام قلوبهم ووضحت في أذهانهم، ولم تعد هذه الناحية الفقهية البحتة تبدو خشنة جافة.

- **عقيدة الفطرة:**

ثم هو في أثناء ذلك كله، وخلال كل مجلس من مجالسه، يطرق باب العقيدة الصحيحة فينميها ويقويها ويثبتها بما يورد من آيات الكتاب الحكيم، وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم، وسير الصالحين، ومسالك المؤمنين الموقنين.
ولا يعمد كذلك إلى نظريات فلسفية، أو أقيسة منطقية، وإنما يلفت الأنظار إلى عظمة البارئ في كونه، وإلى جلال صفاته بالنظر في مخلوقاته، ويذكر بالآخرة في أسلوب وعظي تذكيري لا يعدو جلال القرآن الكريم في هذه المعاني كلها، ثم لا يحاول هدم عقيدة فاسدة إلا بعد بناء عقيدة صالحة، وما أسهل الهدم بعد البناء وأشقه قبل ذلك، وهي نظرة دقيقة، وما أكثر ما تغيب عن إدراك المصلحين الواعظين.

- **في زاوية الحاج مصطفى بالعراقية:**

.. كانت هذه الزاوية هي الزاوية التي بناها الحاج مصطفى تقربا إلى الله تعالى، وفيها اجتمع هذا النفر من طلاب العلم يتدارسون آيات الله والحكمة في أخوة وصفاء تام.
ولم يمض وقت طويل حتى ذاع نبأ هذا الدرس، الذي كان يستغرق ما بين المغرب والعشاء، وبعده يخرج إلى درس القهاوي حتى قصد إليه كثير من الناس ومنهم هواة الخلاف وأحلاس الجدل وبقايا الفتنة الأولى.
وفي إحدى الليالي شعرت بروح غريبة، روح تحفز وفرقة، ورأيت المستمعين قد تميز بعضهم من بعض، حتى في الأماكن، ولم أكد أبدأ حتى فوجئت بسؤال: ما رأى الأستاذ من مسألة التوسل؟

فقلت له: "يا أخي أظنك لا تريد أن تسألني عن هذه المسألة وحدها، ولكنك تريد أن تسألني كذلك في الصلاة والسلام بعد الأذان، وفي قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، وفي لفظ السيادة للرسول صلى الله عليه وسلم في التشهد، وفي أبوي النبي صلى الله عليه وسلم، وأين مقرهما، وفي قراءة القرآن وهل يصل ثوابها إلى الميت أو لا يصل، وفي هذه الحلقات التي يقيمها أهل الطرق وهل هي معصية أو قربة إلى الله؟ وأخذت أسرد له مسائل الخلاف جميعا التي كانت مثار فتنة سابقة وخلاف شديد فيما بينهم.

فاستغرب الرجل، وقال: نعم أريد الجواب عن هذا كله؟

فقلت له: يا أخي إني لست بعالم، ولكني رجل مدرس مدني أحفظ بعض الآيات، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، وبعض الأحكام الدينية من المطالعة في الكتب، وأتطوع بتدريسها للناس، فإذا خرجت بي عن هذا النطاق فقد أحرجتني، ومن قال لا أدري فقد أفتى، فإذا أعجبك ما أقول، ورأيت فيه خيراً، فاسمع مشكوراً، وإذا أردت التوسع في المعرفة فسل غيري من العلماء والفضلاء المختصين، فهم يستطيعون إفتاءك فيما تريد، وأما أنا فهذا مبلغ علمي ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فأخذ الرجل بهذا القول ولم يجد جواباً وأخذت عليه، بهذا الأسلوب، سبيل الاسترسال، وارتاح الحاضرون أو معظمهم إلى هذا التخلص، ولكني لم أرد أن تضيع الفرصة فالتفت إليهم وقلت لهم: "يا إخواني أنا أعلم تماماً أن هذا الأخ السائل، وأن الكثير من حضراتكم، ما كان يريد من وراء هذا السؤال إلا أن يعرف هذا السؤال إلا أن يعرف هذا المدرس الجديد من أي حزب هو؟ أمن حزب الشيخ موسى أو من حزب الشيخ عبد السميع! وهذه المعرفة لا تفيدكم شيئاً، وقد قضيتم في جو الفتنة ثماني سنوات وفيها الكفاية. وهذه المسائل اختلف فيها المسلمون مئات السنين ولا زالوا مختلفين، والله تبارك وتعالى يرضى منا بالحب والوحدة ويكره منا الخلاف والفرقة، فأرجو أن تعاهدوا الله أن تدعوا هذه الأمور الآن وتجتهدوا في أن نتعلم أصول الدين وقواعده، ونعمل بأخلاقه وفضائله العامة وإرشاداته المجمع عليها، ونؤدي الفرائض والسنن وندع التكلف والتعمق حتى تصفو النفوس ويكون غرضنا جميعاً معرفة الحق لا مجرد الانتصار للرأي، وحينئذ نتدارس هذه الشئون كلها معاً في ظل الحب والثقة والوحدة والإخلاص، وأرجو أن تتقبلوا مني هذا الرأي ويكون عهداً فيما بيننا على ذلك". وقد كان، ولم نخرج من الدرس إلا ونحن متعاهدون على أن تكون وجهتنا التعاون وخدمة الإسلام الحنيف، والعمل له يداً واحدة، وطرح معاني الخلاف، واحتفاظ كل برأيه فيها حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

واستمر درس الزاوية بعد ذلك بعيداً عن الجو الخلافي فعلاً بتوفيق الله، وتخيرت بعد ذلك في كل موضوع معنى من معاني الأخوة بين المؤمنين أجعله موضوع الحديث أولاً تثبيتاً لحق الإخاء في النفوس، كما أختار معنى من معاني الخلافيات، التي لم تكن محل جدل بينهم والتي هي موضوع احترام الجميع وتقدير الجميع، أطرقه وأتخذ منه مثلاً لتسامح السلف الصالح رضوان الله عليه، ولوجوب التسامح واحترام الآراء الخلافية فيما بيننا.

وأذكر أنني ضربت لهم مثلاً عملياً فقلت لهم: أيكم حنفي المذهب؟ فجاءني أحدهم، فقلت: وأيكم شافعي المذهب؟ فتقدم آخر، فقلت لهم: سأصلي إماماً بهذين الأخوين، فكيف تصنع في قراءة الفاتحة أيها الحنفي؟ فقال: أسكت ولا أقرأ، فقلت: وأنت أيها الشافعي ما تصنع؟ فقال: أقرأ ولابد. فقلت: وإذا انتهينا من الصلاة فما رأيك أيها الشافعي في صلاة أخيك الحنفي؟ فقال: باطلة، لأنه لم يقرأ الفاتحة وهي ركن من أركان الصلاة. فقلت: وما رأيك أنت أيها الحنفي في عمل أخيك الشافعي؟ فقال: لقد أتى بمكروه تحريماً، فإن قراءة الفاتحة للمأموم مكروهة تحريماً. فقلت: هل ينكر أحدكما على الآخر؟ فقالا: لا. فقلت للمجتمعين: هل تنكرون على أحدهما؟ فقالوا: لا. فقلت: "يا سبحان الله! يسعكم السكوت في مثل هذا، وهو أمر بطلان الصلاة أو صحتها، ولا يسعكم أن تتسامحوا في المصلى إذا قال في التشهد اللهم صلي على محمد أو اللهم صلي على سيدنا محمد، وتجعلوا من ذلك خلافاً تقوم له الدنيا وتقعد".

وكان لهذا الأسلوب أثره، فأخذوا يعيدون النظر في موقف بعضهم من بعض، علموا أن دين الله أوسع وأيسر من أن يتحكم فيه عقل فرد أو جماعة، وإنما مرد كل شيء إلى الله ورسوله وجماعة المسلمين وإمامهم إن كان لهم جماعة وإماماً!![31].

- **خلاف حول الأذان:**

كانت بعض المساجد في مصر تلتزم بالصيغة الشرعية للأذان، وكان بعضها لا يلتزم بها فكان المؤذنون بها يتغنون به ويختمونه بعبارات زائدة وبطريقة مستهجنة..

فترتب على ذلك خلافات بين المصلين في هذه المساجد، حتى انتهى الأمر إلى القطعية واستقلت كل جماعة بمساجدها وامتنعت عن الصلاة في المساجد الأخرى.

وتحرك الإمام البنا للإصلاح بينهم، فجمعهم في جلسة، وبعد افتتاحية طيبة تستجيش القلوب والأرواح..

---

[31] انظر "مذكرات الدعوة والداعية": (ص 67-70).

قال: بودي أن أسألكم جميعاً، هل الأذان الذي تختلفون عليه سنة أم فرض؟
قالوا: بل الأذان سنة.
قال: وهل الحب والأخوة والوحدة، كما قال الله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) [آل عمران: 103] سنة أم فرض.
قالوا: بل فرض.
قال: فكيف نضيع الفرض في سبيل خلافات على السنة، أعتقد – في سبيل وحدة القلوب ووحدة المسلمين – لو تركنا الأذان وأبقينا على الحب والوحدة يكون هذا أولى.
.. وانصرف الجميع على أن يقبل كل منهم وضع أخيه في سبيل الوحدة الإسلامية.

حسن البنا.. يرسي قواعد الإعلام الإسلامي

كانت أمنية عزيزة في نفوس المؤمنين أن تكون هناك جريدة يومية إسلامية تقدم الأحداث بما يتفق مع وجهة نظر ملايين المسلمين، وتعبر عن الحركة الإسلامية، وتربطها بواقع الأمة الإسلامية وقضاياها ومشكلاتها في مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.
وقد سبق أن حاول بعض الغيورين تحقيق هذه الأمنية قبل قيامة جماعة الإخوان، ولكن الرأي العام الإسلامي لم يكن قد وجد بعد، فلم تتحقق الفكرة.. ثم تجدد المسعى واجتمع بعض الكرام في دار الشبان المسلمين ودرسوا الفكرة من جديد، ولكن حالت بينهم وبين تنفيذ أملهم عقبات، فظلت الفكرة حلماً في النفوس.
وظلت هذه الأمنية تراود الإخوان المسلمون، حتى صارت حركتهم أكبر من أن تعبر عنها مجلة أسبوعية، وقد حان الوقت لتحقيق أمنيتهم، وهو إصدار جريدتهم اليومية، لتكون أول جريدة إسلامية يومية تصدر في مصر، بل في العالم الإسلامي كله.
وقرار مثل هذا لابد أن تحشد له كل القوى والجهود، وقد بدأت تظهر بشائر الرأي العام الإسلامي واتسعت القاعدة الشعبية للدعوة من خلال الجهود العظيمة التي بذلها دعاة الإخوان.
وفكر الإخوان في الأمر، وشكلت لجنة تحضيرية رأت أن يكون هناك شركتان مساهمتان، إحداهما لإصدار الجريدة اليومية، والثانية لمطبعة خاصة تجهز بأحدث الآلات، وتعد أكمل إعداد لتصدر الجريدة على أكمل نسق وتثبت لما يعترضها من عقبات، ووضعت اللجنة صورة من العقد الابتدائي للشركتين ونظامها الأساسي مع وضع الضمانات اللازمة. ولاحت البوادر الطيبة التي تبشر بالنجاح حيث أقبل الكثير من الإخوان على المساهمة بحماسة وإخلاص.
ووجه الإمام البنا نداء على إحدى صفحات مجلة "الإخوان المسلمون" بعنوان: (أيها الإخوان.. مشروعكم الثاني) قال فيه: (الآن أيها المجاهدون الصامتون، أنتم أمام مشروع آخر أعمق في الدعوة أثراً، وأندى بها صوتا، وأرفع لها ذكراً، وألزم إليها من كل سواه، هو مشروع "الجريدة اليومية والمطبعة الإسلامية" وأوضح كيف انتهت حرب المدافع والطائرات وبقيت حرب المبادئ والآراء، وبقي دور المطبعة والإذاعة ومعركة الصحف والأوراق تغزو العقول والأفكار بمختلف الدعايات).. واستطرد قائلا:
(وخطوت الخطوة العملية اعتماداً على حسن الظن بالإخوان وما عرفوا من مبادرة إلى الإجابة، وإقدام على البذل والتضحية، وإن قوماً جعلوا شعارهم "الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا" لجديرون إذا دعوا إلى الجهاد بالمال وهو أهون من الجهاد بالنفس أن يستجيبوا للداعي، وألا يدخروا وسعاً من البذل والإنفاق، وما داموا مخلصين في غايتهم فإن الله لهم خير كافل وأفضل معين).. ثم شرح الخطوات التي اتخذت لتأسيس هذا المشروع الجديد، وقال مختتماً نداءه:
(إن المشروع ليس اكتتاباً خيرياً ولا صدقة ولا إحساناً، على أنه لو كان كذلك لما اتهمنا سخاءكم وحبكم للخير ومبادرتكم للبذل، ولكنه في حقيقة وضعه مشروع تجاري لعله من أفضل المشروعات في تثمير الأموال وحسن الانتفاع به مع ما له من أثر جليل في الدعوة، ولا أقول لكم هذا إغراء بالمساهمة فإني أود أن يساهم أحدكم وهو يحتسب مساهمته عند الله، فإن ربحت المساهمة مادياً فقد حاز الأجرين الربح المالي والثواب الأخروي، وإن خسرت مالياً فحسبه مثوبة الله العلي الكبير.. وانتهزوا الوقت ولا تسوفوا، والبركة في البكور والبدرة لمن بدر وفضل السبق في مثل ذلك ليس كفاء، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. كتب الله لكم الإيمان وأيدكم بروح منه).
ولقد كانت عناصر النجاح لمشروع إنشاء الجريدة اليومية للإخوان المسلمون متوفرة (فالمال متوفر حيث جيوب الإخوان أغنياء وفقراء مفتوحة للمشروع لا تغلق دونه، والثقافات المختلفة التي يحتاج إليها التحرير والطبع والإعلان واستقاء

الأخبار متوفرة ومتوثبة للعمل تطوعاً أو بأجر زهيد، وجمهور المشترين جمهور ضخم تزخر به أنحاء البلاد في كل مدينة وفي كل حي وفي كل شارع وفي كل قرية مهما نأت عن العمران).
واستقال فضيلة المرشد والوكيل العام للجماعة من العمل في الحكومة ليتفرغا لأعمال الدعوة، واستعد الإخوان لإصدار جريدتهم[32].
وصدر العدد الأول من جريدة "الإخوان المسلمون" اليومية صباح الأحد 3 جمادى الثاني عام 1365 هـ الموافق 5 مايو 1946م، وظلت تصدر حتى ألغيت رخصتها بأمر عسكري قبيل قرار حل الجماعة في 7 صفر 1368 هـ الموافق 8 ديسمبر 1948م.
وقدم الإمام البنا الجريدة للقراء في المقال الافتتاحي للعدد الأول، الذي صدر بعنوان "مطلع الفجر" يرسي فيه قواعد الإعلام الإسلامي، وفيما يلي نصه.

مطلع الفجر

(بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم) [الفاتحة: 1-6]، (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً) [الكهف: 10].

(1)

تكون الدعوة من الدعوات واضحة ناجحة، ومع وضوحها ونجاحها يظل أمرها مغموراً في الناس، وتظل قلوبهم منصرفة عنها، حتى يتم لها أن تتملك قلوب المؤمنين وحينئذ تتنبه أحاسيس الناس ومشاعرهم وتتفتح أبصارهم وبصائرهم، ويلتفتون يمنة ويسرة نحو هذا النور يحسبونه جديداً وهو قديم، ويظنونه مفاجئاً وهو مقيم، ويكثر التهامس والتساؤل ثم يتحول إلى نقاش وتحاور، وقد يتجاوز هذا الحد إلى اتهام وتهاتر، أو تهجم وتشاجر، وينتهي ذلك كله بانتصار الحق وانتصاف أهله، (كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) [الرعد: 17]، وكذلك نشأت دعوة الإخوان المسلمون منذ سبعة عشر عاماً واضحة ناجحة إسلامية صميمة، وأخذت طريقها إلى الظهور حتى تملكت آلاف القلوب من المؤمنين بها، وتجمست صورة كاملة في صدورهم، مشت على الأرض قوية فتية بأقدامهم، وأثرت في مجريات حياتهم واهتز لهذا التأثر كيان المجتمع المصري، وسرى هذا التيار المبارك إلى الأقطار المجاورة فتلفت الناس يتساءلون متى؟ وأين وكيف؟ وماذا يقصدون؟ وفي أي طريق يسيرون؟ أتابعون أم متبوعون؟ دينيون أم سياسيون؟ وما شأن جمعية خيرية بشركات مالية؟ وما موضوع دعوة دينية في الحياة العصرية؟.. إلخ.
وكان لابد لهذا الأسئلة من إجابات متلاحقة تطالع الناس مع تنفس الصبح وتشرق عليهم إشراقة الشمس، وذلك بعض مهمة هذه الصحيفة.

(2)

والإسلام الحنيف دعوة إنسانية عالمية لا دعوة جنسية إقليمية، وقد تصوره المسلمون أنفسهم بفعل الحوادث المتعاقبة، وظروف الأجيال المتطاولة على صور شتى منها القريب من حقيقته، ومنها البعيد كل البعد عن أهدافه وغايته، ومنها ما أصاب المحز وطبق المفصل ووصل إلى عين اليقين وكل إناء بالذي فيه ينضح.
كما أحاطت به عند غير المسلمين خرافات وشبهات وأقاصيص وخيالات ليست من الحق في كثير ولا قليل، ولهذا سيكون من مهمة هذه الصحيفة حيال الدعوة الإسلامية العامة واجبات خمسة:

- أولها: تجلية تعاليم الإسلام والكشف عما فيها من روعة وجمال، وعرضها عرضاً يلائم أسلوب العصر ويثبت أنها أفضل الأنظمة للجمعية الإنسانية.
- ثانيها: رد ما يوجه إليها من اتهامات باطلة وشبهات لا حقيقة لها.
- ثالثها: تقريب وجهات النظر بين أهل القبلة جميعاً من غير دخول في مناقشات مذهبية عقيمة، أو مجادلات لا توصل إلى الحقيقة، والعمل على الجمع الكلمة حول الحق المشترك بأنزه الأقلام وأنبلها، وأعدل الآراء وأحكمها في حدود القاعدة الذهبية (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه).

---

[32] محمد فتحي شعير: "وسائل الإعلام المطبوعة في دعوة الإخوان المسلمين" ص 297-300.

- رابعها: تقرير هذه الحقيقة الجليلة الرائعة التي يتعامى عنها كثير من المغرضين ويحاولون إخفاءها أو تشويهها وهي: أن الإسلام الحنيف لا يخاصم ديناً ولا يهضم عقيدة ولا يظلم غير المؤمنين به مثقال ذرة، ولا تثمر تعاليمه حتى لا يسود بين أبناء الوطن الواحد إلا الحب والوئام والتعاون والسلام مهما اختلفت نحلهم وتباينت معتقداتهم.
(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) [الممتحنة: 08].
- خامسها: رسم الطريق الموصلة إلى إعادة نظامه وتطبيق أحكامه في الحياة الفردية وفي البيت وفي المدرسة وفي الدولة، وفي كل شئون المجتمع الصالحة، والتحذير من الخروج على هذه التعاليم السمحة.

(3)

ولنا مع قضايانا هذه السابقة، قضية أخرى لا تقل عنها خطراً ولا تنقص عنها أهمية وهي قضية أوطاننا وديارنا، التي باغتها الاستعمار الغربي بعد أن بيت لها أجيالاً طويلة فأحاط بها، وقيد حكوماتها وشعوبها وحال بيننا وبين التقدم، وبلغ ذلك مداه في نهاية الحرب العالمية الأولى، إذ كانت مصر تحت الحماية البريطانية، وفلسطين والعراق في قبضة إنجلترا، وسوريا ولبنان وتونس والجزائر ومراكش في يد فرنسا وطرابلس وبرقة مع إيطاليا، حتى تركيا الأوربية والآسيوية وهي دار الخلافة وقعت تحت يد احتلال الحلفاء وأدى ذلك الاسترقاق والاستهتار بكرامات الأمم وحريات الشعوب، إلى انفجار الثورات في كل مكان، واشتد النضال بين أصحاب الحق وغاصبيه حتى تحررت هذه الأوطان بعض الشيء وتيقظت وعرفت طريقها إلى الجهاد والكفاح. وجاءت الحرب العالمية الثانية وهذه البلاد كلها تجاهد في صف الدول الديموقراطية إذ أقسم زعماؤها وأكد رؤساؤها أنهم إنما يكافحون في سبيل الحرية وإقرار العدالة الاجتماعية في أرض الله، وكان طبيعياً وقد وضعت الحرب أوزارها أن يطالب المظلومون بحقهم وأن يجاهدوا في سبيل تحرير أوطانهم.
وستناضل هذه الصحيفة في سبيل هذه الحقوق بكل ما أوتيت من قوة فتعمل للحرية والوحدة وتحارب الظلم والطغيان في كل مكان، وهي حين تعني أعظم العناية بالكفاح في سبيل حرية وادي النيل ووحدته لن تنسى أبداً أداء واجبها كاملاً في سبيل أي قطر من أقطار العروبة وأوطان الإسلام مهما بعدت به الدار. إنما المؤمنون إخوة، والمسلمون عدول بعضهم على بعض يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، فلئن كانت جريدة الإخوان بحكم مصدرها إقليمية، فهي بحكم روحها ومنهجها عربية إسلامية بل لك أن تقول إنها إنسانية عالمية (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [الأنبياء: 107].

(4)

ولقد ترك الاستعمار كما تركت الحرب أعمق الآثار في أخلاقنا واقتصادياتنا ومدارسنا وكل شئون حياتنا، وواجهنا من المشكلات الاجتماعية ما يحتاج إلى العلاج الحاسم السريع، وارتفعت أصوات الكثير من الطوائف والهيئات التي شعرت بوطأة الفقر والمرض أدركت سوء أثر الجهل والرذيلة بالشكاية والاستصراخ، وصحيفة كصحيفة الإخوان تعتمد على الشعب وتتصل بمختلف طبقاته، ويشعر القائمون عليها أتم الشعور بما يعاني من ضيق وإرهاق، لابد أن تفتح صدرها لهذه الظلامات، ويعلو صوتها بهذه الشكايات، ويشتد اهتمامها بعلاج هذه المشكلات، وتصل عن طريقها مطالب المواطنين من موظفين وعمال ومزارعين وتجار وطلاب.. إلخ، إلى جهات الاختصاص.

(5)

وجريدة الإخوان وإن كانت صحيفة إخوانية فلن تكون خاصة بهم، أو وقفاً عليهم، بل هي ترجو أن تكون المنبر العام للهيئات الإسلامية، والجماعات الإصلاحية، على اختلاف ألوانها وبلدانها وترحب بكل ما يقدم إليها مادام متفقاً مع خطتها منهاجها.

(6)

إننا نؤمن أعمق الإيمان بأن رسالتنا الأولى أن نقول الحق، وأن نجهر به لا يقعدنا عن ذلك رغبة أو رهبة، ولا نخشى فيه لومة لائم كما نؤمن بأن النصيحة والإرشاد والثناء أو النقد يجب أن يكون ذلك كله في أسلوب عال رفيع، لا مهاترة ولا افتراء (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌ حميم) [فصلت: 34] وسيكون ذلك موقفنا من الأفراد والهيئات والأحزاب والحكومات على السواء، لا نؤيد ولا نهاتر، ولكن نرقب ونوجه ونرجو في ذلك كله وجه الله وصالح الوطن.

(7)

سنحاول ما استطعنا ألا تكون جريدة الإخوان مقصورة على لون من ألوان الغذاء الفكري والروحي، ما وجدنا إلا الاستيعاب سبيلاً، فسيكون فيها دنيا ودين وعلم وفن وأدب ورياضة وقصص وفكاهة، فالقلوب تمل كما تمل الأبدان، فالتمسوا لها طرائف الحكمة، وستعترضنا في بعض الموضوعات عقبات واعتراضات وليس المقيد بالرأي كالمطلق من القيد، وياويح الشجي من الخلي.. وكلنا مع هذا سنسدد ونقارب فما كان خيراً نشرناه ولا نبالي، وما كان شراً كإعلانات الخمر وأندية الميسر وحفلات الخلاعة والمجون أهملناه ولا كرامة. وما اختلفت فيه الآثار والنتائج تحرينا الفائدة في النشر أو الإهمال ونبهنا على جانب الصلاح، وحذرنا من عوامل السوء والفساد، يحملنا على ذلك الرغبة في أن تكون الصحيفة وافية بحاجات القراء. على أن الصحافة مرآة لحياة الأمة ومهمة الصحفي الكشف عن مستور الحياة ومواجهة واقعها والعمل على تدعيم نواحي الخير ومقاومة نواحي الشر، وليس معنى النشر في ناحية من النواحي، إقرارها أو الموافقة عليها، فقد يكون الغرض الدلالة عليها والتحذير منها.

ونحن بعد ذلك نرحب بكل نصح أو توجيه، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، وكنا نرجو أن تكون صحيفتنا مولوداً لا طفولة لها، لولا أن ذلك ليس من سنة الحياة، فلا أقل من أن نتعاون جميعاً على أن ينشأ هذا المولود وهو ابن كل محب للإصلاح نشأة طبيعية تدفع به سريعاً إلى النمو والكمال..

بهذه الكلمة، وهذا الرجاء، نقدم هذه الصحيفة إلى قرائها الكرام..

حسن البنا

رسالة من المرشد العام
إلى رئيس التحرير

وظل حسن البنا ساهراً على إرساء هذه القواعد عملياً، فتحولت من مستوى الأقوال والنظريات إلى مستوى المواقف والأعمال، ولم يسمح بأي خروج أو انحراف عن تلكم المبادئ..

حدث أن هاجمت صحافة حزب الوفد جماعة الإخوان ومرشدها هجوماً فاجراً يحمل معه كل جراثيم الحزبية ورذائلها وموبقاتها، مستخدمة في ذلك كل فنون الكذب والافتراء، متحللة من كل مبادئ الأخلاق.. فأثار هذا الهجوم حفيظة الإخوة محرري جريدة "الإخوان" اليومية، فجاء رد بعضهم بنفس الأسلوب، وكالوا بنفس المكيال، ولكن الإمام البنا ردهم إلى منهج الجريدة منهج الجادة ومخاطبة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، وكتب إليهم الرسالة التالية التي نشرت على صفحات الجريدة إذعاناً للحق..

(حضرة الأخ المفضال رئيس تحرير "الإخوان المسلمون" – وبعد:

فقد قرأت ما كتب من تعليقات عن "زهد النحاس" وعن "النحاس الورع" في عدد الأمس فلم أره يساير الأسلوب الذي ترتضيه دعوة الإخوان المسلمون ويتفق مع طابع الجريدة التي تنطق بلسانها – بل هو بالأساليب الحزبية والصحف التجارية أشبه وإليها أقرب – وأظنني نبهتكم مرة من قبل إلى هذا المعنى، ويظهر أنكم نسيتموه.

وكان الأخ الكاتب يستطيع أن يصل إلى كل ما يريد بعبارة قوية رصينة تحمل طابع النصيحة والحرص على قبولها والاستماع لها – تبتعد عن التشهير واللمز – وقد نهينا عنه أشد النهي، وإن من إرشاد الحق تبارك وتعالى لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى) [طه: 44]. ولا حجة فيما تتناوله الصحف الوفدية من أعراضنا بغير الحق، أو تلغ فيه صباح مساء من الباطل، وأين إذن فضل الدعوة وسمو الفكرة!! وجلال درجة العضو ومنزلة الكاظمين الغيظ والاقتداء بسيد البشر صلى الله عليه وسلم "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"ز

ونحن حين نكتب في بعض الأحيان من ردود على ما ينشر في هذه الصحف، إنما نريد أن نحق حقاً ونبطل باطلاً، لا أن نساجلها في ميادين الخصومة، فالخصومة بيننا وبين القوم ليست خصومة شخصية أبداً ولن تكون ولكنها خصومة فكرة ونظام.. هم يريدون لهذه الأمة نظاماً اجتماعياً ممسوخاً من تقليد الغرب في الحكم والسياسة والقضاء والتعليم والاقتصاد والثقافة.. ونحن نريد لها وضعاً ربانياً سليماً من تعاليم الإسلام وهديه وإرشاده في هذه النواحي جميعاً.. وهم يعلمون تمام العلم أنهم لا يستطيعون أن يقفوا أمام هذه الدعوة المؤيدة بنصر الله المتمكنة في قلوب المؤمنين من أبناء هذه الأمة المدعومة بإيمان خمسمائة مليون من البشر[33] من المحيط إلى المحيط كلهم يفرح بها ويهش لها ويتمنى للداعية لها كل

---

[33] تضاعف هذا العدد الآن فأصبح (ألف مليون).

توفيق ونجاح، فهم لهذا يعملون جاهدين على صبغ هذا الخلاف بالصبغة الشخصية والاتجاه إلى المناورات الحزبية، فننزلق إلى منازلهم في هذا الميدان التافه وهم فيه أغلب وعليه أقدر، ولكننا بحمد الله أشد يقظة مما يظنون وأنفذ بصيرة مما يحسبون (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) [الأنعام: 122].

ولهذا أرجو أن تحرص الجريدة كل الحرص على تخير الألفاظ وانتقاء العبارات، وتجنب النواحي الشخصية التافهة وتحري المعاني الكلية الجامعة مع تصحيح النية، وكبح جماح الغضب وكظم الغيظ وقتل شهوة الانتقام.. الله يعلم أننا أشد الناس ألماً لخصومة لا يستفيد مناه إلا أعداء الوطن والدين. وإننا نرقب بفارغ الصبر تلك الساعة التي يفتح الله فيها هذه القلوب، ويهدي إلى الحق هذه النفوس، والقلوب بين يدي الله يقلبها كيف يشاء.. اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك..

كما قرأت كذلك تحت الصورة التي نشرتموها بالأمس أيضاً تقديماً لي ولفضيلة الأخ الأستاذ مصطفى السباعي، وفي نهايته هاتان الكلمتان "قائد وجندي"، فإن أردتم بالقائد فضيلة الأستاذ السباعي وبالجندي هذا الضعيف الذي ما اعتبر نفسه يوماً من الأيام إلا أصغر جنود دعوة الحق فقد أحسنتم وصفاً وشكر الله لكم، وإن كنتم تقصدون ما تبادر إلى الأذهان من أول وهلة حين يرون مرشداً ومراقباً، فإلى الله أبرأ مما صنعتم، وإلى الإخوان أعتذر عما وضعتم.. وأرجو أن لا تحملنكم المداعبات الصحفية على مثل هذه المتعبات النفسية، والله أسأل أن يوفقنا جميعاً للخير، وأن يسدد خطانا لما يحب ويرضى، وأن يجمع القلوب على ما فيه خير الوطن العزيز.

حسن البنا.. وأحفال الجاهلية

- **حفل زفاف نجل علي ماهر باشا:**

كان (علي ماهر باشا)[34] من القلائل من زعماء مصر السياسيين الذين يفهمون فكرة الإخوان ويقدرونها، كما يقدرون الأستاذ المرشد كل التقدير..

ولهذا فوجئنا بحضور فضيلة المرشد إلى دار الإخوان بالإسكندرية على غير موعد، تلبية لدعوة علي باشا ماهر لحضور حفل زفاف ابنه..

وكان إمامنا الشهيد رحمه الله حتى لحظة وصوله على استعداد لتلبية دعوة الرجل ومجاملته في حال التزامه بآداب الإسلام وخلو حفله من منكرات أفراح طبقة الباشوات، ولكنه كلف أحد الإخوة الذين رافقوه من القاهرة بالانتقال لمشاهدة أوضاع الحفل وإحاطة الأستاذ المرشد هاتفياً بما رأى، فإن لم يكن بالحفل مخالفة شرعية أتم الأستاذ ما جاء من أجله، أما إذا وجد الأخ شيئاً بالحفل يسبب حرجاً لفضيلته قام هو بالواجب.. وانتظر فضيلة المرشد فترة من الوقت، فلما لم يتم الاتصال التليفوني، سألنا: ألا يوجد أحد من إخواننا عنده أي مناسبة؟

قلت له: إن الأخ محمد خليل شرف الدين، سيعقد قرانه الآن في منزل أصهاره بشارع الميناء الشرقية. فقال: هيا بنا إليه.. وكلفني بشراء هدية، وانتقلنا إلى عقد قران أخينا وأدركنا حفله، وهناك استقبلنا بحفاوة وترحاب، وكانت مفاجأة سارة لأصحاب العرس والإخوان، أضفت على الحفل بركة.. وروعة.. وبهجة وسروراً.

وتحدث فضيلة المرشد حديثاً قصيراً خفيفاً، وهنأ الأسرتين ودعا للعروسين بأن يبارك الله لهما وأن يجمع بينهما في خير.

***

- **حفل استقبال صدقي باشا:**

في الشهور الأولى، بعد ولادة أول تشكيلة الإخوان المسلمون في مدينة الإسماعيلية.. في ذلك الوقت كان عمل الأستاذ البنا ومعه الرعيل الأول يجري على قدم وساق للتبشير بالدعوة، وإقامة مؤسساتها هناك، المسجد والدار ومعهد حراء الإسلامي.. في ظل هذه الحركة الدائبة والعمل المتواصل لإرساء قواعد الدعوة بالإسماعيلية، أعلن عن زيارة صدقي باشا لسيناء..

وعن هذه الزيارة يقول الأستاذ البنا في مذكراته:

---

[34] علي ماهر (1882-1961). قانوني وسياسي مصري. بدأ حياته بالمحاماة، عين قاضياً بمحكمة مصر. وعند قيام الثورة الوطنية 1919 انضم إليها. عين ناظراً لمدرسة الحقوق 1923، فوكيلاً لوزارة المعارف، فوزيراً لها 1924، فوزيراً للمالية 1929، وللمعارف فالعدل 1930. عين رئيساً للديوان الملكي. وفي 1936 تولى رئاسة الوزراء، فكونت في عهده الجبهة الوطنية. عين عضوا بمجلس الشيوخ. فرئيساً للديوان الملكي ثانية. ثم شكل الوزارة 1939 قبض عليه 1942، ثم أفرج عنه. شكل وزارة أخرى في 26 يناير 1952 عقب حوادث حريق القاهرة. ألف وزارته الرابعة في 23 يوليو 1952 واستقال في 7 سبتمبر حيث سقطت مصر في قبضة العسكر..
كان من أنزه السياسيين المصريين وأقربهم فهماً لفكرة الإخوان المسلمون.

(وصادف في هذه الأثناء أن اعتزم صدقي باشا – وهو رئيس الحكومة حينذاك – زيارة سيناء، وكان طبيعياً أن يمر بالإسماعيلية. واهتزت الإدارة لهذا النبأ، وأخذ في الاستعداد لاستقبال رئيس الحكومة وحشد الناس له بالمحطة ليقابلوه، وحضر المحافظ مرة وحضر مأمور الضبط بعد ذلك. وأخذوا يفكرون فيمن يخطب له في هذا الاستقبال، ولست أدري أي خبيث دلهم عليّ، فقالوا إن فلاناً وهو موظف من موظفي الدولة يخطب له، ودعيت إلى (قسم الشرطة) وفاتحني في هذا مأمور الضبط وهو صابر بك طنطاوي، ومأمور القسم وآخرون من رجال، فغضبت لذلك غضباً شديداً وقلت لهم إنني أكتب لكم استقالتي الآن.
إذا كنتم تظنون أن الموظف أداة تتحرك بإرادة الناس، فأنا الذي أقدر قيمة نفسي لا وزارة المعارف، ولا يمكن أبداً أن أضع نفسي في هذا الموضع، وأنا أعلم تماماً أن التعاقد الذي بيني وبين وزارة المعارف لا يلزمني بأكثر من أن أحسن عملي في التربية والتعليم، وليس فيه نص على الخطابة لرؤساء الحكومات، وكلام طويل من هذا القبيل، وأمام هذا الإصرار لم يجدوا بداً من انتداب أحد الأعيان للقيام بهذه المهمة)[35].

***

- **حفل ضباط الجيش:**

كان الملك فاروق في سنة 1938 قد تولى سلطاته الدستورية بعد أن بلغ السن القانونية، وجعل من يوم توليه (يوماً وطنياً) تحتفل به البلاد وتعطل فيه مصالح العباد، كما اعتاد ضباط الجيش في مصر أن يحتفلوا بذكرى هذه المناسبة على طريقتهم التي تأثروا فيها بتقاليد الغرب وميوعته التي لا تليق بكرامة الجيش ولا برجولة الضباط ومكانتهم في أمة مجاهدة!!
وقاموا بتوجيه الدعوة إلى كبار رجال الدولة، ورجال السلك الدبلوماسي للحفلة الساهرة، التي يقيمها سعادة رئيس هيئة أركان حرب الجيش وضباط نادي القوات المسلحة بمناسبة تولي (جلالة الملك) سلطاته الدستورية، مساء ذلك اليوم بثكنات القلعة، وقد دعي فضيلة المرشد العام للإخوان إلى هذه الحفلة!!
ولكن فضيلته اعتذر عن عدم الحضور واكتفى بإرسال البرقية التالية إلى سكرتير نادي الضباط:
(حضرة المحترم سكرتير نادي الضباط بالزمالك بالقاهرة:
أشكر لسعادة الفريق إبراهيم عطا الله باشا وحضرات أعضاء النادي دعوتهم الموجهة إليّ لحضور الاحتفال بمناسبة ذكرى تولي حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم سلطته الدستورية، وأعتذر من عدم الحضور، وكنت أتمنى أن يكون هذا الاحتفال بعرض عسكري قوي يليق بحزم الضباط وشجاعة الجندي ويبث في النفوس معاني الحماس والإقدام لا بحفل غنائي ساهر.
والله أسأل أن يغير ما بأنفسنا، لتصلح أحوالنا وأن يجعل عهد جلالة الملك حفظه الله، عهد سعادة وإقبال وحرية واستقلال..
آمين – حسن البنا).
وشتان بين ما كان يقصده حسن البنا من فكرة العروض العسكرية، كما تمثلت في فرق جوالة الإخوان المسلمون، التي صاغت جيلاً صياغة جديدة، فابتعثت من أعماقه ما كان كامنا فيها من طاقات خارقة ومواهب باهرة، فصار مثلاً في الاستقامة والبذل والإيثار والتضحية، وأيقظت أمة من سباتها بما كانت تبعثه جموعها الحاشدة وطوابيرها المنظمة وخطواتها المتسقة الواثقة وطبولها المثيرة وهتافاتها المزلزلة وعسكريتها الحازمة، وجعلتها تشعر من جديد بأن لابد للحق من قوة تحمية، وأنها لا تستطيع أن تحيي مجدها أو تستأنف دورها الحضاري بغير إحياء فريضة الجهاد..
شتان بين هذا وبين ما تحولت إليه العروض العسكرية على يد ضباط لعبة الانقلابات العسكرية في سنوات الهوان والضياع الأخيرة.

***

وهكذا مضت معارضة حسن البنا وامتدت إلى نقد الوزراء في حفلات السباق والمراهنة وفي حفلات الخمر والرقص، إيماناً بأن أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.
ولما ذهب الشيخ مصطفى عبد الرازق – وهو وزير – إلى إحدى الحفلات الراقصة بعمامته كتبت صحيفة الإخوان المسلمون تقول: إلى الله نبرأ من هذه العمامة.. ومضت هذه الصحيفة في مواجهة أخطاء المجتمع والسياسة بقوة، فتقول:
(متى يستقيم الظل والعود أعوج، على رئيس الوزراء والوزراء أن يقيموا الصلاة الجامعة أولاً)..
(أي دين يبيح لكم هذا: في حفل وزير الخارجية الرسمي رقص وشراب واختلاط!! اللهم إن الإسلام لا يبيح هذا ولا يرضاه).
ونددت (النذير) بما نشرته الصحف عن سباق الخيل باعتباره بابا لزيادة إيرادات الدولة.
وقالت: (هل ضاقت بوزير المالية مصادر الزيادة في الإيرادات فلم يجد أمامه إلا باب الميسر والمال الحرام)!!.

---

[35] مذكرات الدعوة والداعية ص 49.

ولما قصد وزير المالية والنائب العام إلى ميدان السباق قالت: (إن هذا فرع من الميسر لا شك فيه قد نهانا عنه الشرع وحرمه الدين.
لئن ربح النائب العام جنيهات معدودة فقد خسر رضاء الله وثقة المسلمين).
وهاجمت النذير حديثا للشيخ مصطفى عبد الرازق حين قال: أنا لا أقر فضيلة الشيخ أبي العيون على مقترحاته بخصوص الآداب على الشواطئ، ولا أذهب مذهبه.
وقالت: (لقد عرف الجميع عصريته التي قد تخالف الحياة الإسلامية الصحيحة، ولكن ما كان أحد يتصور أن يذهب إلى مثل هذا الجواب الملتوي، كنا نتصور أنه موافق مثلاً على اختلاط الجنسين في الجامعة، ولكن ما كنا نتصور أنه لا يقر مقترحات الشيخ أبي العيون التي يرمي بها إلى القضاء على الفساد الذي يرتكب في الشواطئ أمام بصر الحكومة وسمعها.
وما كنا نظن أن الشيخ مصطفى عبد الرازق الأغر – يسكت عن إبداء رأيه في مقترحات الشيخ أبي العيون بما يفهم منه عدم رضاه عنها).
وعارض الإمام البنا شيخ الأزهر حين أعلن موافقته على أن يلبس رجال الجيش القبعة شبيها بالجنود الأجانب.
وقال: (إن لبس القبعة أمر يحرمه الدين أشد التحريم، لما يستتبعه من مفاسد وأضرار، فقد حرم الإسلام كل لباس يضعف في نفس المسلم معنى الفكرة الإسلامية بأن يجعله شبيها بالكفار في الهيئة وإن لم يكن هذا اللباس خاصا برجال دينهم، وقد وضع الإسلام في ذلك وغيره قاعدته المعروفة: من تشبه بقوم فهو منهم).

حسن البنا.. والغارة التبشيرية

حين بدأ حسن البنا دعوته في الإسماعيلية عام 1928، واجهته عدة عقبات:

- أولها: وجود قوات الاحتلال البريطاني على ضفاف القناة.
- ثانيها: سيطرة شركة قناة السويس التي يتحكم فيها الأجانب الذين يتحكمون في رقاب الشعب المصري ويسيطرون على أرزاقهم.
- ثالثها: الكثرة الكاثرة من الشعب المصري التي تنضوي تحت رايات بعض الطرق الصوفية البعيدة كل البعد عن روح الإسلام وحقيقته، بما يزاولونه من أعمال تتنافى مع طبيعة هذا الدين.
- رابعها: موجة التبشير العارمة التي كان يتزعمها القس زويمر الحاقد على الإسلام.

وتوجه الأستاذ البنا بحكمته وسياسته الرشيدة إلى مواجهة المبشرين بكل قوة، وكان يرمي بذلك إلى إيجاد تعاطف مع عامة المسلمين وبخاصة رجال الطرق الصوفية، فكان توفيق الله حليفه وتم له ما أراد.
وكان المبشرون يذهبون مبكرين في صباح كل يوم إلى عزبة في ضواحي الإسماعيلية، يقدمون للأهالي الفقراء هناك زجاجات من اللبن وأرغفة الخبز (الأفرنجي – الفينو)، وبهذا الأسلوب يبدأون في جذب قلوب هؤلاء البسطاء إليهم وشيئاً فشيئاً تتوثق روابطهم بهؤلاء المبشرين، وفي اللحظة المناسبة يقوم المبشرون باستدراجهم إلى ترك دينهم وتنصيرهم.
وأدرك الأستاذ البنا خطورة الأمر، فجمع الإخوان بالإسماعيلية وتشاوروا في مواجهة هذا الخطر، واقترح عليهم أن يقوموا بشراء زجاجات من اللبن وأرغفة من الخبز وبعض الحلوى للأطفال ثم يقوم الإخوان مبكرين بعد صلاة الفجر ليسبقوا هؤلاء المبشرين إلى هذه العزبة، ويوزعوا هذه الهدايا على المسلمين الفقراء هناك ثم يحذرونهم من ألاعيب المبشرين وأهدافهم.
وفعلا قام الإخوان على قدم وساق بتنفيذ هذا الاقتراح وتوالت هداياهم ومساعداتهم، ومحاضرات التوعية لهؤلاء الفقراء المسلمين، حتى تراجع المبشرون، وقال القس زويمر، حين نجح الإخوان في خطتهم ومسعاهم كلمته العميقة: "لقد دخل الميدان عقل جديد".

***

- **إنشاء لجان فرعية في شعب الإخوان**

لتحذير الشعب من الوقوع في خداع المبشرين:
كان من بين مقررات مجلس الشورى العام بالإسماعيلية – حيث لم تكن الدعوة قد انتقلت بعد إلى القاهرة – تكوين لجان فرعية في دوائر الإخوان للعمل على تحذير الشعب من الوقوع في حبائل المبشرين.. وكان هذا القرار على أثر التقارير التي كانت ترد لفضيلة المرشد من شعب الإخوان في مدن القناة عن حوادث التبشير بخاصة محاولات (مدرسة جمعية التبشير البروتستنتي – السلام) بالمنزلة تنصير فتاة مسلمة، وتكرار هذه المحاولات من نفس المدرسة مع خمس تلميذات من بورسعيد بعد تهريبهن.

ولكن الإخوان في هذه المنطقة كشفوا عن هذه الجرائم، واستطاعوا بتوفيق من الله إنقاذ الفتيات المسلمات، وفضحوا الأساليب الشيطانية للمبشرين وطرقهم في الإغراء مستغلين فقر أسر الفتيات وقلة حيلتها لأي نوع من أنواع الكسب.
واتخذ الإخوان – إلى جانب توعية الشعب بالخطر التبشيري – وسائل عملية من جنس وسائل المبشرين بإنشاء مؤسسات اجتماعية لتأهيل البنات وتنظيم دروس لتعليمهن أصول الدين الإسلامي.
ولم يكتف الإخوان بهذه الجهود، فأرسل مجلس الشورى العام عريضة إلى الملك فؤاد يستنهضونه للعمل على مكافحة الحركة التبشيرية في البلاد وحماية شعبنا المخلص (من عدوان المبشرين الصارخ على عقائده وأبنائه وفلذات كبده بتكفيرهم وتشريدهم وإخفائهم وتزويجهم من غير أبناء دينهم، الأمر الذي حظره الإسلام وحرمه وتوعد فاعليه أشد الوعيد)[36].. وطالبوه بعدة وسائل لإنقاذ الأمة من شرور المبشرين هي:
أولاً: فرض الرقابة الشديدة على هذه المدارس والمعاهد والدور التبشيرية والطلبة والطالبات فيها إذا ثبت اشتغالها بالتبشير.
ثانياً: سحب الرخص من أي مستشفى أو مدرسة يثبت أنها تشتغل بالتبشير.
ثالثاً: إبعاد كل من يثبت للحكومة أنه يعمل على إفساد العقائد وإخفاء البنين والبنات.
رابعاً: الامتناع عن معونة هذه الجمعيات بتاتا بالأرض أو بالمال.
خامساً: الاتصال بحضرات الوزراء المفوضين في مصر والخارج حتى يساعدوا الحكومة في تنفيذ خطة الحزم حفظاً للأمن ومراعاة لحسن العلائق)[37].

***

- **حسن البنا في مواجهة أحد المبشرين:**

حدثني الأخ الأستاذ محمد الحسناوي من كرام الإخوان في سوريا..
(أنه كان يسير في سوق الكتب والمجلات في دمشق، فاشترى "مجلة الفتح" لصاحبه الأستاذ محب الدين الخطيب. واستهوته قصة في المجلة، ظل يقرأها بشغف، وأحس من أعماقه أن صاحب هذه القصة لا يكون سوى الأستاذ حسن البنا، وفعلا كان صاحب القصة هو الأستاذ البنا حيث كان هو صاحب التوقيع.
وتتلخص القصة، في أن الأستاذ البنا التقى برجل أميّ يعلم في إصلاح الأحذية، ولما أنس الرجل بالشاب (حسن البنا)، ولمس فيه روح التدين عرض عليه مشكلة..
فقال: هناك رجل يزاول التبشير، يأتي إليه ويتحدث إليه مشككاً في عقيدته الإسلامية، كما يذهب هو مع بعض أصدقائه إلى هذا الرجل في موعد أسبوعي يجادلونه فيما يدعي.
فاستأذنه الشيخ البنا في أن يصحبهم إلى هذا اللقاء، وفعلا تم اللقاء في منزل المبشر، وأخبر المبشر الحاضرين: أنه كان من قبل مسلماً من خريجي الأزهر الشريف، ولكن بعد أن قرأ الأناجيل كلها، أدرك أن الدين المسيحي هو الدين الحق، وهذا ما دعاه إلى اعتناق المسيحية عن اقتناع، وإلى العمل على التبشير بها.
- وهنا بدأ الشيخ حسن البنا يسأل المبشر: هل أنت من خريجي الأزهر؟
- قال: نعم.
- فقال الأستاذ البنا: لي سؤال واحد، أن تقرأ علينا مقدمة "سورة النحل"؟
- قال المبشر وهو يحاول أن يبتسم: هذا سؤال بسيط، هات سؤالا غيره؟!
- فقال الشيخ البنا: أنا رجل بسيط ولا أعرف غير هذا السؤال، واعتقد أنه سؤال عادي.
- وحاول المبشر أن يهرب من الرد، ولكن الشيخ البنا ضيق عليه الخناق، وانضم إليه باقي الحضور.

وأخيراً، انهار المبشر وهو يبكي، وكشف عن حقيقته فقال: أنا في الأصل مسلم وقعت فريسة لأحد المبشرين الذي استغل فاقتي وحاجتي، وأوعز إلي أن أتعامل مع فقراء المسلمين بهذا الأسلوب الذي استعمله معي ويستعمله مع عامة الفقراء من المسلمين.
والآن وقد أفقت من غفلتي وعدت إلى رشدي، أريد أن أتوب وأعود إلى الإسلام.
وانتهز الأستاذ البنا هذه الفرصة وقام بتنوير الحضور ونبههم إلى خطورة أساليب المبشرين الماكرة في استدراج البسطاء من المسلمين وتسكيكهم في عقيدتهم الإسلامية السمحاء.

- **من جهود الطالب حسن البنا[38]**

---

[36] انظر: مذكرات الدعوة والداعية من ص 151 إلى ص 157.
[37] انظر: مذكرات الدعوة والداعية من ص 151 إلى ص 157.

إن الفترة التي قام خلالها حسن البنا بدعوته كانت حالكة في تاريخ هذه الأمة.. وأشير هنا إلى أن هذه الحلكة لم تبدأ مع بدء ظهوره على المسرح وإنما كانت الحلكة مطبقة على الأمة من قبل ذلك، وقد بلغ استهتار الإنجليز بمقدرات هذه الأمة أن تجاهلوا أنها أمة مسلمة ذات مجد وتاريخ ففتحوا للحملات التبشيرية أبواب البلاد، بعد أن مهدوا لها بنشر الجهل والفقر والمرض، وبعد أن اطمأنوا إلى أن تقاليد الحكم في البلاد أصبحت في يد الفئة التي تدين لهم بالولاء والتي هي في حقيقة أمرها غريبة عن هذه البلاد فهي كما قال الشاعر:

بلاد قد نرى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

انتشر المبشرون في أنحاء البلاد في الوجهين البحري والقبلي، في المدن والقرى تحت سمع المسئولين من الحكام وبصرهم، بل إن هؤلاء الحكام في المدن والقرى كانوا بحكم تعليمات رؤساهم يسهلون للمبشرين وسائل دخول المدن والقرى كما يسهلون لهم وسائل الاتصال بالأهالي وإجراء ما يشاءون من إجراءات بل وإقامة ما يشاءون من منشآت بل واختطاف من يشاءون من أطفال ونساء، في الوقت الذي يضربون فيه بيد من حديد كل من تسول له نفسه أن يعترض سبيل هؤلاء الغزاة ولو بكلمة معتبرين ذلك اعتداء على الحكومة.. صار هذا الشعب نهباً مباحاً لهؤلاء المبشرين.
ولم تكن وسيلتهم إلى التبشير بالمسيحية عرضا لعقيدتهم وشرحاً لها أمام الناس كما هو المتبادر إلى الذهن من لفظ التبشير، وإنما وسائلهم هي استغلال فقر الناس وحاجتهم وجهلهم فيأخذون هذا الطراز من الناس ويأخذون نساءهم وأولادهم وينفقون عليهم ببذخ على أن يظلوا معهم داخل كنائسهم ويقولوا مثلما يقولون.. أما الشاب من أبناء الأغنياء فكانوا يغرونهم بالنساء.. كانت وسائلهم أخس الوسائل وأحطها.. وقد استمر عملهم هذا في جميع أنحاء البلاد أكثر من سنة ومع هذا لم يخرجوا بمحصول يزيد على عشرات الأفراد من هؤلاء الجهلة الفقراء المدقعين.
ولم تكن هذه الحملات العاتية للتبشير إذن ذات أثر يذكر في نتائجها من ناحية تكفير المسلمين لكنها كانت صورة بشعة متوحشة للاستعمار البريطاني أمام شعب أعزل مغلوب على أمره تضافرت على قهره حكومته مع الإنجليز.. كان الناس يبكون من شدة الغيظ لأنهم يرون بأعينهم من ينتهك حرمة عقيدتهم – وهي أعز ما يعتزون به – وهم لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم لأن حكامهم جعلوا الدفاع عن النفس في هذه الحالة جريمة يعاقب مرتكبها.
كنا في ذلك الوقت في رشيد – ولم تكن رشيد هدفاً للمبشرين لأنهم درسوا طبيعة البلاد قبل أن يحضروا من أمريكا وفرنسا وبلجيكا وغيرها من بلاد أوروبا فعلموا أن هناك مدنا مغلقة لا أمل لهم فيها حيث لها طبيعة خاصة وتاريخ لا ينسى ومنها رشيد، فلم يحاولوا دخولها.. لكننا كنا نسمع عما يفعلون بالمحمودية وقراها من خطف الأطفال وإغراء الفقراء بالمال وإغراء الشباب بالعبث وبالنساء.. وكان أهل المحمودية يحضرون إلى رشيد فيروون ما يحدث عندهم فيبكون ويبكون.
أما الصعيد فكان مرتعا خصبا لهم، حيث الفقر والجهل والمرض أضعاف ما هو عليه في الوجه البحري، وحيث كان الصعيد في ذلك الوقت يعتبر من المجاهل التي تحتاج إلى من يرتادها ويكشف عن معاناة أهلها المعزولين عن الحياة.. لقد فعلوا فيه الأفاعيل، وكانت أسيوط نقطة ارتكازهم وكان لهم مستشفى يخطفون الأطفال والنساء من القرى وينقلونهم إليه، ولا يستطيع أهل المخطوف أن يروه أو يعلموا عنه شيئا، ما لا يجدون من يشكون إليه.
كاد الناس يفقدون إيمانهم بالله أمام هذه القرى العارمة المتضافرة ثم لا يجدون من يعترض طريقهم، حتى الصحف لم تكن تشير إلى ذلك مع أنها كانت صحافة حرة لكن نفوذ الإنجليز وقانون المطبوعات الذي وضعه الإنجليز، يعطي حكام مصر المتواطئين معهم السلطة في مصادرة أية صحيفة أو وقفها أو سحب الترخيص بها إذا هي تعرضت للمؤامرة المدبرة على إذلال الشعب وتكفيره برضاه أو رغم أنفه، كما أن الأموال الطائلة المعتمدة لحملات التبشير من خزائن أمريكا وإنجلترا وفرنسا ودول أوروبا كانت تنفق على هذه الصحف بسخاء.
يقول حسن البنا – الطالب بدار العلوم في ذلك الوقت – كان صدري يحترق من زفرات الألم كما كادت تحترق صدور الناس من حولي، لكنني فكرت فلم أجد لهذا الألم معنى إذا لم يتحول إلى عمل، ولكن كيف نحوله إلى عمل والحراب مشرعة في وجوهنا من رجال الحكم الذين كان يجب أن يكونوا هم ملاذ الناس، والذين صرنا وإياهم كما قال الشاعر:

وقد كان منا إليك الشكا ة فأصبحت أنت الذي تشتكي

---

[38] عن كتاب "الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ" للأستاذ محمود عبد الحليم جـ 1 ص 58-64.

فكر حسن البنا فرأى أمامه في الأزهر شخصيات يرجي نفعها لما يلمس فيها من غيرة على الدين واستعداد للعمل إذا وجدوا إليه سبيلاً كالشيخ يوسف الدجوي، فاتصل بهذه الشخصيات فوجد فيها تحرقاً إلى العمل لكن الطريق أمامهم مسدود.. ثم لاحت في مخيلته صورة شخصية أخرى لها كيان علمي وأدبي خاص تفردت به دون غيرها.. ولها من ظروفها ما قد يعين على إيجاد بصيص من نور في هذه الحلكة القاتمة.. تلك هي شخصية "أحمد تيمور باشا" ذلك العالم الجليل سليل المجد والصديق الشخصي للملك فؤاد.

استصحب حسن البنا معه عددا ممن استجاب له من هيئة كبار العلماء وطلبوا مقابلة أحمد باشا تيمور في منزله.. فاستقبلهم الرجل أحسن استقبال وكان يعرفهم جميعا عدا هذا الشاب الصغير.. وتقدم هذا الشاب الصغير فتحدث عن الموضوع، حديث الثكلى عن فلذة كبدها ووصف الحال التي تظل البلاد وكيف يعيث المبشرون في البلاد فساداً تحت سمع الحكومة وبصرها بل في حمايتها وانفجر في البكاء حتى أبكى الباشا فأبكى الحاضرين.. وتداول المجتمعون عسى أن يجدوا مخرجا، وجاءت سيرة الملك فؤاد فقال تيمور باشا إنه صديقي وأثق في غيرته على الإسلام وتعددت الاجتماعات ونوقشت أفكار ومقترحات وانتهت إلى قرار بأن أول إجراء لابد منه أن تصدر مجلة تتصدى لهذه المؤامرة وتفضح اعتداءاتها وتستنهض الهمم لمقاومتها.. وبمجهود تيمور باشا وتدخل الملك فؤاد صدرت مجلة الفتح وأسندت رياسة تحريرها إلى الكاتب الإسلامي العظيم الأستاذ محب الدين الخطيب.

وقد حضرت في خاطري الآن قصة كان قد حدثنا بها الأستاذ المرشد، وهي تتصل بأساليب المبشرين في إغراء أبناء الأغنياء من المسلمين بالنساء مما أشرنا إليه قبلا..

وقد حدثني الأستاذ بهذه القصة في معرض حديثه عن كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام أبي حامد الغزالي. وكان الأستاذ المرشد يرى أن هذا الكتاب هو أعظم موسوعة علمية إسلامية، وكانت إحدى أمانيه أن تتيح له الظروف شرح هذا الكتاب. وقد شرع فعلاً في ذلك فأعد درسا أسبوعيا في منزله لمجموعة من الإخوان في شرح هذا الكتاب وكان حريصاً على كتابة كل درس يلقيه في كراسة – مما لم يفعله في درس آخر – ولكن الظروف لم تسعفه فقد هبت الأنواء من كل جانب على سفينة الدعوة فعصفت أول ما عصفت بهذه الدروس التي لم تدم إلا بضعة أسابيع ولله الأمر من قبل ومن بعد.

قال الأستاذ: في أوج الحملة التبشيرية – وكنا إذ ذاك بالمحمودية – كان أحد الشبان من أبناء أثرياء المحمودية قد أغرى بإحدى فتيات المبشرين.. ولما كان الشاب مستقيما متدينا فقد أبدى رغبته للمبشرين في الزواج منها، فاشترطوا عليه قبل إتمام الزواج بها أن يتنصر وأن يعمل خادما في الكنيسة.. ففعل ودخل الكنيسة يقضي فيها نهاره وليله ولا يخرج منها أملا في أن ينال رضاهم فيحققوا له رغبته الجارفة.

وفي إحدى الليالي، بينما هو نائم في الكنيسة رأى فيما يرى النائم أنه في الجنة – وفيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر – ثم رأى رجالا ثلاثة عليهم هيبة ووقار قادمين نحوه.. وتقدم أحدهم وسلم وعرف بنفسه كان موسى عليه السلام ثم تقدم الآخر فكان عيسى عليه السلام.. ثم أشارا إلى ثالثهم وقال: أتعرف من هذا؟ قال: لا، قالا: إنه محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين قال: فأخذتني رعدة، فقالا: إنما جئنا لنعتب عليك فيما فعلت.. وقال عيسى عليه السلام: كيف ترجع على عقبيك وتتنصر مع أنني أنا أؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم؟

قال الشاب: فاستحييت من النبي صلى الله عليه وسلم وتصببت عرقا مما فعلت بدافع الشهوة والهوس وحاولت الاعتذار والتوبة فلم أستطع أن أنطق فقد ألجم لساني.. فسكن النبي صلى الله عليه وسلم من روعي وقال لي: إذا أردت أن تصحح إيمانك فاصعد إلى أعلى الجنة، وحدد لي شجرة معينة، فستجد أبا حامد الغزالي جالسا في ظلها فتلق عنه كتابه "إحياء علوم الدين".

قال الشاب: فصعدت حتى رأيت أبا حامد فابتدرني بقوله: مرحباً بمن بعث به إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخذ يفتح "الإحياء" ويشرح لي وكلما شرح لي بابا انكشف عن قلبي غمة حتى استيقظت من النوم وقد غسل قلبي ولم يعد للفتاة التي أحببتها شيء في نفسي، وخرجت من الكنيسة واقتنيت كتاب "الإحياء".

قال الأستاذ: وعكف الشاب على الكتاب فصار شغله الشاغل حتى كاد يحفظه وكنا نرجع إليه في فهم ما يصعب علينا فهمه منه.

وبعد إيراد هذه القصة المعترضة، أرجع إلى سياق الحديث فأقول:

أخذت مجلة الفتح تفضح مؤامرة الإنجليز، فاضطر الإنجليز إلى الانحناء أمام العاصفة وبدأت الحملة التبشيرية الصليبية لأول مرة تواجه مقاومة. وكانت النتيجة العاجلة لفشل المؤامرة أن اضطر الإنجليز لسحب أذنابهم حكام مصر من المعركة فلم يبق في أرض المعركة إلا الصليبيون وجها لوجه.

وتكونت لجنة في القاهرة برياسة الشيخ محمد مصطفى المراغي الذي كان من قبل شيخاً للأزهر لمقاومة التبشير وتكونت لها فروع في المدن والقرى، وتصدت هذه اللجان لمن يسمون أنفسهم بالمبشرين، وما من مرة تقام مناظرة بين الطرفين علنا إلا انهزم المبشرون بالحجة والبرهان، وبعد أن زال عنصر الترغيب والإغراء وعنصر القهر والارهاب.
ولم تستطع الحملة الصليبية المسعورة بعد ذلك أن تثبت في أماكنها إلا أياماً معدودة، فكل يوم تجلو عن البلاد فرقة منهم حتى طهرت منهم البلاد في أشهر معدودات.

حسن البنا ورجال الفكر والثقافة

- رسالة إلى الدكتور طه حسين

كان أتباع الدكتور طه حسين من طلاب كلية الآداب في الجامعة المصرية قد أرادوا تكريمه فأقاموا له حفلاً، أعلن فيه سعادة الدكتور بأنه نصير الإسلام، وقال: إنني أتمنى أن يقيض الله للإسلام من يدافع عنه كما أدافع عنه، وأن ينشره ويحببه للناس كما أنشره أنا وكما أحبب مبادئه للناس.
فكتب له فضيلة المرشد قائلا:
إذا صح ذلك يا دكتور فقد اتفقنا كل الاتفاق، واعتبرنا أيها الداعية المسلم من جندك منذ الساعة، فإنا للإسلام نعيش، وله نحيا وفي سبيل الدعوة إليه نموت شهداء.
صدقني يا دكتور طه من غير أن أقسم لك وإن شئت فأنا أقسم على هذا، أنني لأتمنى من كل قلبي مخلصاً أن أرى ذلك اليوم الذي تدعو فيه أنت للإسلام وتنشره بين الناس وتحبب تعاليمه إليهم.
فإنك رجل جريء، لك قلم ولك لسان ولك تلامذة معجبون وأصدقاء مخلصون، وفيك دأب ونشاط وإنتاج خصيب، وما نحسدك على هذا ولكنا نتمنى أن يكون ذلك في ميزان الإسلام لا عليه وفي كفة الخصومة له وتوهين أمره بطريق غير مباشر، فهل يجيء حقاً ذلك اليوم؟! أسألك يا دكتور مخلصاً لا متحدياً لأتعنت.
إن لك تلامذة قد اختصصت بهم واختصوا بك، فأيهم ظهر أثر دعوتك فيه، فكان لسانا إسلاميا، أو قلما إسلاميا، أو صفحة من صفحات الفكرة الإسلامية، أو مظهراً من مظاهر التمسك بالإسلام؟!
وإنك قد ساهمت في خدمة كثير من القضايا الاجتماعية، وحضرت كثيراً من الأحفال والمؤتمرات في داخل القطر وخارجه، ففي أي من هذه جميعاً نطقت باسم الإسلام أو دعوت إلى تعاليمه؟!
وأنت يا دكتور أستاذ في الجامعة المصرية منذ أنشئت، فأنشدك الحق: هل تذكر أنك عرضت في دروسك ومحاضراتك لطلبتك ما يلفت أنظارهم إلى جلال هذا الدين وروعته ومتانة تشريعه! هذا والمادة التي اختصصت بتدريسها ألصق مواد الدراسة بالإسلام وكتاب الإسلام؟!
ولا أحرجك فأقول، وأنشدك الحق يا دكتور: أفتحيا أنت في حياتك اليومية على نمط إسلامي وتطبع أسرتك كرب بيت بهذا الطابع، ودع البيت وما فيه، أفتقوم أنت في حياتك الشخصية بواجبات الرجل المسلم، فضلا عن الداعية الذي يتمنى أن يقيض الله للإسلام من يدافع عنه مثلك؟!
ولا أحرجك بهذا السؤال الأخير، ولا أطالبك بجوابه، فأنتم معشر العصريين تفرقون بين الحياة الشخصية والحياة العامة، كأن واجبات الفضيلة وتعاليم الإسلام لا تتناولهما جميعاً، وكأن الحياة العامة للفرد ليست مرتبطة بحياته الخاصة كل الارتباط؟!
وبعد يا دكتور طه: فهل من الدعوة للإسلام أن تعرض للنظر في القرآن بالأسلوب الذي اخترته لنفسك من قبل – ولعلك عدلت عنه من بعد وهو ما أسر له – حتى مع تسليم الدعوى بأن البحث علمي بحت!!
وهل من الدعوة للإسلام أن تقف وقفتك المعروفة في شأن الكتابين الإنجليزيين، وما كان عليك ولا على الجامعة ولا من حرية الفكر من بأس أن تستجيب لأبناء مؤمنين من تلاميذك رأوا في هذا الكلام طعنا في مقدساتهم، فلجأوا إليك بالطريق القانوني في هدوء وأدب، أو ما كان أولى بالداعية إلى الإسلام أن يشجع هذه الغيرة ويسر لها ويعطف كل العطف على القائمين بها؟!
وهل من الدعوة إلى الإسلام أن تنادي في صراحة لا تعدلها صراحة: أنه لا سبيل لنا إلى الرقي إلا إذا قلدنا وسلكنا مسلك الأوروبيين، لنكون لهم شركاء في حضارتهم خيرها وشرها، حلوها ومرها، نافعها وضارها، ما يحب منها وما يكره، وما يمدح منها وما يعاب، ومن زعم لك غير ذلك فهو خادع أو مخدوع!!
ولعلك تقول كما تقول: إنما أريد الدعوة إلى العلم وإلى القوة وإلى الخلق وإلى النظام، وهذا حسن جميل، ولكن أفترى أن الإسلام لم يسلك المسلمين السبيل إليه قبل أن تخرج أوروبا من ظلمات جهلها بمئات السنين؟ فلم تدعونا إلى العلم والقوة والخلق والنظام باسم أوروبا الناشئة المتخبطة، ولا تدعونا إلى ذلك باسم الإسلام الثابت الدعائم الراسخ الأركان؟!

وهل من الدعوة إلى الإسلام أن تخلط يا دكتور بين الفتيان والفتيات هذا الخلط في كلية الآداب، فتحذو حذوها غيرها من الكليات، وتبوء أنت بإثم ذلك كله؟!
وتزين للفتيات في صراحة هذا الاختلاط، وتحثهن عليه، وتدعوهن إليه! ولا تقل إن هذا من عمل غيرك.. وما تحمس لهذا ودعا إليه وحمل لواءه واستخدم نفوذه في تحقيقه أحد كما فعلت ذلك أنت!!
ولعلك تعتبر هذا من مآثرك ومفاخرك، ولكني أخالفك يا دكتور، وأصارحك بأن هذا الاختلاط ليس من الإسلام، وقد رأينا وسنرى ما سيكون له من آثار!!
هذه صحيفتك يا دكتور طه في الدفاع عن الإسلام والدعوة إليه، فهل لا تزال بعد هذا الحساب اليسير غير العسير الذي لا مناقشة فيه ولا قسوة ولا عدوان، مصراً على أن يقيض الله للإسلام من يدافع عنه كما تدافع عنه، ومن ينشره ويحبب تعاليمه إلى الناس كما تفعل؟!
على أننا على استعداد لأن ننسى الماضي جميعه، ونأخذ في جديد مثمر منتج على الأساس الذي وضعته أنت وارتضيناه نحن: أن تثبت في نفوسنا مكانة الإسلام، وأن تدافع عنه، وأن تنشر تعاليمه، وأن تحببه للناس. وعلى أن يكون هذا الإسلام هو كتاب الله كما تفسره اللغة العربية الواضحة وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة الصحيحة كما فهمها السلف الصالحون رضوان الله عليهم.
فهل يضع الدكتور طه يده في يدنا على هذا الأساس، ثم نعاهد الله جميعاً على أن نكون أمناء له مخلصين له مجاهدين في سبيله؟!
وكلمة أخيرة يا دكتور: لقد قلت – وهو قول حق -: إن حياتنا موقوته، وكل ما فيها موقوت، وإن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يسترد المنحة التي منحها لنا وهي الحياة في أي لحظة، وهو قادر على أن يسترد ما يمنحنا أثناء الحياة.
ما أجمل هذا الإيمان!! أذكرك هذه الكلمات، وأذكرك أنك الآن رجل قد جاوزت سن الآمال الخلّب وصرت إلى الآخرة أقرب، وأسأل الله أن يطيل حياتك خادماً مخلصاً للإسلام، وإن هذا الشعب شعب كريم طيب القلب سرعان ما تنسيه الحسنة الواحدة كثيراً من السيئات.
وإن الله تبارك وتعالى واسع المغفرة عظيم الفضل عفو كريم، فلا عليك يا دكتور إلا أن تختم المطاف بتوبة صادقة نصوح، وأن تتجرد للإسلام ولخدمة الإسلام ولنشر الإسلام ولتحبب تعاليمه بحق إلى الناس، فتفوز بخير الدنيا وسعادة الآخرة. ذلك ما نرجوه منك ولك، وقلوب الناس بيد الله يصرفها كيف يشاء، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام.
والسلام عليكم ورحمة الله.
ذلك هو موقف حسن البنا في مواجهة أهل الفكر: حكمة عالية، وسماحة خلق، مع بيان كل شيء حتى لا ينخدع الناس في كلام مزيف براق[39].

- **كتاب "مستقبل الثقافة في مصر"**

من وجهة النظر الإسلامية
حضر حسن البنا جلسة البرلمان الخاصة بمناقشة الاستجواب الخاص بالدكتور طه حسين مراقب الثقافة العامة في وزارة المعارف..
وخارج البرلمان ناقش فضيلته الموقف من وجهة النظر الإسلامية:
(تردد في القاعة ما ذهب إليه الدكتور طه حسين في كتابه مستقبل الثقافة[40] تصريحا أو تلميحاً من أن الدين شيء والسياسة شيء آخر.

---

[39] عن كتاب "حسن البنا.. الداعية الإمام والمجدد الشهيد" للأستاذ أنور الجندي ص 314-317 نشر دار القلم – بيروت (1978).
[40] ألف طه حسين هذا الكتاب بعد توقيع معاهدة سنة 1936، وهو من أخطر كتب هذه الفترة، وتكمن خطورته في دعوته إلى تناول الحضارة الغربية بكل ما فيها من خير وشر، كما حاول أن ينزع عن مصر انتماءها الإسلامي إذ هي في نظره تنتمي إلى حضارة شعوب البحر الأبيض المتوسط الأوروبية. ويحور الحقائق التاريخية فيذكر إنفصال السياسة عن الدين في الحكم الإسلامي فيقول في ص 17 (فالمسلمون إذن قد فطنوا منذ عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة. وهو أن السياسة شيء والدين شيء آخر، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على أي شيء آخر) ويتساءل في ص 21 (وجاء الإسلام وانتشر في أقطار الأرض وتلقته مصر لقاء حسنا، وأسرعت إليه إسراعاً شديداً، فاتخذته لها دينا. واتخذت لغته العربية لها لغة. فهل أخرجنا ذلك عن عقليتها الأولى وجعلها ذلك شرقية بالمعنى الذي يفهم من هذه الكلمة الآن؟).
ويهدد بأنه لن ترده قوة عن أخذ الحضارة الغربية فيقول في ص 35 (وليس في الأرض قوة تستطيع أن تردنا عن أن نستمتع بالحياة على النحو الذي يستمتع بها عليه الأوروبيون).
ثم يغلق كل النوافذ الحضارية، ويعتبر الحضارة الغربية – وحدها – مقياسا للرقي فيقول في ص 31: [ونستطيع أن نقول: إن مقياس رقي الأفراد والجماعات في الحياة المادية مهما تختلف الطبقات عندنا، إنما هو حظنا من الأخذ بأسباب الحياة المادية الأوروبية، وإذا عبنا أنفسنا بشيء من هذه الناحية نعيبها بالإبطاء في نقل ما عند الأوروبيين من نظم الحكم وأشكال الحياة الأساسية] ويزين للمصريين أن يصيروا جزءا من أوروبا باتفاق العقلين المصري والأوروبي في ص 35 [وعلى أننا لا نجد في ذلك من المشقة والجهد ما كنا نجده لو أن العقل المصري مخالف في جوهره وطبيعته للعقل الأوروبي].
ويهزأ طه حسين من الدعوة إلى الإسلام في القرن العشرين ويسوي بين تراث الإسلام والتراث الفرعوني أو اليوناني أو الروماني فيقول ص 36 [وإني لأتخيل داعيا يدعو المصريين إلى أن يعودوا إلى حياتهم القديمة التي ورثوها عن آبائهم في عصر الفراعنة أو في عصر اليونان والرومان أو في عصرها الإسلامي. أتخيل هذا الداعي وأسأل نفسي: أتراه يجد من يسمع له ويسرع

ومن أن الدين شيء والقومية شيء غيره.
ومن أن الدين شيء والعلم شيء سواه.
وأن وحدة الدين واللغة لا تصلحان أساساً لتكوين الدول.
وإن هذا التفريق بين الدين وبين السياسة والقومية والعلم أصل من أصول الحياة الحديثة التي نقلناها عن أوروبا.
فأما أن هذا التفريق والفصل أصل من أصول الحياة الحديثة في أوروبا فأمر لا نخالف الدكتور فيه، ولا ندعي غيره، تستطيع أن تقول أن أوروبا استفادت من هذا التفريق والفصل أجزل الفوائد، ولعلها ما كانت تستطيع النهوض بغير هذا. وأما أننا نقلنا بعض هذه الأفكار من أوروبا وتأثرنا بها إلى حد كبير أو صغير وجرت عليها سياستنا العلمية في كثير من مظاهر حياتنا، فأمر لا نخالف فيه كذلك، وسببه واضح بين: هو أننا أسلمنا قيادنا أو أسلمتنا الحوادث بعبارة أدق إلى ساسة أوربيين ومعلمين أوروبيين ومشرعين أوروبيين. فصاغونا كما يريدون وكما يعلمون، واصطبغت سياستنا العلمية في معظم شئوننا بهذه الصبغة الأوروبية.
فنحن لا نخالف الدكتور طه ولا غيره في أن حياتنا العلمية في كثير من مظاهرها العامة والخاصة قد انحرفت إلى معنى أوروبي بفعل الحوادث المتعاقبة طوال هذه السنين الطويلة.
وهذا الانحراف نفسه الذي يتخذه الدكتور ومن نحا نحوه حجة على وجوب رضانا بأوروبا والاندفاع في تقليدها فيما بقي لنا من مظاهر الحياة، هو نفسه الذي يدفعنا نحن إلى تحذير الأمة من التقليد، وإلى وجوب رجوعها إلى تعاليم الإسلام وعرض هذه الحضارة الأوروبية عليها، فما وافقها قبلناه وما خالفها رفضناه، ونحن لم نجن بعد من هذا التقليد الخاطئ إلا الصاب والعلقم واضطراب الحياة في كل ناحية من نواحيها.
ولكن الذي نخالف فيه الدكتور طه وغيره ممن يؤمن بفكرته هذه، ادعاء أن هذا التفريق بين الدين والسياسة، وبين الدين والقومية وبين الدين والعلم نافع لنا، متفق مع تعاليم ديننا.
هذه دعوة ينقضها الدليل النظري والدليل التاريخي، وتتنافى تماما مع مصلحتنا ومع مقومات نهضتنا.
والذي يريد أن يجرد الإسلام من معناه السياسي ومن معناه القومي ومن معناه الثقافي يريد بمعنى آخر ألا يكون هناك شيء اسمه "الإسلام" تؤمن به هذه الأمة، وهو عند نفسه وعند الناس يخدع هذه الأمة ويخاتلها، ويعدل بها عن الإسلام الحق إلى إسلام من عند نفسه، لا يمت إلى الإسلام الصحيح بسبب إنما هو في الحقيقة مسيحية سماها هو الإسلام.
إن أوروبا حينما فصلت بين الدين والسياسة وبين الدين والقومية وبين الدين والعلم، كانت مدفوعة إلى ذلك بعوامل قهرية ضرورية.
فالدين الذي كان يسودها وتؤمن به شعوبها خال تماماً من التشريعات العملية والمعاني السياسية، وهو وصايا روحية محدودة في الكتب المقدسة، وطقوس كهنوتية بين جدران الهياكل والمعابد.. والرجال الذين كانوا يمثلون هذا الدين كانوا شجاً في حلق الدولة والعلماء بما لهم من سلطان مطلق أكسبتهم إياه هذه التعاليم.
وتاريخ أوروبا القديم والوسيط سلسلة نزاع بين الأمراء والباباوات من جهة وبين العلماء والكنيسة من جهة أخرى، بل تعدى الأمر في هذا النضال إلى الشعوب نفسها، فكان النضال كثيراً ما يكون بين الشعب بأسره وبين الكنيسة.
هذه الأمور الثلاثة: طبيعة الدين الأوروبي، وهيمنة رجاله على الدولة والعلم، والنضال الطويل بين نواحي الجهات الأوروبية المختلفة، كل ذلك دعا أوروبا إلأى أن تفصل بين الدين والسياسة، وبين الدين والقومية، وبين الدين والعلم، فهل هذه المعاني تنطبق على الإسلام؟
أحب أن يفكر السادة الباحثون في الجواب عن السؤال بإنصاف، وهم سيقولون بعد ذلك بملء الفم: لا ثم لا.
إن طبيعة الإسلام ليست طبيعة روحية بحتة، فهو دين روحي وعملي معاً، وهو لم يحصر نفسه في حدود المساجد والمعابد، ولم يحفل بالطقوس والمظاهر، وإن الدين الذي يقول لبنيه: (ابنوا مساجدكم حما) أي غير مزينة ولا مزخرفة ولا مبالغ في بنائها ورفعها (وابنوا مدائنكم مشرفة) أي محصنة مسورة، مجهزة بأدوات الدفاع وما إليها، إن الدين الذي يجعل هذا من شعاره لعظيم العناية بشئون الدنيا ومصالح الناس، كما يعني تماما بصلاح الروح والآخرة.
وشعار الإسلام: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) [القصص: 77].
الدولة والعلم من أعظم أركان الإسلام وأثبت قواعده وشعائره، فأين هذا من بعد الدين الأوروبي عن مظاهر الحياة العامة، وإن رجال الإسلام في كل عصر من عصوره إلى الآن لم يدَّعوا لأنفسهم سلطة أكبر مما يؤهلهم لها علمهم بهذا الدين وصلتهم به،

إلى إجابته أو يبطئ في هذه الإجابه ولكنه يجيب على كل حال؟ فلا أرى إلا جوابا واحدا يتمثل أمامي بل يصدر من أعماق نفسي: وهو أن هذا الداعي إن وجد لن يلقى من المصريين إلا من يسخر منه ويهزأ به].

ولم ينازعوا الأمر أهله بعضا من الأيام، ولم يعرف عنهم إلا إنكار المنكر حين يشيع وتشجيع المعروف حين يظهر والوقوف عند حدود الله.
وإذا كان شعار الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد) [الكهف: 110]، (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله) [الأعراف: 188]، (قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً) [الجن: 22] فأين هذا من سلطان الإكليروس في أوروبا وما ادعوه لأنفسهم من سلطان على قلوب الناس وإيمان الناس وحياة الناس الدنيوية والأخروية!!
وتبعاً لهذا كان تاريخ الإسلام مع الدولة ومع العلم صفحات مجيدة من التعاون والتآزر والسلام، فكيف يقال بعد ذلك إن هذا الأصل الذي سارت عليه أوروبا في فصل سياستها وعلومها وقومياتها عن الدين يجب أن يطبق عندنا، ويجب أن نتلقاه على أصل صالح لنا.
نريد أن نتفق على أصل صالح للنهوض، ونريد أن نحدد الهدف معاً، حتى لا نختلف ولا نضل، ونريد أن نتبع الهدى الواضح والنور اللائح حتى لا نفشل ونقاسي من الآلام، ولا ينفعنا في ذلك إلا العود إلى هدى الإسلام.
إن كنتم آمنتم بهذه الأصول في حياة أوروبا على أنها حقائق لا تقبل النقض، فاعلموا أنها لا تتفق مع الإسلام، وأنكم بذلك تصطدمون بإسلامكم، فكونوا شجعانا وكونوا صرحاء في إعلان الخروج على الإسلام حتى لا تخدعوا أنفسكم وتخدعوا الناس، وإن كنتم آمنتم بالإسلام على أنه حق ثابت فنحن نرضى أن نتحاكم جميعا إليه، وحينئذ سنلتقي ونتفق وستعلمون أن الدولة وأن العلم من أركان الإسلام.

- والتغير في الجامعة

كانت ظاهرة تحول الجامعة وكلية الآداب بالذات إلى الإسلام من العلامات الخطيرة والبعيدة المدى في تاريخ هذه الكليات، وأثر الدكتور طه حسين وأتباعه في تحريرها من كل مظاهر الدين وجرأتهم على كتاب الله وعلى الفكر الإسلامي لا يجهله أحد.
ولذلك فسرعان ما برز طابع الإسلام وأخذ يهاجم كل انحراف يراه، وكان ذلك واضحاً في معارضة كتاب "برناردشو" الذي يصور أتباع النبي بأنهم حمقى وبلهاء، وهنا كانت صيحة الشباب المسلم غضبا لاستقلال الجامعة وحريتها، ودعوتهم إلى تحرير كلية الآداب من الاستعمار الفكري والعلم الحرام، وتنكيس هذا العلم الذي ارتفع منذ عهد "دنلوب".
واقتحم طلبة كلية الآداب مكتب عميد كلية الآداب وأغلظوا له القول وأهانوه حين صمم على بقاء الكتاب وعلى أنهم لا حق لهم في المعارضة، وذهب طلبة الأزهر إلى شيخ الأزهر يحتجون، واضطر طه حسين إلى أن يهرب وأن يقدم استقالته. وكانت هذه الظاهرة بعيدة المدى عام 1939 بعد أن جال طه حسين وصال منذ عام 1936 في الشعر الجاهلي واتهام عصر الإسلام الزاهر بأنه عصر فسق ومجون.
وكتب الأستاذ البنا رحمه الله معلقاً على الأحداث:
(هناك ملاحظة عامة هي جهل طلبتنا بالدين وبعدهم عن روح التمسك بالدين، وخلو المدارس من هذه الناحية وخلو الجامعة هي الأخرى منها.
وعلمنا وعلم الناس أن كتبا تتحامل على الإسلام تدرس على أنها كتب مسلمة، يتلقاها أبناؤنا على أنها مقررات رسمية قدمها لهم أساتذتهم ليعلموا ما فيها ويؤمنوا بها، لا على أنها كتب فيها ما يتنافى مع عقائدنا، ونحن ندرسه لنرده ولنعلم ما يقول عنا غيرنا من الناس.
فهل يستطيع قائل أن يقول إن مدرس الأدب الإنجليزي حين يدرس للطلبة المحادثات الإنجليزية أو المسرحية "جان دارك" أوقفهم على ما فيها مما يتنافى مع عقائدهم الإسلامية؟! ومع ذلك فهل إباحة التفكير وحريتها تبيح لكل أحد أن يتعاطى مالا يدرك ومالا شأن له به!!)..1هـ.
وكان الأستاذ البنا يتابع التغيرات في الجامعة، ويراسل عمداء الكليات ويبين لهم الطريق، من ذلك ما كتبه للأستاذ أحمد أمين[41] عندما تولى عمادة كلية الآداب:
(أما وقد أسندت إليك عمادة كلية الآداب وهو اختيار وافق أهله إن شاء الله، وكلية الآداب – يا سيدي العميد – أحاطت بها ظروف صبغتها ولو في عرف الناس بصبغة بعيدة عن روح الثقافة الإسلامية، رغم الصلة الوثيقة بين كثير مما يدرس فيها من المواد وبين أدب الإسلام.
وكلية الآداب تمتاز بين الكليات بأكبر عدد من الفتيات، مما يجعل الاختلاط بينهن وبين الفتيان أمراً له خطره وأثره. وأنت يا سيدي رجل نشأت في بيت مسلم، وتلقيت عن أب كريم من صالحي المسلمين، درست تعاليم الإسلام دراسة وفية عميقة،

---

[41] باحث عقلاني، اتجه أولاً إلى الفلسفة، ثم عني بدراسة تاريخ الحياة العقلية في الإسلام، فأصدر أهم كتبه "فجر الإسلام" و "ضحى الإسلام" ثلاثة أجزاء "ظهر الإسلام" أربعة أجزاء. له آراء شاذة في التاريخ الإسلامي والتشريع وتبنى آراء المستشرقين في الطعن في السنة.

وقضيت شطراً من حياتك في القضاء الشرعي الإسلامي، فأنت بهذا أمين على الفكرة الإسلامية، مرجو لمناصرتها والعمل لها وخدمتها أينما كنت ولا عذر لك في التقصير.
فليس غريباً بعد هذا أن ننتظر لكلية الآداب في عهد عمادتك اتجاها جديداً إلى عناية كاملة بالثقافة الإسلامية العالية، وإلى استمساك تام بروح التقدير والاحترام للأدب العربي الإسلامي يعم هؤلاء، وإلى الحد من الاختلاط بين الفتيان والفتيات والعمل على التخلص منه اتقاء لشره ودفعا لأخطاره، سدد الله في الخير خطاك وأجراه على يديك).

- **الإمام البنا يكشف خداع المذاهب المادية في الإصلاح**

رزق الله تعالى الإمام البنا الاطلاع الواسع على المذاهب والنظريات والأيديولوجيات الجديدة أولا بأول والقدرة على عرضها في ضوء الإسلام، وبيان ما فيها من أوجه الخلاف والالتقاء مع الإسلام، إيماناً بأن الإسلام أصلح منها وأعمق وأكثر استيعابا للنفس الإنسانية واستهدافا لبناء المجتمع الصحيح.
ولقد عرض لمختلف مذاهب الديمقراطية والماركسية وكشف عن زيفها جميعا، وأفاد بأنها لن تستطيع الحياة والاستمرار في محيط البلاد الإسلامية العميقة الصلة بالدين والأخلاق والقيم، وأن الإسلام قد شكل لها وجودها الحقيقي، فهي بدونه لم تكن شيئاً، وهو يذهب إلى أبعد من ذلك فيكشف عن زيف الذين حاولوا أن يكتبوا عن الإسلام وزعماء الإسلام من خلال مذاهب الغرب في تلك المحاولة التي أرادت تقديم البديل وإسقاط الأصل[42] حين قال لهم في وضوح: أيها الكاتبون عن الإسلام ورسوله وتاريخه: هل أنتم مؤمنون بالإسلام حقيقة نظام مجتمع ومنهج حياة؟
ويقول: إن هناك بعض المخادعين ممن يحاول أن يجمع بين الفكرة المادية وبين الإسلام، متذرعاً بهذا الجانب من جوانب الإصلاح الاجتماعي في تعاليمه، وأن ينفذ بهذا الجمع إلى تحطيم هذا البناء الإسلامي الشامخ في نفوس المؤمنين به، لتحل محله هذه المادية القاصرة العاجزة الكليلة، ويجب أن لا تجوز هذه الخدعة على المتيقظين ذوي الغيرة، ويجب أن تحدد المقاصد والأهداف والاتجاهات طبقا لتحديد الوسائل والغايات، وأن يتميز الحق من الباطل أمام أنظار الناس: (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة) [الأنفال: 42].
إن الإسلام قد وضع من قواعد الإصلاح الاجتماعي في شريعته ما يكفل للجميع مطالب الحياة المادية والعيش في طمأنينة وراحة واستقرار، فأسلموا لله وجوهكم أولاً، وأقيموا مجتمعكم على قواعد الإسلام تتحقق لكم مطالب الحياة المادية ثانياً، واحذروا أن يخدعكم من ذلك الأوهام الزائلة والدعايات الباطلة.

حسن البنا.. والكيد الرخيص

لابد لمن يتصدر لمثل هذا العمل الكبير في زمن فسدت فيه النفوس أن يواجه بألوان من الكيد الرخيص يحيكها له في الظلام ذوو الأغراض والنفوس الضعيفة، لذلك حفلت حياة حسن البنا بهذه المكائد التي لم تنته يوماً ولم تهدأ لحظة..
ومنذ اليوم الأول، ولم يكن للرجل يومها قوة لها خطرها، ومع ذلك فقد كان طابعه في الدعوة والعمل يثير أحقاد من في قلوبهم مرض ولا يستطيعون العيش في النور، ولكن حسن البنا بنفسه الكبيرة وخلقه الإيجابي كان يقضي على ما يكيدون بالحكمة ويواجه ما يحيكون بصدر رحيب وصبر جميل حتى يفيئوا إلى الحق.

- **عريضة إلى صدقي باشا[43]**

حدث عندما بدأ الإخوان بناء مسجدهم في الإسماعيلية، وكان عملاً ضخماً جديداً أوغر صدور بعض الناس على الأستاذ البنا، فنشطت الدسائس والفتن، وكان من بينها عريضة موقعة بأسماء لفيف من أهالي الإسماعيلية إلى رئيس الوزراء إسماعيل صدقي – إذ ذاك – جاء فيها:
أولاً: إن هذا المدرس متصل بموسكو ويستمد المال من هناك لأنه يبني مسجداً وجمعية.
ثانياً: إن هذا المدرس وفدي، يعمل ضد النظام الحاضر (نظام صدقي) ويقول إن الانتخابات بهذه الصورة باطلة، وإن دستور سنة 1930 باطل.

---

[42] مثل من كتب عن "ديمقراطية الإسلام" ليقدم الديمقراطية ويسقط نظام الشورى. ومن كتب عن "اشتراكية الإسلام" فاستغل في تقديم النظام الاشتراكي وإسقاط النظام الإسلامي.. ومثل هؤلاء الذين كتبوا عن "أبو ذر الاشتراكي الزاهد"، و "اشتراكية أبو بكر" و "اشتراكية عمر" لخدمة الأنظمة الاشتراكية واليسارية.

[43] إسماعيل صدقي (باشا): سياسي مصري اختلف مع سعد زغلول، كان رئيساً لوزارة (سنة 1930/ سنة 1933) وفي أثناء حكمه ألغى دستور سنة 1923 ووضع دستورا جديداً وشكل حزب الشعب، وترأس الوزارة مرة أخرى سنة 1946، واضطلع بمفاوضة الحكومة البريطانية من أجل الجلاء حيث توصل إلى ما عرف وقتها (باتفاقية صدقي / بيفن) التي أسقطتها المعارضة الشعبية بقيادة الإخوان، وكان له سياسته الخاصة التي اشتهرت بالاستبداد.

ثالثاً: إن هذا المدرس ألقى محاضرة في نادي العمال سنة 1930 عن أبي بكر الصديق، فقال إن انتخابه كان مباشراً ولم يكن من درجتين وإن الانتخاب باطل، وأنه ألقى محاضرة أخرى عن عمر بن عبد العزيز قال فيها إن عمر لم يأخذ من بيت المال شيئاً!!

واهتمت الحكومة بهذه العريضة اهتماماً كبيراً، وكلفت مراقب التعليم في الإسماعيلية بتحقيقها، فزار المدرسة.

وفي حجرة ناظر المدرسة قال المراقب: هو ده كله الأستاذ حسن..!

قال الناظر: أهو دا يا بك..

قال المدرس: يضع سره في أضعف خلقه.

واستطاع الأستاذ بعون الله له أن يحمل المراقب على زيارة مسجد الجمعية ودارها، وكان قد أعد العدة لدعوة طائفة من أعيان البلدة وكبار الموظفين، وأقام حفل شاي.

ودعا المغرضين والمشتركين في التوقيع على عريضة الشكوى كذلك، والتأم الشمل، وتعاقب الخطباء.. ودهش الرجل وهو يستمع، أن هذا الخطيب نجار والآخر جناينى والثالث مكوجي.

وقال: هذه أعجب مدرسة رأيتها.. ولم يلبث أن تناول شارة الإخوان، ووضعها على صدره وأعلن انضمامه للجماعة.

- **إله يعبد!**

ومن ألوان الكيد الخسيس الذي واجهه الإمام البنا، ما كتب عنه بقلمه في مذكراته، يقول فضيلته: (.. ذات يوم فوجئت باثنين من أخلص الإخوان دخلا عليّ في حالة من الألم الشديد، وقالا إن في البلد إشاعة قوية ضدنا ونحن لا يمكننا أن نسكت على هذه الإشاعات فاسمح لنا أن ننتقم من هؤلاء الذين يتقولون علينا بالباطل فابتسمت وقلت لهما إن ذلك من الخير والله تبارك وتعالى يقول: (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) [آل عمران: 186]، فعلينا بالصبر وبالتقوى، وهذا دليل أحقية الدعوات أن يتقول عليها الناس بالباطل، وأنتما تعلمان ماذا قيل عن دعوة الإسلام الأولى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذت استرسل في هذه المعاني. فقالا في ألم ولكن هذا الذي سمعناه لا يمكن أن نسكت عليه أبداً، فإنه كلام فظيع يذيعه قوم معروفون ولهم أثرهم في نفوس الناس!!

فقلت: وما هذا؟ فقالوا: إنهم يقولون إنك تقول لنا في دروسك "اعبدوني من دون الله" وإن الإخوان المسلمون يعتقدون بناء على هذا أن الشيخ البنا إله يعبد وليس بشراً ولا نبياً ولا ولياً ولا شيخاً". ولقد تحرينا مصدر الإشاعة قبل أن نحضر إليك، فعرفنا أن الي يذيع هذا شيخ عالم يشغل منصباً دينياً ويصدقه الناس فيما يقول، فلم نكتف بهذا ولكنا ذهبنا إليه وسألناه من الذي أخبره بهذا، فقال: لقد سمعته بأذني من أستاذكم، فاستغربنا الأمر وكررناعليه القول، فأكد لنا أنه سمع هذا القول منك. ونحن طبعاً لا نصدق هذا أبداً، ولكنا جئنا نسأل ونحن في أشد الدهشة من جرأة هؤلاء الناس، ونريد مع هذا أن نعرف حقيقة هذا القول وأصل هذه الإشاعة.

نزل عليّ هذا نزول الصاعقة، وعجبت كيف يبلغ الكيد بالناس بعضهم لبعض هذا المبلغ العجيب، وأخذت أفكر في مجلس جمعني بهذا الشيخ أو شيء يمكن أن يكون ذريعة لبعض هذا القول فلم أتذكر شيئاً، ولكني قمت من فوري وأخذت هذين الأخوين واستدعيت اثنين من إخواننا المدرسين الفضلاء أعلم أن لهما بهذا الشخص صلة وثيقة وبينهم صداقة وتزاور، وقصصت عليهما القصة وقلت لابد أن نذهب إليه الآن، ونسأله بأنفسنا عن أصل هذه الإشاعة لأني أصارحكما بأني لم أستطع بعد أن أصدق هذين الأخوين في نقلهما عن هذا الرجل ولعله مظلوم أو لعلهما لم يفقها قوله، وليست التهمة مما يتساهل فيه، أو يغفل عنه، فهيا بنا إليه، وذهبنا نحن الخمسة وطرقنا باب الرجل ودخلنا حجرة الانتظار وجاء يسلم علينا، فلما رآنا بجمعنا هذا اصفر وجهه وبدا الاضطراب في صوته وحركاته، وكأنه شعر ما هنالك، ولم أدع له فرصة وقلت له تواً: يا أستاذ، هذان الأخوان نقلا لي الآن، أنك تقول كذا وكذا، وأنك قلت لهما أنك سمعت هذا القول مني شخصياً بأذنك. هل ما نقله هذان الأخوان عنك صحيح، وأنت قلت لهما هذا القول؟؟ فقال: نعم. فقلت: برئت ساحتهما وأديا الأمانة، والتفت إليهما وقلت: جزاكما الله خيراً. ثم وجهت القول إليه ثانية، وقلت: أنت يا أستاذ متى سمعت مني هذا القول؟ فقال: أتذكر منذ شهر تقريباً أننا كنا جالسين في "صندرة" المسجد فدخل علينا أحد المدرسين واسمه محمد الليثي أفندي وجلس معنا، وجاء الإخوان يسلمون عليك في شغف شديد واحترام، فقال لك هذا المدرس، يا أستاذ إن الإخوان يحبونك إلى حد العبادة، فقلت له: إذا كان هذا الحب خالصاً لوجه الله فأنعم به من حب، ونسأل الله أن يزيدنا منه، وتمثلت بقول الشافعي:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافض

فقلت له: أذكر هذه الحكاية، فقال: أليس معنى هذا أنهم يعبدونك؟! وهنا رأينا أحد الإخوان من أصدقائه المدرسين الذين معي قام من فوره وانهال عليه شتماً وهم به ليضربه في بيته فأخذ يخاطبه أهذا ما تعلمته يا أستاذ وهذا مبلغك من الفهم ومن الأمانة في المجالس ومن الصدق في نقل القول.. ولكنا حلنا بينهما والتفت إليه وقلت له يا أستاذ لقد ذكرت هذا ولك أن تفهم فيه ما تشاء ولكنك أضفت إليه أنني أنا الذي آمر الإخوان بعبادة غير الله "حاش لله وتعالت دعوته عن ذلك علواً كبيراً" وأن هذه هي عقيدة الإخوان التي سمعتها مني، وحذفت من القول أنني عاتبته على هذا التعبير عتاباً قاسياً وقلت له إن هذا التعبير غير إسلامي جاءنا به الأدب الأوروبي والميوعة الغربية، وانزلق إلى ألسنتنا وأقلامنا بحكم التقليد الأعمى، وإن من واجب كل مسلم أن يحترس من مثل هذه التعبيرات والألفاظ. لقد ذكرت الحكاية يا أستاذ ونسيت هذا التعليق، وعلى كل حال فحسبنا هذا منك وقد وضح الصبح لذي عينين، ولكن الإخوان الحاضرين وكلهم أصدقاؤه لم يكتفوا بهذا وألزموه أن يوضح الأمر توضيحاً جلياً في حفل عام من أحفال الإخوان، وإلا فهم سيعلمون كيف يعاقبونه أشد العقاب، وقد كان، ونزل الرجل على حكم أصدقائه، وفي أول محاضرة أسبوعية وقف فأعلن الحكاية، وأعلن أنه لم يقصد إلا مجرد نقلها كما هي، وأنه شاكر للإخوان ودعوتهم جميل أثرها في نفوس الأمة عامة والشباب خاصة، وقضي الأمر.

- **اتهام بالإثراء وامتلاك ألوف الأسهم:**

انزعجت كل القوى السياسية في مصر (الاستعمار، القصر، الأحزاب السياسية، الحكومات)، منذ سيطرت دعوة الإخوان على نفوس جاهير الشعب المصري وبرزت كقوة شابة تدعو إلىالإصلاح بالعودة إلى الأصالة والمنهج الرباني، ومن مظاهر هذا الانزعاج تلك الحملات المرجفة التي قادها حزب الوفد[44] وشنتها صحافته على الدعوة وعلى الأستاذ البنا بالذات، استمرت شهوراً طويلة لم تدع وضعاً صحيحاً إلا قلبته ولا قيمة إلا انتهكتها بلا وازع من خلق أو ضمير، ومن ذلك الافتراء بأن المرشد يملك أسهماً في شركة الإخوان للصحافة وشركة الطباعة وشركة المعاملات الإسلامية بألوف الجنيهات.

وحقيقة الأمر كما أوضح فضيلة المرشد في خطابه الذي أرسله إلى جريدة البلاغ رداً على هذا الافتراء: (إنه بوصفه المرشد العام يوقع على عقود باسم الهيئة "بصفته" لا بشخصه، وذلك ما ورد بشأن شركة الهلال للسياحة، وصاحب الأسهم هو المركز العام للإخوان، أما الشيخ البنا فلا يملك منها سهماً واحداً، لقد ساهمت بالصفة العامة لا بالصفة الشخصية.

أما عن شركة الصحافة والطباعة فأؤكد لكم أني لا أملك إلا أربعة أسهم في الأولى قيمتها "16 جنيها" لم تسدد بعد كلها، وفي الثانية ثلاثة أسهم قيمتها "12 جنيها" لم تسدد بعد كلها. أما ما ذكر في العقدين من أن لي في كل من الشركتين ألف جنيه، فهو مبلغ اسمي فقط، سببه أن المساهمين في كل شركة منهما يبلغون ثمانية آلاف مساهم تقريباً، ومن غير المعقول أن يوقعوا جميعاً على عقد الاتفاق، فرأت الجمعية العمومية لهؤلاء المساهمين أن ينتدب من بينها عشرون شخصاً تعتبرهم مؤسسين، وتوزع عليهم رأس المال والأسهم التي اكتتب فيها المساهمون جميعاً توزيعاً اسمياً، وتفوضهم في توقيع العقد، وذلك إجراء تتخذه كل الشركات المساهمة في مثل هذه الظروف.

وأحب أن انتهز هذه الفرصة فأضيف إلى معلوماتكم الصحفية في هذا المعنى أنني مساهم في شركة أخرى هي شركة المعاملات الإسلامية بخمسة أسهم قيمتها عشرون جنيهاً دفعت نقداً وعداً والحمد لله، وإنني قد انتخبت رئيساً لمجلس إدارة شركة الصحافة نظير مبلغ قدره مائة جنيهاً شهرياً ورئيساً لمجلس إدارة شركة الطباعة نظير مائة جنيه شهرياً أخرى كذلك، ولكني رفضت رفضاً باتاً أن أتقاضى مليماً واحداً من إحدى الشركتين، وعملت طوال العام الماضي متطوعاً حامداً لله أن وفقني إلى المساهمة بمجهودي الضئيل في هذه الخدمة الجليلة.

وأظن بعد هذا أنني في غنى عن ذكر مصادر الآلاف المزعومة أو الرد على ما تخيلتموه من فروض ونتائج باطلة تترتب على حيازتي إياها، فلا ألوف ولا مئات.

ولقد كنت أظن الأحزاب والصحف في مصر تفرح وتسر لأن هيئة إسلامية استطاعت أن تنهض على قدميها، وأن تساهم بنصيب وافر في الإصلاح الخلقي والاجتماعي والكفاح الوطني، معتمدة على الله، معتزة بسلامة مبادئها وطهارة قلوبها وجوارحها، بعيدة كل البعد عن الخضوع للأحزاب أو الأفراد أو الحكومات أو محتكري النشاط الاقتصادي في مصر من الدخلاء عليها والأجانب عنها – ولكن يظهر أن عناصر الهدم لا زالت في أنفس الكثيرين منا أقوى من عوامل البناء، وإننا لا زلنا في حاجة ماسة إلى "بنّاء ماهر" يعمل جاهداً في ترميم هذا الانهيار الخلقي المؤسف، فصبر جميل والله المستعان.

ولقد كنت أظن أن آخر من يتحدث في هذه المعاني هم الذين يعلمون حق العلم أن بيوتهم من زجاج).

- **مكائد حزبية أخرى:**

---

[44] كان الدافع من وراء هذه الحملات، هو إنقاذ شعبية الحزب التي كانت في طريقها للانحسار، فقد استقطبت الفكرة الإسلامية كما دعا إليها الإخوان جماهير الشعب المصري.

ومما علقت به صحيفة "أخبار اليوم" وهي معارضة للوفد على الموقف بين الإخوان والوفد، في عددها الصادر في (3 مايو سنة 1947) بعد أن استعرضت عدداً من أساليب الكيد التي استخدمها حزب الوفد ضد الإخوان:

(.. وأخيراً رأى الحزب أن خير طريقة لتحطيم الإخوان هو تمزيقهم من الداخل، تولى "السكرتير العام" هذه المهمة فنجح فيها نجاحاً كبيراً، فقد استطاع بفضل اتصاله بالأستاذ أحمد السكري وكيل الجمعية أن يحدث انقساماً في الإخوان، وحصل "السكرتير العام" على تقارير سرية للإخوان نشرها في صحف الوفد، فاتهم الأستاذ حسن البنا بعض الأعضاء بإذاعتها، وجمع الهيئة التأسيسية للإخوان وكان في نيته فصل الأستاذ السكري، ولكنه اكتفى بأن طلب إليه الاعتذار، ووصل شرر الانقسام إلى الإسكندرية فاستقال رئيس فرع الجمعية هناك.

وطلب الأستاذ البنا من الأستاذ السكري أن يكتب مقالاً ينفي فيه هذه التهم، ورجع السكري إلى الوفديين فنصحوه بعدم كتابة المقال، وطلبوا إليه أن يتحمل كل شيء ولا يستقيل، لأنه قوته في بقائه في الإخوان، وألحوا عليه أن يستمر في عمله وكيلاً حتى يؤلب الأعضاء على الأستاذ حسن البنا ويفصله من الرئاسة، وعندئذ يؤيده حزب الوفد في أن يصبح هو رئيساً لجمعية "الإخوان المسلمون".

وقد فتح حزب الوفد اعتماداً ضخماً للإنفاق على هذه الحركة، وطلب إلى صحيفته أن تفتح صفحاتها لنشر كل ما يؤدي إلى انقسام الجماعة التي هي في رأي النحاس باشا: الخطر الوحيد على كيان الوفديين.

على أن تفصيلات هذه الاتصالات وصلت إلى علم أعضاء الجمعية، وسئل المرشد العام عن اتصالات وكيله (بالباشا سكرتير عام حزب الوفد)، فنفى هذه الاتصالات لأن مجلس الإخوان قرر عدم الاتصال برجال الوفد، ومن غير المعقول أن يخالف الوكيل قراراً صريحاً اتخذه المجلس.

ولكن هذا التصريح الدبلوماسي لم يدفع عن الأستاذ السكري أصابع الاتهام. والمتوقع أن يطالب الأعضاء بفصل الوكيل لأنه خالف قرارهم، وتآمر مع الوفد على الجمعية ومرشدها.

فهل يسير الشيخ البنا في هذا الاتجاه؟

إنه يتحدث دائماً عن صداقته للسكري وكيف أنها دامت سبعة وعشرين عاماً، وأنه لا يستطيع أن يفرط بسهولة في هذا الصديق القديم، ثم أن إخراج السكري من الجمعية، هو إعلان رسمي للحرب بين الإخوان والوفديين، فهل المرشد العام على استعداد لمثل هذه الحرب الضروس؟

لقد ذهب شبان الإخوان أخيراً إلى الأستاذ البنا وأبلغوه أنهم قرروا تحطيم الصحف الوفدية والقضاء على لجان الوفد في يوم واحد حددوه، فهدأهم المرشد العام وقال لهم: إن الجمعية تؤمن "بالديمقراطية" وأنه لا يقر استعمال أساليب القوة في الوقت الذي تنشد فيه مصر عون الأمم الديمقراطية وهي تعرض قضيتها على مجلس الأمن.

ويقيم الشيخ البنا في "بيت متواضع" بشارع سنجر الخازن بالحلمية، ويستريح من العملية الجراحية التي أجريت له، ويرسم خطط الدفاع والهجوم.

إنه يرقد في هذه "المندرة" البسيطة بين كتائب من الزوار، وأكداس من الكتب والمجلات. لقد رضي بحياة الكفاف، ورفض أن يتسلم من خزانة الإخوان مرتباً شهرياً قدره مائة جنيه.

وهو يقرأ اليوم آيات القرآن التي تدعو إلى الوئام، وتمجد الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، ولكنه مع ذلك يضع سيفه المغمد في متناول الذراع، ترى هل يطوي المصحف ويستل السيف من غمده هذا الأسبوع!) 1.هـ.

ولم تمض فترة قليلة حتى أعلن الأستاذ أحمد السكري أنه خر على الجماعة، ونشر في الصحف خطاباً مطلوباً عن موقفه سرعان ما أذن المرشد بنشره في اليوم التالي في جريدة الإخوان اليومية وأجاب عليه في هدوء وأدب فقال:

لم تنس بعد أنني وقد بلغني عنك تشيع الأقوال في مجالسك الخاصة، وتسير على سياسة وخز الإبر وتسميم الآبار، أنني تقدمت إلى مكتب الإرشاد بخطاب أتهمك فيه بهذا التجني، وأطالبك بتوضيح رأيك، وأطالب المكتب بالفصل في نقط الخلاف التي تراها، فأنكرت كل ذلك، وأقسمت أمام إخوانك على ثقتك التامة بخطة المكتب والمرشد، وبأن كل هذا اختلاق أريد الإساءة به إليك.

إنك أعرف الناس بأن موضوعك لو عرض مفصلاً لكان حكمهم عليك بالإجماع حكماً قاسياً دامغاً، أجهدني أن رددته عنك أولاً وثانياً أملاً في استصلاح نفسك ووفاء بحق الأخوة بيننا. لقد استغللت كرم الأسلوب وفضل التجاوز استغلالاً غير كريم ما كنت أود أن يصدر منك، فذكرت أنني بعثت إليك بخطاب مطول حددت فيه أسباب فصلك بأنها:

أولاً: الاختلاف في أسلوب التفكير.

ثانياً: الاختلاف في وسائل العمل.

ثالثاً: الاختلاف في الشعور نحو الأشخاص.

استغللت ذلك فحرفت الوقائع بما يصور هذه الأسباب بغير المقصود منها، لقد قصدت بالأول أنك تريد الغموض وأريد الوضوح، وبالثاني أنك تريد المداورة وأريد الصراحة، وبالثالث أنك تؤثر خصوم الدعوة وتفضي إليهم بشئونها وأحول أنا دون ذلك، وأكف عنك سخط أبنائها والمؤمنين بها والوقائع لا تشرفك.
والناس جميعاً يعلمون أينا كان يريد أن يورط الدعوة في السياسة الحزبية وأينا كان يحميها من ذلك. وعواطف الرجال، وسياسة الدعوات، وحفظ الجماعات، وأمانات المجالس التي لا يقصد بها إلا وجه الله وخير الدعوة، لا يليق أن تعرض سلعاً رخيصة في الأسواق، لا لشيء إلا لشهوة الجدل ولذة الانتقام.
يا أخي: لم أكن أتصور أبداً أن تندفع في طريق التجني هذا الاندفاع، إنك تأخذ عليّ أنني تصرفت من نفسي دون انتظار الهيئة التأسيسية، حتى أفوت عليها فرصة الإصغاء لما تقول والحكم لما تسمع، وهذا كلام منقوض من أساسه، فقد انعقدت الهيئة التأسيسية مرتين (مارس سنة 1947) بعد قرار إيقافكم و (يوليو سنة 1947)، وكان الاجتماع الأول خاصاً بمحاكمتكم، واستمر اجتماع الهيئة التأسيسية ستا وثلاثين ساعة كاملة كان نصيبك أنت من الكلام فيها ست ساعات متواصلة، فلِمَ لم تصارحها بما كنت تكتمه الآن؟ ولِمَ أعلنت ثقتك التامة بي، وجددت بيعتك لي، وقبلت لومها على تصرفاتك، واشتركت معها في قرار الاستنكار الذي أصدرته لمذكرة الدكتور إبراهيم حسن؟!
تقول: إنك اكتشفت بطريق الصدفة اتصالاتي ببعض الشخصيات الأجنبية والمصرية، وهلك ما حدثك عنه أحدهم يوم 7 فبراير سنة 1947، ولقد أدهشني منك هذا القول العجيب من أنك لم تصارحني بهذا الذي سمعته، وكيف كتمته عن الهيئة التأسيسية التي انعقدت بعد ذلك بنحو شهر، ألا تعتقد أن هذا الكتمان يعد خيانة للدعوة وللهيئة، غفر الله كل شيء إلا هذه، فإنها سقطة لن تغفر، وولوغ في عرض هو أطهر من ماء السماء والحمد لله وحده).
وكان الأستاذ السكري قد أشار في خطابه إلى عدة أمور:
أولاً: لا ينكر الأستاذ البنا أن الإخوان بلغوا أيام حكم الوفد من القوة ما يثبته الإحصاء الرسمي، فقد جاء الوفد ولدينا خمسمائة شعبة وخرج من الحكم ولدينا ألف وخمسمائة شعبة.
ثانياً: دعوة أخي حسن إلى تقويم ما أعوج من الجماعة والسير بها في طريقها الطبيعي المستقيم.
ثالثاً: قرر فصلي من الجماعة دون الرجوع إلى التحكيم الذي طالبته به مراراً، اللهم إلا وقوفي في وجهه دون انزلاقه بالجماعة في تيار السياسة الحزبية.
رابعاً: دخول بعض العناصر الانتهازية المأجورة في صفوفنا بإيعاز من رجال السياسة وتدخل سادتهم في شئوننا، وذلك عقب تولي صدقي باشا الحكم.
خامساً: اتصالات المرشد بفئة معينة من رجال السياسة وتكوين اللجنة السياسية المعروفة.
ولما كانت هذه الأمور كلها واضحة فقد كان للأستاذ البنا اتصالاته بجميع الجهات وجميع الساسة خارج الحكم وداخله في فترة من أدق فترات تاريخ مصر بعد الهدنة، ومن خلال موقف خطير يستهدف المواجهة، وهل سيكون ذلك بالمفاوضة مع الإنجليز أم إعلان الجهاد المسلح، أم إقامة جبهة من الأحزاب؟ كل هذا لم يكن يرضي الأستاذ السكري الذي كان يرى ضرورة تبعية الدعوة للوفد، فلما عرض الأستاذ الشروط الخاصة بذلك ومنها عدم التفاوض مع الإنجليز، وإبراز الروح الإسلامي في الحكم، تراجع الوفديون ومعهم بعض من تبعهم، ولقد سارع الأستاذ البنا على الأثر بتوجيه كلمة إلى الإخوان فقال: "إن الأستاذ السكري كشف بخطابه عن كثير مما كان قد خفي علينا من نفسه وتصرفاته، ووضع يدنا على الحلقة المفقودة في الفتنة الماضية، وكان من فضل الله علينا وعلى الدعوة وعلى الناس أن يلحق الأصل بفرعه حتى يستوي الصف وتستقيم الأمور.
إن أخانا ــ غفر الله له ــ قد أعلن عن نفسه، وقد اعترف اليوم على رؤوس الأشهاد بما كان ينكره من قبل من محاربة الدعوة والقيادة، ويقسم على البراءة بأغلظ الأيمان في كل اجتماع وكل مكان".
وسرعان ما فتحت جريدة صوت الأمة صفحاتها لمقالات متعددة للأستاذ أحمد السكري تحت عنوان (كيف انحرف الشيخ البنا بدعوة الإخوان) محاولاً أن يعلن بأنه يحمل لواء الدعوة الصحيحة هو وإخوانه، وأنهم يسيرون بها على الطريق الأصيل، ولم يصدق أحد من الناس ذلك فقد كانت صيحة في واد، ولم تجد كلماته ولا مقالاته التي لم يستطع أن يقول فيها شيئاً له أهمية ما، مما يدل على أنه كان لا يعرف عن حركة الإخوان شيئاً، وحاولت جريدة البلاغ وجريدة صوت الأمة نشر بعض المقالات والأخبار، ونشرت الأخيرة ما أسمته استقالات تحت عنوان "هذه الجماعة تهوي".
وجاء شاعر مسلم فأنشد قصيدة ذهبت مثلاً، مطلعها:

هذي الجماعة تهوي ... إلى سناها القلوب
الله يدفع عنها ... إذا ادلهمت خطوب

وبينما كانت صحف الوفد تردد تلك الأكاذيب كانت الدعوة تشق طريقها وتمد أغصانها إلى كل مكان، وسرعان ما وجه الأستاذ البنا خطاباً إلى مختلف الشعب والمناطق: (ينبه فيه على الإخوان تنبيهاً مشدداً أن يضبطوا أعصابهم ضبطاً تاماً، وأن يتجنبوا بكل وسيلة الاحتكاك بمن يحاول استفزازهم بالقول الجارح أو اللفظ النابي، وأن يفروا من هذا الميدان ما وسعهم الفرار، فليست في الدنيا هزيمة أكرم من الانهزام أمام خطوات السوء ودسائس الشيطان، والهزيمة هذه هي عين الانتصار ولا جدال: (وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً) [الفرقان: 72].
وليس أحد عاجزاً عن الشر ولكن الموفقين للخير قليل ما هم، فاجتهدوا أن تكونوا منهم، والله نسأل أن يلهمنا رشدنا، وأن يؤلف بين قلوبنا، وأن يجمعنا على الخير ولا يكلنا إلى أنفسنا، إنه نعم المولى ونعم النصير[45]

حسن البنا.. وأرجاس الأحزاب السياسية

- **عريضة إلى النحاس باشا**

بعد توقيع معاهدة سنة 1936 بين مصر وانجلترا، توجه مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية في ذلك الوقت وزعيم حزب الوفد لحضور مؤتمر مونترو[46] لبحث إلغاء الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة.. فقد تضمنت هذه المعاهدة نصاً بإلغاء الامتيازات الأجنبية، التي كانت تخول للأجانب – انجليز وفرنسيين وإيطاليين وغيرهم من الأوروبيين – حقوقاً يتميزون بها عن الوطنيين المصريين، كان منها: أنه إذا ارتكب أحدهم جرماً فإنه لا يحاكم أمام المحاكم الوطنية حيث شكلت لهم محاكم خاصة بهم أطلق عليها اسم "المحاكم المختلطة" تميزت أحكامها بأنها كانت صورية لا يقصد منها إقامة العدل وتختلف اختلافاً كبيراً عن الأحكام التي تصدرها المحاكم الوطنية على المصريين في جرائم متشابهة.
وقبل أن يغادر النحاس باشا ميناء الإسكندرية، كان هناك وفد من شباب "الإخوان المسلمون" ليقدم له مذكرة من فضيلة المرشد، تتضمن أن إلغاء الامتيازات الأجنبية هي مرحلة وفرصة سانحة لاستقلال القضاء المصري استقلالا يبعده عن الاستمرار في جعل القوانين الغربية هي مصدره في الأحكام.. تلك القوانين التي فرضها علينا المستعمر لخدمة أهدافه في تحطيم عقيدة المسلمين، أما وقد أعطينا الفرصة للاختيار فينبغي أن نختار التشريع الإسلامي الذي ينبع من عقيدة الأمة وتاريخها المجيد، وهو تشريع مجمع عليه من جميع المسلمين وأقرته جميع المؤتمرات الدولية التي اعتبرت التشريع الإسلامي معطياً ومستجيباً لكل متطلبات التغير في المجتمعات الإنسانية في كل زمان ومكان.
لقد كتب حسن البنا هذه المذكرة التي تحمل نصيحته لمصطفى النحاس باشا قبل سفره، لأنه كان يعرف تمام المعرفة أن مؤتمر مونترو يجمع كل أصحاب المصالح الاستعمارية في البلاد العربية والإسلامية، وأنهم لا يوافقون إطلاقاً على الحكم بالشريعة الإسلامية، وأن أول ما يهمهم في قرارات هذا المؤتمر هو استبعاد الشريعة الإسلامية عن الحكم، حيث إن هذا أمر قد تواصى به أعداء الإسلام، فضلا عن أن زعماء المسلمين وقادتهم لم يكونوا قد تحرروا بعد من الاستعمار الفكري الذي رضعوه في مدارس الاستعمار والتبشير، فقلدوا الغرب في كل شيء وصبغوا حياتنا الاجتماعية والسياسية بطابع بعيد كل البعد عن روح الإسلام ومنهجه في الحياة.

- **عودة النحاس من مؤتمر مونترو..**

وعاد النحاس باشا من رحلته إلى فرنسا بعد قرار إلغاء الامتيازات الأجنبية وأقام له رجال حزب الوفد حفل استقبال كبيرا في حديقة انطونيادس بالنزهة بالإسكندرية خطب فيه (رفعته) خطاباً مذاعاً نوه فيه عن مضمون الرسالة التي بعث بها إليه فضيلة الأستاذ المرشد، فقال:
"إن جماعة لا وزن لها ولا قيمة تطالب بأن يكون القرآن دستور الأمة.. والإسلام عال الجنبات وليس في حاجة إلى هذه الصيحات" أو هكذا قال.
وفي الأسبوع التالي صدرت مجلة "النذير" لسان حال "الإخوان المسلمون" بخطاب مفتوح إلى صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة وزعيم حزب الوفد ، جاء فيه:
يا صاحب المقام الرفيع..
نحن حين نكتب إلى رفعتكم هذا الخطاب لا نطلب منكم مصلحة شخصية ولا منفعة ذاتية وإنما هي النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

---

[45] انظر: "حسن البنا.. الداعية الإمام والمجدد الشهيد" للأستاذ أنور الجندي – دار القلم / بيروت – ص 150- ص 155.
[46] عقد في 8 مايو سنة 1937م بين مصر والدول صاحبة الامتيازات الأجنبية حيث تم الاتفاق على إلغاء الامتيازات بعد فترة انتقالية لمدة 12 عاماً ثم تلغي المحاكم المختلطة.

يا رفعة الباشا: لقد جاء في خطابكم بمناسبة إلغاء الامتيازات الأجنبية والذي انعقد في حديقة أنطونيادس بالإسكندرية، كلام يتصل بجماعتنا وكان لزاما علينا أن نرد الحق إلى نصابه، فقد قلتم إن جماعة لا وزن لها ولا قيمة تطالب بأن يكون القرآن دستور الأمة.. والإسلام عال الجنبات وليس في حاجة إلى هذه الصيحات!!

أما أن هذه الجماعة لا وزن لها ولا قيمة، فهذا أمر متروك للزمن يقول فيه كلمته، ونحن لا ندعي لأنفسنا فضلا ولا منة.. فلله وحده الفضل والمنة.

أما أننا نطالب بأن يكون القرآن دستور الأمة، فذلك ما عاهدنا الله تعالى عليه نعمل له ونجاهد في سبيله ما وسعنا الجهاد وهو مطلب شعبي يتمناه كل مسلم فضلا عن أنه عقيدة كل مسلم لا يتم إسلامه إلا به.

أما أن الإسلام عال الجنبات وليس في حاجة إلى هذه الصيحات، فإني أقول أن واقع المسلمين من وجود الاحتلال على أرضهم في كل البلاد العربية والإسلامية، فضلا عن أنهم يحكمون في بلادهم بغير شريعة ربهم، دليل على أن الإسلام في حاجة شديدة وملحة لكل صيحة، بل ولكل يد تبني صرح الإسلام من جديد.

وكيف يكون الإسلام عال الجنبات يا رفعة الباشا وقد عقدتم مؤتمركم هذا قبل صلاة المغرب وانتهى بعد صلاة العشاء فأهدرتم فريضة إسلامية على الآلاف من المسلمين الذين حضروا هذا المؤتمر وعلى رأسهم زعيم أمة تدعي الإسلام.

كيف يكون الإسلام عال الجنبات وقد خطب في المؤتمر وزير المعارف فأخطأ في أكثر الآيات القرآنية التي وردت على لسانه، وهو أكبر ممثل لواجهة أمة الإسلام.

وإني لازلت أذكر تصريح وفعتكم لمراسل إحدى الوكالات الأجنبية[47]، حين قلت إنك معجب بلا تحفظ بكمال أتاتورك مؤسس تركيا الحديثة.. لقد تعجبنا كيف يكون إعجابك برجل حارب الإسلام بإنهاء الخلافة وتغيير اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية ومنع الأذان باللغة العربية وإغلاق المساجد وإحالتها إلى متاحف، وأخيراً إلغاء التحاكم بالشريعة الإسلامية.

يا رفعة الباشا: يجب أن تعلم أن ضمير مصر لا يزال حياً مفعماً بالإسلام وأن الشعب المسلم لا يرتضي بغير الحكم بالقرآن شرعة وبديلا.

- مؤتمر مونترو وحفل أنطونيادس

... وكتب الأستاذ المرشد في مجلة (النذير)[48] تحت عنوان "الإخوان بين السياسة والدين"..

أهو تدخل حزبي أم قيام بواجب إسلامي؟!..

أيها الناس تجردوا عن الغاية[49] وافهموا الأمور على وجهها..

لا يريد كثير من الناس أن ينظروا إلى الحقائق إلا بمنظار مطموس بالغايات ملوث بالأهواء سودته الحزازات الحزبية وتكاثفت على زجاجه الضغائن الشخصية، ومادام ذلك كذلك فلن يصل هذا إلى الحق وإن كان أوضح من النهار وأضوأ من الشمس المشرقة، فالهوى والحق لا يجتمعان، والغاية والإنصاف خصمان لدودان (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) [المؤمنون: 71].

ولا يريد هذا الصنف من الناس أن يفهم أن الإسلام قد أفتى في شئون الحياة جميعاً وتناول أمور الدنيا والآخرة بالبيان والإيضاح ورسم للناس فيها حدوداً إن اتبعوها فهم مسلمون صادقون وإن خرجوا عليها فهم آثمون مخالفون يقولون مالا يفعلون، وما دام الإسلام قد بين للناس نظام الحكم وقواعده، ووضح لهم حقوق الحاكم والمحكوم في بيان شامل فاصل فإن الإسلام بهذا قد ضرب في صميم السياسية وتناول أخص خصائص رجالها وزج بأحكامه في تيارها وألزم الناس النزول على هذه الأحكام، وهل أوضح في هذا من الله تبارك وتعالى: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون. أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) [المائدة: 49-50]، وما دام الإسلام قد فرض على الناس أن يجهروا بالحق وأن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر وألا يقروا ظالماً على ظلمه وألا يستسلموا لجائر في جوره وأن يجاهدوا أمراءهم وحكامهم وأولي الرأي منهم في سبيل إقامة موازين العدل حتى تقوم وإعلاء كلمة الله حتى ترتفع على الرؤوس وإظهار شعائر الإسلام حتى تسمو كل منار، فهو بذلك قد فرض على المسلمين جميعاً اليقظة السياسية والتدخل في شئون السياسة وأعطى الأمة حق مراقبة قوادها وزعمائها وحكامها وأمرائها وملوكها ووزرائها وأهل النفوذ والرأي فيها فما من كبير إلا والحق أكبر منه وما من ضعيف إلا وهو أقوى الناس بحقه، وهل أوضح في ذلك من قول الله تعالى: (لعن الذين كفروا

---

[47] شركة الأنباء الأناضولية، وكان ذلك في يونيو سنة 1935.. ونص التصريح كما جاء على لسان النحاس باشا: "أنا معجب بلا تحفظ بكمال أتاتورك ليس فقط بناحيته العسكرية ولكن لعبقريته الخالصة وفهمه لمعنى الدولة الحديثة التي تستطيع وحدها في الأحوال العالمية الحاضرة أن تعيش وتنمو"!!.

[48] العدد العاشر 5 جمادى الآخرة سنة 1357 "السنة الأولى".

[49] يقصد بالغاية هنا، الأهواء.

من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) [المائدة: 78-79]، ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله" ويتردد هذا في أحاديث وآيات أكثر من أن يتسع لها كتاب.
ما دام الإسلام يقول هذا أيها الناس، فليس هناك شيء اسمه دين وآخر اسمه سياسة وهي بدعة أوروبية أراد خصومكم بها أن تفتر حماستكم للإسلام وأن يصرفوكم عن نظمه إلى نظمهم الفاسدة، وليس هناك في حقيقة الأمر إلا شيء واحد هو شريعة الله التي صلح عليها أمر الدنيا والآخرة ووضعت للناس أفضل النظم في سياسة معاشهم ومعادهم وحكمهم وقضائهم وحربهم وسلمهم وأخذهم وعطائهم (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) [المائدة: 03].
أيها الناس: ضعوا عن أبصاركم هذه المناظير الملونة التي قدمتها لكم أوروبا وروجها عليكم ساسة هذا العصر، وانظروا إلى الإسلام بنور الله الذي هداكم إليه، فحبب إليكم الإيمان وزينة في قلوبكم، ترون ذلك جلياً وتبصرونه واضحاً وتعلمون أن الحق في جانب "الإخوان المسلمون" وأن الخطأ في نظرات الزعماء السياسيين الذين يفرقون بين السياسة والدين.
وبعد...
أيها الناس.. فقد اختلفت أحكامكم على الإخوان وكتابات الإخوان في هذه الصحيفة وذهبتم فيها كل مذهب وجافيتم الصواب كثيراً وحكمتم بأهوائكم لا بحقيقة الأمر والمسألة أبسط من ذلك وأهون مما تظنون.
كتب الإخوان ينتقدون رجال الحكومة الحاضرة نقداً مراً لاذعاً أليما فيه صراحة وفيه وضوح وفيه حساب عسير وفيه مؤاخذة شديدة.. نقدوا وزير الخارجية في حفل البعثة الإيرانية وما كان فيه من خمر ورقص وعبث ولهو بأموال الفلاحين بما يخالف أوامر الدين.. ونقدوا وزير الداخلية السابق في سفره ظهر الجمعة وتركه أداء فريضتها مع منشورة للمديرين والمحافظين ورجال الإدارة بوجوب مشاركة المسلمين في أداء هذه الفريضة المقدسة.. ونقدوا وزير المالية الحالي والنائب العام في حضور ميادين السباق والمراهنة على الخيل وهي بوضعها الحاضر قمار صريح لا شك فيه، ونقدوا رئيس الوزراء في تصريحه الخاص بقضية فلسطين وفي إعجابه بفرسان المغاربة يزينون ميادين فرنسا وهم سلالة الأشاوس الفاتحين من أبطال الموحدين.. كتبوا في كل هذا وسوف لا تقف هذه الأقلام عن هذا النقد أو هذا النصح ما وجدت إليه سبيلا ولن تقف في سبيلها عقوبة أو محاكمة فنحن نرتل دائماً قول الرسول: "إن أعظم كلمة حق عند سلطان جائر"، فلماذا تأولتم أيها الناس كلماتنا هذه ونظرتم إليها من خلال غايتكم، وغفلتم عن الدافع الحقيقي لها؟.. فأما الحكوميون منكم فقالوا في أنفسهم وفي مجتمعاتهم: وفديون نحاسيون مهرجون مأجورون لا يرضيهم شيء ولا يعترفون بمحمدة كل همهم خصومة الحكومة وعداوة الحكومة والنيل من الحكومة ورجال الحكومة، وقال الوفديون وأنصارهم: إن الحكومة لم تغدق على هؤلاء القوم من الإعانات المادية ولم تعطهم من المصروفات السرية ولم تحقق لهم مطالب شخصية فهم لهذا يحملون عليها وينتقدون رجالها ويشهرون بأعمالها وهو انتصار للوفد مبين.
وكتب الإخوان مع الكلمات السابقة ينقدون رفعة النحاس باشا في تصريحه عن الحدود الإسلامية ويندون بموقفه من التشريع الإسلامي ويعيبون على المؤتمر الوفدي إصاعته لصلاة المغرب ويطالبون الوفد بالحرص على شعائر الإسلام، فانعكست الآية وانقلبت التهمة وفرح الحكوميون واغتاظ الوفديون وأصدروا على العدد الواحد من أعداد مجلة (النذير) حكمين متناقضين، فهو العدد بعينه ومن يكتب فيه وفدي وحكومي وماهري ونحاسي[50] ومؤيد ومعارض، كل ذلك في وقت واحد.. هذه الأحكام المتناقضة كلها خاطئة، وإنما جر الناس إليها أمر واحد هو أنهم لا ينظرون إلى الأمور إلا من وراء الأفكار الحزبية، الحق أيها الناس أننا حين ننقد الحكومة أو الوفد لا نكره أحداً منهما ولا نعتبر هذا النقد معارضة إلا في هذا العمل الذي نقدناه، وحين نؤيد واحداً منهما ونثني على عمل حميد صدر منه، معنى هذا أننا معه أو مؤيدوه في هذا العمل وحده ونحن على استعداد لأن نؤيد اليوم من نقدناه بالأمس إذا أحسن وأجاد وأن ننقد اليوم من أيدناه بالأمس إذا اعوج والتوى وليس ذلك بتلون منا ولا نفاق، ولكنه نزول على حكم الحق أينما كان، وليس هذا أيها الناس تدخل حزبي أو كيد سياسي، ولكنه أداء واجب ديني فرضه الله: هو واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل آن أن نتفهم معاً هذه الحقيقة فنتعاون جميعاً على أن نرى الحق حقاً ونتبعه والباطل باطلا فنتجنبه ونحاربه.. ذلك ما نريد أن يفهمه الناس عنا ويحملوا عليه كتاباتنا، ولنا عود إلى هذا الموضوع.
حسن البنا

- زيارة وزراء حكومة الوفد

للمركز العام "للإخوان المسلمون":

---

[50] ماهري: نسبة إلى أحمد ماهر باشا رئيس الحزب السعدي، ونحاسي: نسبة إلى مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد في ذلك الوقت.

في مساء الأحد 12 من جمادى الأولى الموافق 16 من مايو سنة 1943 تفضل بزيارة دار المركز العام أصحاب المعالي فؤاد سراج الدين باشا وزير الزراعة وعبد الحميد عبد الحق وزير الشئون الاجتماعية وأحمد حمزة بك وزير التموين ومحمود سليمان غانم وزير التجارة والصناعة وسعادة صلاح الدين بك، سكرتير عام مجلس الوزراء، وبعض حضرات الشيوخ النواب المحترمين، يتقدمهم سعادة عبد الحميد الوكيل بك ومحمود عبد اللطيف بك، وكان بين زوار الدار في هذه الليلة سعادة محمود زكي خبير مصر الاقتصادي في السودان يرافقه حضرات إخواننا طلاب الحقوق السودانيين.
وعلى مائدة شاي بسيطة على سطح الدار جهزت بمكبرات الصوت، وأوصلت كلمات الخطباء إلى ألوف الحاضرين من الإخوان وأهالي الحي، وكانت فرق الجوالة تقف على جانبي الطريق لتحية الضيوف والمحافظة على النظام.
وأجتزئ هنا بعض كلمات الضيوف الكرام.
وقد تجلت صفة التواضع في وقفة وزير الزراعة عندما قال: (إنه يعتبر نفسه من الآن جندياً في جيش الإخوان الجرار).
وقال وزير الشئون الاجتماعية: (إنه يعتقد أن دعوة الإخوان سيكون لها شأن عظيم في المستقبل حيث سيلتقي عندها الجميع، وتكون الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الشعب المصري).
وقد ذكر حضرات أصحاب المعالي الوزراء ما قامت به الحكومة من مناصرة الفكرة الإسلامية، وتحقيق كثير مما يطالب به الإسلام ويعمل له الإخوان المسلمون كإلغاء البغاء والشروع في تنظيم الزكاة ومناصرة اللغة العربية لغة القرآن الكريم وتحريم تعاطي الخمور في أيام المواسم والأعياد الإسلامية[51].
وباختصار شديد أذكر من كلمات الأستاذ المرشد:
حضرات أصحاب المعالي والسعادة.. حضرات السادة الفضلاء والإخوة الأحبة جميعاً.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:
فهي ساعة طيبة كريمة تلك الساعة التي تفضلتم فيها بزيارة دار الإخوان، فأسعدتمونا بلقائكم وآنستمونا بتشريفكم، فشكر الله لكم وجزاكم عنا خيراً.
وكانت مفاجأة سارة أن يزورنا كذلك هؤلاء الإخوة الكرام من طلبة الحقوق بالسودان، أولئك الذين انتقلوا من وطنهم الجنوبي إلى وطنهم الشمالي وخرجوا من دارهم إلى دارهم في سبيل التزود من العلم وتوثيق روابط الأخوة والحب..
وليس هذا أيها السادة بأول جميل تسدونه لهذه الدار ومنها الذين فيها، فقد أراد الله أن يمتحن الإخوان ليظهر مبلغ حكمتهم وحسن تقديرهم للظروف وعلاجهم للحوادث وليسلك بهم في ذلك الامتحان مسالك أهل الدعوات والإيمان من قبل (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) [العنكبوت: 2-3].. فوجدنا من حضراتكم حين المحنة جميل المشاركة في العاطفة وحسن المساعدة والمعاونة على تصفية الجو ومناصرة الحق، حتى عادت المياه إلى مجاريها بفضل جهودكم الموفقة.. واتقشعت الغشاوة وظهر وجه البراءة مشرقاً، وتلك سنة الله ألا يقوم الباطل إلا في غفلة الحق (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) [الأنبياء: 18]، وإن من الوفاء أن أذكر في هذا الموقف رجلاً جليلاً وقف إلى جانب الإخوان حين المحنة موقفاً كريماً، وكان له في الدفاع عن دعوتهم أثر مشكور ونصيب موفور، ذلك هو سعادة عبد الواحد الوكيل باشا رحمه الله وتغمده برضوانه.
وليست هذه المواقف إلى جانب الإخوان ودعوتهم غريبة منكم، لأن هذه الدعوة ليست بعيدة عنكم، فدار الإخوان بأبي قرقاص هي دار معالي وزير الشئون الاجتماعية بالذات وأسركم الكريمة وآلكم الأفاضل هم الذين يشجعون هذه الدعوة في البلدان والأقاليم، فليس من العجيب بعد ذلك أن تسعد بكم دار الإخوان لأنكم جميعاً من الإخوان وتدفعني هذه الصلة بين حضراتكم وبين الدعوة إلى أن أتبسط قليلاً في الحديث عن غاية الإخوان ووسائلهم وخصائص دعوتهم..
وبعد أن مضى فضيلته في شرح أهداف الإخوان ووسائلهم، قال:
ومن خصائص هذه الدعوة أنها منذ نشأت وقد مضى عليها الآن خمس عشرة سنة عاصرت فيها مختلف الهيئات والحكومات لم تنحدر يوماً من الأيام إلى المزالق السياسية ولم تتلون بالألوان الحزبية ولم تتورط في المنافع الشخصية ولم تخضع لهيمنة عظيم من العظماء أو سلطان وجيه من الوجهاء ولم تعمل ساعة من نهار لحساب شخص أو هيئة أو حزب أو دولة، لأنها صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ودعوة الإسلام وهل أقدس منها دعوة؟!
وهداية الله للناس أجمعين لم تنفرد بها أمة دون أمة (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) [الفرقان: 01]، وهي ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي أكرم على الله وعلى القائمين بها من أن تكون وسيلة لمغنم حزبي أو تورط سياسي أو استغلال شخصي (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) [فصلت: 33].

---

[51] عن مجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية، العدد 12 الصادر في 9 جمادى الآخرة سنة 1362 هـ الموافق 12 يونيو سنة 1943 (باختصار).

ولقد قام الإخوان المسلمون بدعوتهم معتمدين بعد الله وحده على أنفسهم وجهودهم لا يتوجهون إلى بوحي من ضمائرهم ولا ينفقون إلا من ذات يدهم ولا يستمدون من أحد عوناً إلا الله (وكفي بالله ولياً وكفي بالله نصيراً) [النساء: 45]، وهم يعتقدون أن ذلك سر نجاحهم، به متمسكون وعليه ثابتون إن شاء الله (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقويٌ عزيز) [الحج: 40].

وكان مما يظن بعض الناس أن "الإخوان المسلمون" فكرة موضوعة وهيئة مصنوعة صنعتها أيد وأهواء لتنال من الوفد أو من غيره فتنتصر لحزب على حزب أو تظاهر قوماً على قوم، وذلك وهم لا أصل له وباطل لا خير فيه (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) [النجم: 23]، (وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) [النجم: 28]، فالإخوان المسلمون ليسوا حزبيين ولن يكونوا كذلك بل هم دعاة وحدة وسلام وصفاء ووئام يجمعون ولا يفرقون ويبنون ولا يهدمون ويودون من أعماق قلوبهم أن تجمع كلمة العالمين من أبناء هذا الوطن العزيز على ما فيه من خيره وهناءته ويشير إلى ذلك قانونهم الأساسي.

وهم بعد ذلك يأملون من الوفد، وهو الهيئة التأسيسية والسياسية الكبرى، ومن رفعة رئيسه الجليل، وهو الرجل المسلم الغيور على دينه – المؤدي لفرائضه، أن يكون عونا للإخوان على أداء رسالتهم وتحقيق غايتهم فيقدم للمجتمع المصري خدمة جلي يكتب له أجرها ويسجل له أثرها (فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره) [الزلزلة: 07]..

وكلمة ختامية أتوجه بها إلى حضرات أصحاب المعالي الوزراء خاصة وإلى أولياء الأمور عامة بعاطفة الوطني لا بلسان السياسي، وهي النصيحة الواجبة لا معدى عنها ولا مناص منها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم".

أيها السادة الوزراء..

إنكم أولياء الأمر ورعاة الشعب وأنتم المسئولون بين يدي الله عما استودعكم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) في أيديكم سلطات واسعة لا يحجزكم شيء عن استخدامها والانتفاع بها في خير هذا الشعب، إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن، فاقدروا هذه التبعة وإنها لعظيمة، واستخدموا هذه السلطات في محاربة المنكرات الفاشية وعلاج الآفات الكثيرة والقضاء على المعاصي والآثام المنتشرة، وتقربوا إلى الله بمناصرة المعروف وتغيير المنكر وصالح العمل (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفسٍ ما كسبت وهم لا يظلمون) [البقرة: 281].

- من مدرس الخط إلى الرئيس الجليل

وجه فضيلة المرشد خطاباً إلى زعيم حزب الوفد يشكره وأعضاء حزبه على تقريرهم مساعدة إخواننا الأبطال المجاهدين عرب فلسطين في ذلك الوقت، وأيضاً على دعوتهم ممثلي الشعوب المظلومة إلى حضور مؤتمر الحزب.

في هذا الخطاب ذكّر فضيلة المرشد الزعيم بموقفه من الإسلام وتهاون أعضاء حزبه في واجباتهم الإسلامية وإهمالهم إحياء شرائع الإسلام لحساب ما يسمونه "الوحدة الوطنية بين عنصري الأمة".. في هذا الخطاب قام فضيلته بكشف أبعاد تصريح الرئيس لمكاتب شركة الأنباء الأناضولية ودلالات إعجابه بكمال أتاتورك التي تعني أن الوفد يشجع اللادينية، فقال: (.. هذا التصريح ليس تصريحاً أجوف وليس تصريحاً يصدر هكذا عن مجاملة أو عن غير روية سابقة وإنما فكرة مستقرة تريد أن تبرز إلى حيز الوجود في الوقت المناسب حين تتهيأ لها الظروف وإن سبق اللسان فأظهر مكنون الضمير، فأنتم تسجلون في هذا التصريح أن هناك شيئاً اسمه الدولة الحديثة، وهي التي فهمها كمال أتاتورك وشكل على غرارها (دولة في تركيا، وتسجلون في هذا التصريح كذلك أن هذه الدولة هي التي تستطيع وحدها في الأحوال العالمية أن تعيش وتنمو، ومعلوم أن أتاتورك في دولته الحديثة قد تجرد من كل المظاهر الإسلامية، فكأنكم في هذا تعلنون في صراحة أن مصر لا تستطيع أن تعيش وأن تنمو في الأحوال العالمية الحاضرة إلا إذا تجردت هي الأخرى من كل مظاهر الإسلام كما فعلت تركيا، وكأن هذا هو عنوان منهاجكم ومحور الإصلاح الذي تريدون لهذا الوطن بعد الانتهاء من قضاياه الخارجية، ولست رجلاً من آحاد الناس بل أنتم زعيم يؤول إليه الحكم وتلقى إليه مقاليد الأمة.

.. هذا التصريح دليل مادي بين يدي الناس الذين يرون أن الوفد يعمل على سياسة إن لم تكن تناوئ الإسلام فهي على الأقل لا تستمد منه ولا تعنى بشأنه ويسرها أن تتخلص من تبعاته.

ومما جاء في هذا الخطاب قول فضيلته:

(الآن وقد فكرتم في الاتجاه إلى الناحية الإسلامية العربية فأصدرتم قراركم بخصوص فلسطين الباسلة وبخصوص دعوة ممثلي الأمم الشرقية.

الآن والأمر كذلك، فهل لنا أن نأخذ من هذا أن الوفد جاد في تعديل موقفه الماضي من الإسلام، أم لا زالت هذه المظاهرات مناورات سياسية اقتضتها الظروف والحوادث يراد بها الانتصار السياسي على خصوم الوفد والعودة إلى قيادة الرأي العام ثم إلى الحكم، حتى إذا تم ذلك عاد سيرته الأولى من الإغضاء والتجاهل والإهمال لكل إصلاح يمت بصلة إلى الإسلام.. ثق يا باشا

بأنه إذا كانت هذه هي الغاية فإن الله لا يؤيد إلا من أخلص له وصدق توجهه إليه ولن ينال الوفد شيئاً مما يفكر فيه أو يتطلع إليه فإن الله أشد غيرة على دينه من أن يكون سلماً للمطامع ومطية للأهواء والشهوات وإن كانت الأولى فندع الماضي جانباً ولننسه بخيره وشره ولنضع منهاجاً للمستقبل فذلك هو الذي يعني الأمة ويؤدي إلى النجاح وليكن هذا المنهاج مرتكزاً على قواعد الإسلام مستمداً من تعاليمه السامية وأصوله النبيلة الدقيقة، ولذلك – إن صح العزم عليه – علامات ودلائل نطالبكم بها ونحاسبكم عليها فلا قيمة لدعوى بغير دليل وبرهان، ومن هذه الدلائل:

- أولاً: أن يكون أعضاء الوفد والهيئة الوفدية وعلى رأسهم رفعتكم نماذج صالحة للاستمساك بالإسلام في أنفسهم وبيوتهم وكل مظاهر حياتهم، فيؤدون الفرائض ويؤمون المساجد ويمتنعون عن غشيان الأندية الفاجرة والذهاب إلى الصالات الخليعة ويصدرون عن هذه المسالك في تصرفاتهم العامة والخاصة وتزدان اجتماعات الوفد ومؤتمرات الوفد بملاحظة الأوقات وأداء الصلوات، وينبه على ذلك تنبيهاً جاداً في كل اللجان الوفدية صغيرة أو كبيرة ويراقب أعضاؤها في هذا ويؤخذون به، على أن القدوة الحسنة من جانبكم وجانب أعضاء الوفد البارزين فيها الكفاية في التأثير وحمل الأنصار على انتهاج هذه الخطة القومية والتمسك بآداب الإسلام وشعائره ومظاهره.
- ثانياً: أن يعلن الوفد منهاجه الإصلاحي مستمداً من قواعد الإسلام متضمناً لما يأتي:

1- العناية بإصلاح التشريع وتوحيد المحكمة المصرية في ظل الشريعة الإسلامية.
2- العناية بإصلاح التعليم وتوحيد المدرسة المصرية في ظل الشريعة الإسلامية كذلك.
3- العناية بتجنيد القادرين في الأمة جميعاً تجنيداً تطوعياً لا يكلف الحكومة شيئاً باسم الواجب الديني المفروض على كل مسلم، واجب الجهاد المقدس الذي يدوي به النفير العام في قوله تعالى: (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) [التوبة: 41].
4- محاربة الموبقات التي يحرمها الله والتي أفسدت أخلاقنا وهددت مجتمعنا والقضاء عليها قضاء تاماً كالبغاء والقمار والخمور والتهتك والمراقص والصالات والأندية الداعرة، إلخ، وأخذ كل خارج عن أدب الإسلام بالعقوبة الرادعة.
5- العناية بمشروعات الإصلاح الاقتصادي والاستعانة في تحقيق ذلك بتنظيم الزكاة جباية ومصرفاً.
6- مقاومة روح التقليد الأوروبي وتعويد الشعب الاعتزاز بكرامته وقوميته.
7- العناية بإصلاح الإدارة والأسرة والقرية وتطهير ذلك كله من كل ما يتنافى مع أدب الإسلام وتعاليمه.
8- العناية بالسياسة الخارجية التي تربط مصر بغيرها من الأمم الإسلامية والعربية تمهيداً لعودة "الخلافة" وتوكيداً للوحدة التي فرضها الإسلام.
9- دعوة خصوم الوفد السياسيين إلى انتهاج هذا المنهج وبذلك يقضي على الحزبية السياسية.

هذه نماذج مما يجب أن يعلنه الوفد في منهاجه الجديد على الأمة، لم نقصد بإيرادها الاستقراء التام ولا الاستقصاء الكامل ولكن نسوقها كأمثلة مما يجب أن يكون.

- **جريمة منكرة:**

وفي 24 من ربيع الأول سنة 1367 هـ (1947 م).
دبرت عناصر حزبية مشئومة جريمة بشعة هي في سجل الحزبية والأحزاب السياسية في مصر أمر ليس بالغريب، ففي مدرسة شبين الكوم الثانوية وجدت العناصر الحزبية أن الطلاب قد بدأوا ينحازون إلى صف الحركة الإسلامية بدافع الفطرة التي تبحث عن الخير فتتجه إليه وتحس الخبيث فتنصرف عنه.
وعز على الأحزاب يومها أن تطوى صفحتها بين الطلاب وجماهيرهم بعد أن جرى الإسلام في عروق الحركة الطلابية فأيقظ وجدانها ضميرها فدبرت عناصر من تلك الأحزاب جريمتها بأحد النوادي الخاصة بها في مدينة شبين الكوم ليلاً، ونفذتها في مدرسة شبين الكوم الثانوية نهاراً، وكانت المناسبة التي اختارتها العناصر الحزبية لتنفيذ مؤامرتها هي ذكرى المولد النبوي.
لقد قامت هذه العناصر الحزبية المجرمة باغتيال الطالب صادق سعد مرعي، حيث التف طلاب المدرسة حول الفكرة الإسلامية وأقاموا احتفالاً بذكرى المولد الشريف لم يجد الحزبيون لهم فيه مجالاً فأعماهم الحقد والنزق عن السبيل السوي، فعبروا عما في نفوسهم المظلمة في حزبية منحرفة ضلت طريقها بخنجر أغمدوه في صدر الطالب الشهيد.
وكتبت جريدة "الإخوان" تقول:
(ليس اغتيال صادق سعد مرعي يوم السبت الماضي بتلك الطعنة الآثمة التي سددها إلى قلبه وكيل إحدى اللجان الحزبية بمدرسة شبين الكوم الثانوية إلا ثمرة من ثمار الحنظل التي نجنيها من شجرة الحزبية البغيضة القاتلة منذ قامت في مصر هذه الأحزاب.. ومن الخير لهذه الأمة أن تتجرع كأس الحقيقة وإن كان مراً من أن تتمادى في تجاهل هذا الداء، فما زال سبيل الخلاص في يدها..

لقد حمل الشهيد إخوانه الطلاب والأهالي على الأعناق إلى بلدته ميت موسى في مشهد رهيب حيث قر في مثواه الأخير وشيعوه بالعبرات المسفوحة ورثوه بسيرته العطرة، فقد كان زهرة شباب المدرسة وألمعهم نجماً، أنضر ما يكون فتوة وشباباً وأقوى ما يكون وطنية وإيماناً وأكمل ما يكون خلقاً وديناً.. وتبادل الناس فيه العزاء وكلهم في الخطب سواء.. ومع ذلك فما بقي عن الحادث الأسيف في قلب مصر، وما تخلف عنه في نفس كل مصري أكبر من أن يزول بالدموع والألم أو ينسى مع الأحداث والأيام، وإن ما شهدناه بأعيننا ولمسناه بأنفسنا في شبين الكوم وفي بلد الفقيد وعند كل من بلغه الخبر من الحزن البالغ على الشهيد العزيز والثورة الصارخة على هؤلاء الآثمين الذين حاكوا المؤامرة في ناديهم وسخروا لها الأدوات من الشباب المضلل لم يردعهم عن ذلك مخافة حساب من دين أو قانون، وحديث الناس في كل مكان عن هذا الحادث وبواعثه وعن مدبريه وحزبهم، كل ذلك جعل الأمر أخطر وأجل من أن يعالج بالاكتفاء بتقديم عنق القاتل للمقصلة في الوقت الذي يعلم الجميع فيه أن المسئول عن هذا التوجيه وذلك التدبير هم المسئولون عن الحزب الذين أعمتهم شهوة الحكم عن المصلحة العامة وأحلت لهم ما حرمه الله من قتل أنفس الأبرياء بدافع الحقد على الآمنين العاملين لدعوة الله ورسوله ما داموا لا يعملون لدعوة زعيم أو حزب كأنما هي أمة الطاغوت لا أمة الإسلام..

لقد كان الناس يتساءلون: أحقاً هي يد مصرية تلك التي سددت الطعنة إلى قلب مصري؟ وهل هو توجيه إسلامي ذلك التوجيه الذي استعمل الاغتيال وتدبير هذه المؤامرات؟

.. فكان الجواب الذي لا يتغير: بل هي يد حزبية عمياء، لا يحكمها وطن أو دين).

وكتب فضيلة المرشد نداءه إلى الإخوان الطلاب يذكرهم برسالتهم وبضرورة الارتفاع عن مهاترات الأحزاب ووسائلها ومؤامراتها.. كتب رحمه الله يقول:

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد:

فالآن وقد انتهت إجازتكم وعدتم إلى معاهدكم، أجب أن أتقدم إليكم بالوصية، بعد جميل العزاء في شهيدنا المبرور وفقيدنا العزيز الطالب النجيب صادق سعد مرعي، عوضنا الله فيه الخير وأجزل له ولأسرته الكريمة لنا أجر الصبر، آمين.. فأوصيكم بثلاث فاذكروها دائماً:

1- أنكم في دور العلم ومعاهده طلاب قبل أن تكونوا منتسبين إلى أحزاب أو هيئات.. أنكم أسرة واحدة تجمعها كرامة العلم وقدسية الزمالة واحفظوا على أنفسكم وحدتها واحذروا كل فتنة، وأعرضوا عن اللغو ولا تشغلوا أنفسكم إلا بالدافع المفيد.

2- ولا تنسوا أبداً أن خير ما تكسبونه لأنفسكم وتعتدون به لأمتكم في هذه المرحلة من حياتكم أن تنهلوا من العلم الذي بين أيديكم وأن تستزيدوا منه ما وسعتكم الاستزادة ولا يكن قصارى همكم أن تجتازوا امتحاناً، ولكن اجعلوا همكم أن تملأوا قلوبكم ورءوسكم بما يقيم مجد هذه الأمة على أساس متين.

3- والثالثة يا شباب أن تكونوا أمناء على الدور الذي تحملونه في قلوبكم وعلى معادن الخير التي أقرتها يد الله في حنايا ضلوعكم واعلموا أن الأمل فيكم بقدر ما تحفظون من أخلاقكم وليكن جهادكم لأنفسكم أول شعيرة ترضون بها ربكم وتعززون بها أوطانكم، فوالله ما أودي بهذا الوطن العظيم سلاح ولا رهبة إلا هذا الصغار في الخلق والعبث الضمائر والدنس في النفوس الرخيصة.

أما أنتم يا طلاب شبين الكوم فوصيتي لكم خاصة أن تحتسبوا فقيدكم الكريم لله عز وجل أن تتركوا للقضاء ما يعن له من الحكم الرادع إن شاء الله، وأن يكون استشهاد فقيدكم العزيز عبرة تلمون بها شملكم وتقطعون بها الطريق على فتنة يراد بها التفريق بين صفوفكم عما أنتم بسبيله من طلب العلم والتفرغ لها.. هذه وصيتي أزجيها إليكم، وكلي فيكم أمل وثقة، والله على قلوبكم نعم الخليفة.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- **انتهاك حرمة المسجد:**

عقد الإخوان المسلمون مؤتمراً شعبياً بالقاهرة لمناصرة القضية الوطنية وتلاه مؤتمر آخر بالإسكندرية.. وبعد انتهاء هذا المؤتمر دعا الإخوان بدمنهور فضيلة المرشد لكي يخطب ويصلي بهم الجمعة في مسجد الزرقا، وحاول فضيلته الاعتذار نظرا للظروف والمشاكل التي بين الإخوان في دمنهور وبعض الوفديين، ولكن الإخوان أصروا على تلبية دعوتهم، فاستجاب لرغبتهم.

وغادر فضيلة المرشد وصحبه الإسكندرية إلى دمنهور، وعند المسجد كان المشهد مثيرا حيث حاصرت قوات الأمن المسجد من كل مكان، ودخل الأستاذ المرشد مع نهاية الأذان، وفوجئنا بمعركة بين الإخوان والوفديين بالأيدي وسط جلبة من الهتافات، وجرفت موجة الغضب الإخوان ولم يقدروا خطورة الموقف وما يترتب على ذلك من مخاطر على حياة فضيلة المرشد في هذا الزحام الذي يختلط فيه الحابل بالنابل ومن نعرف بمن لا نعرف.

ولكن الأستاذ المرشد لم ينتظر، فقد صعد المنبر في الحال وصاح بأعلى صوته:

(يا أبناء الإسلام.. يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام.. يا من جئتم لعبادة الله وحده..)
وظل الأستاذ ينادي بمثل هذه المعاني إلى أن جلس الناس جميعاً، وهدأت الثائرة وخيم الصمت الرهيب على الجميع، ثم بدأ يخطب الجمعة محلقاً بالمصلين في سماء الحب والأخوة في الله تعالى، وتناول كيف وحد الإسلام بين الأوس والخزرج وبين الأبيض والأسود وبين العربي والعجمي، واستشهد بآيات القرآن وأحاديث الرسول صلوات الله عليه وسلامه حتى تجاوبت القلوب ودمعت العيون..
وبعد أداء صلاة الجمعة أسرع فضيلته إلى إلقاء كلمة أخرى، حتى لا يدع فرصة للشقاق والخلاف واستمر حديثه أكثر من ساعة حتى انفض الناس في هدوء، وخرجوا من المسجد وقد ظهر عليهم الألم والحزن إذ أوقع بينهم الشيطان وألقى بينهم العداوة والبغضاء..
وهكذا استطاع الأستاذ المرشد بما ألهمه الله وبما وهبه من قوة العزيمة وسرعة الحركة والمبادرة أن ينقذ الموقف ويملك زمامه ويرد إلى الجماهير رشدها ووعيها دون أن يشير في خطبته إلى أي اتهام أو تجريح أو مفاضلة، ولكن رد الناس جميعاً إلى أصل عقيدتهم التي منّ الله عليهم بها حيث يقول: (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) [آل عمران: 103].

- **جرائمهم في بور سعيد:**

ولم تمض شهور على هذا الحادث، حتى سافر الأستاذ المرشد إلى مدينة بورسعيد، فاستقبله الإخوان هناك ومعهم فرق الجوالة استقبالا شعبياً كريماً، وبينما كان موكب الجوالة يشق طريقه في قلب المدينة إذا بشباب حزب الوفد يهاجم الإخوان ويقذفهم بالحجارة ويصطدم بهم في معركة، ولم يقنع هؤلاء الأغراء من شباب هذا الحزب بهذا الذي فعلوه ولكنهم تمادوا في نزقهم وطيشهم فتوجهوا إلى دار الإخوان وحطموا زجاج نوافذها وأتلفوا أثاثها، وحضر مدير الأمن وسيطر على الموقف وطلب من فضيلة المرشد أن يساعده على ذلك، فأخبره الأستاذ بأنه قد أمر الإخوان أن يلتزموا الهدوء والسكينة، وأنه شخصياً قد اعتزم السفر إلى القاهرة وسوف يوفد بعض الإخوان لتصفية الجو بين الإخوان والوفد..
وغادر فضيلته بورسعيد، ولم يلبث أن أوفد الأستاذ عمر التلمساني وفوضه في تصفية الجو.. وفي بورسعيد قابل الأستاذ عمر – رحمه الله – مدير الأمن الذي أدهشه كيف أن الإخوان وهم المعتدى عليهم يسعون للصلح مع اللجنة الوفدية، فرحب بهذه السماحة، وعقد الإخوان في دار اللجنة الوفدية اجتماعاً للمصالحة وعندما أراد العقلاء، من اللجنة الوفدية الذهاب إلى دار الإخوان لرد الزيارة اعترض على ذلك زعماء الحزب، ولكن برغم هذا الاعتراض ذهب وفد منهم إلى دار الإخوان واستقبلوا هناك بها أكرم استقبال، ومع هذا هاجم بعض شباب الوفد دار الإخوان وقت وجود وفدهم ضيوفاً على الإخوان، فتجاهل الإخوان هذه الحماقات ولم يلتفتوا إليها، وانتهت الفتنة وقضي عليها في مهدها، ونسي الإخوان والوفديون في بورسعيد هذا الحادث.
وتمضي شهور ثم تندلع الحرب في فلسطين عام 1948، واشترك الإخوان في المعارك بكتيبتين من شبابهم.. كتيبة قادها فضيلة المرشد إلى غزة عن طريق القنطرة شرق والعريش، وكتيبة أخرى تحركت إلى القدس بعد إتمام تدريبها في معسكر قطنا بسوريا.
وكان من المقرر ترحيل الكتيبة الثانية من ميناء الإسكندرية ولكن الأستاذ المرشد رأى ترحيلها عن طريق بورسعيد فأرسل إلى الأخ الحاج أحمد المصري كي يستعد لاستقبال الكتيبة لتوديعها إلى سوريا بكل ما تحمله من سلاح وعتاد ومؤن بالسفن من ميناء بورسعيد.
وانتقل فضيلة المرشد إلى بورسعيد قبل أن تصل الكتيبة، وحين وصلت كان في استقبالها جوالة الإخوان هناك بالموسيقى والأناشيد الحماسية، واستيقظت بورسعيد على هذا المشهد الرائع المثير الذي ألهب العواطف وأشعل جذوة الحماس في النفوس والقلوب.
ووقف حسن البنا وسط الجموع المحتشدة من أهل بورسعيد، ليقول كلمات قلائل: ذات معاني جمة:
(أيها الناس.. أتذكرون يوما في العام الماضي، كنا فيه في مثل هذا الاستعراض، ودون أسباب ولا مبررات هوجمنا وحطمت دارنا بلا ذنب ولا جريرة.. أتذكرون هذا اليوم؟
إن "الإخوان المسلمون" أبعد نظراً من أن تستفزهم هذه المعارك الجانبية، لأنهم أحرص على دماء بني دينهم ووطنهم أن تذهب في سبيل المطامع والأهواء.. في سبيل الزعامات التي لا تتقي ربها في أرواح أبناء وطنها، ولقد كان بوسع الإخوان أن يردوا على هذا الاعتداء بمثله، ولكن الخسارة ستكون علينا جميعاً فنحن مهما اختلفنا في الرأي فإننا بنو دين واحد نعيش في مجتمع واحد في وطن واحد، لهذا آثر الإخوان المسلمون الحكمة وادخروا جهودهم وجهادهم لقتال أعداء الإسلام، وها هم جنود الإسلام يتحركون على بركة الله إلى فلسطين (فليقاتل في سبيل الله الذي يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) [النساء: 74]، (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) [المطففين: 26].. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

وتعالت الهتافات وازداد الحماس وتحركت الكتيبة وسط مظاهرة من عامة الشعب إلى ميناء بورسعيد، وعاد الأستاذ المرشد إلى القاهرة ليصرف شئون دعوته، ثم ينتقل إلى دمشق ليلحق بهذه الكتيبة ويستقبلها هناك مع الإخوان بسوريا يرافقه الدكتور مصطفى السباعي – رحمه الله – مراقب الإخوان هناك، وكانت هذه أول مرة يزور فيها الإمام البنا سوريا.

- السعديون والاعتداء على المصحف الشريف:

قام الإخوان بالقاهرة سنة 1947 بعمل استعراض لفرق الجوالة بحي الدرب الأحمر، وبينما هذه الفرق تجول الشوارع يتقدمها أحد الإخوان حاملا على يديه "المصحف الشريف"، إذ تصدى للجوالة رجال الشرطة وعلى رأسهم مأمور قسم شرطة الدرب الأحمر، وقد أدى هذا الاشتباك إلى سقوط "المصحف الشريف" على الأرض فثار الإخوان وهاج معهم الأهالي الذين أثارتهم هذه الفعلة النكراء..

وكادت تحدث فتنة لولا وجود الأخ الأستاذ سعد الدين الوليلي الذي عمل بكل جهده على إطفاء نيران هذه الثورة في النفوس، في الوقت الذي اضطلع اللواء سليم زكي حكمدار القاهرة بإنقاذ الموقف، وكان من الصعب جداً تهدئة الجو حيث اعتبر الإخوان ومعهم عامة الناس أن هذا الحادث فيه إهانة بالغة لكتاب الله تعالى وامتهان لقداسته، وذهب اللواء سليم زكي إلى دار المركز العام للإخوان القريب من الحادث والتقى بالأستاذ المرشد واعتذر له، ولكن الأستاذ البنا احتج على هذا الحادث المثير والذي لولا حكمة شباب الإخوان لأدى إلى أسوأ العواقب.. وهدأ فضيلة المرشد من ثائرة الإخوان ووعدهم بأنه سوف يرد على هذا الموقف بما يتناسب مع حكمة الإخوان وجلال دعوتهم.

وفي مثل هذا اليوم وفي نفس الوقت من الأسبوع التالي خرجت جوالة الإخوان بعدد كبير يضاعف العدد السابق تتقدمها فرق الموسيقى مع أعلام الإخوان، وتتلوها كوكبة من الإخوان يحيطون بالأخ "حامل المصحف الشريف" وسارت هذه الفرق تجوب نفس الشوارع، وتهتف بمبادئ الإسلام وتنشد الأناشيد الإسلامية الحماسية والجماهير تستقبلها بالهتافات والتصفيق وتحيط بها من كل جانب في حماسة متحدية بذلك رجال الشرطة.

وبعد هذا الاستعراض الرائع والاستقبال العظيم عادت الفرق إلى المركز العام، حيث كان في استقبالها فضيلة المرشد الذي تحدث إليهم حديثاً أراح قلوبهم وأثلج صدورهم.

- السعديون والقضية الوطنية

حين وقف النقراشي باشا في مجلس الأمن يعرض قضية مصر الوطنية ويطالب بجلاء المستعمرين الإنجليز، وقف الإخوان المسلمون إلى جانبه بكل ثقلهم يدعمون موقفه.. وحين عاد يجر أذيال الخيبة، بعد أن خذله مجلس الأمن، واستسلم لألاعيب الإنجليز وصارت قضية البلاد ألعوبة في يد المستعمر بعث إليه الإخوان رسالة نشرتها جريدتهم اليومية، هذا نصها:

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي النقراشي رئيس الحكومة المصرية.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد شعر الإخوان المسلمون منذ عودة دولتكم من أمريكا بعد تعليق القضية المصرية في مجلس الأمن بأن تلك الحماسة الباهرة وتلك الصراحة الظاهرة، قد خبت جذوتها ولانت حدتها، وراقبوا مواقف الحكومة وتصرفاتها في شئون البلاد الحيوية، ونهجوا في سبيل ذلك تبيان مظاهر التحلل والفساد في حياتها الاجتماعية، وتقدموا بالنصيحة في كل موقف، وكشفوا عن وجه الصواب في كل تصرف، ولما لم يجدوا أثراً لذلك لم يكن بد من أن يقولوا كلمتهم ويؤدوا أمانتهم.

تحدي الحكومة للإخوان

وقد اعتبرت الحكومة عريضة الإخوان المرفوعة إلى ملك البلاد معارضة لها، فرتبت على ذلك خطوات إيجابية – على قاعدة الحكومة المصرية التي يضيق صدرها بكلمة الحق – وأصدرت أمرها إلى رجالها بمصادرة حرية الإخوان، والوقوف في طريق نشاطهم، وكان من ذلك أن صودر حفل فرع هيئة وادي النيل العليا لإنقاذ فلسطين بالمنيا بمجرد أن تبينت الإدارة أن للإخوان يداً في إقامته، كما قبض على بعض طلاب الجامعة من الإخوان وزج بهم في السجون وعوملوا أسوأ معاملة في الوقت الذي ترك فيه المعتدون المشاغبون يسرحون ويمرحون ويظهرون بمظهر المعتدي عليهم وطارد البوليس طلاب مدرسة السنطة الصناعية وأطلق عليهم الرصاص وأصاب منهم عشرين طالباً لأن معظمهم من طلاب الإخوان.

الإخوان وقضايا العرب والمسلمين

ولما كان الظرف في غاية الدقة والحرج وكنا جميعا أمام قضايا هامة يتصل بها مستقبل العالم العربي والإسلامي كله ويتوقف عليها مصيره وأهمها قضية فلسطين المقدسة، وكان نشاط الإخوان في هذه النواحي هاما وأساسيا وعظيما لأنهم الهيئة البيت حملت هذا العبء منذ أكثر من خمس عشرة سنة، ونهضت به ونبهت الأذهان إليه وجمعت القلوب والجهود من حوله والتي هي على استعداد كامل لمواصلة هذا الجهاد حتى يتحقق النصر بإذن الله.. لهذا أحببت أن أكتب لدولتكم حتى تتحدد الأمور والمواقف.

الإخوان معارضون للحكومة

فأما أن "الإخوان المسلمون" معارضون للحكومة، فهذا حق لا شك فيه، وأقول بكل وضوح إنهم لم يكونوا يوماً مع أية حكومة من الحكومات في غير هذا الموضع لأن دعوتهم الجامعة وأهدافهم الإصلاحية ومبادئهم الإسلامية لا تسلم أبداً بهذه الأوضاع الحزبية المغرقة ولا تستسيغ هذا التناقض في نظام الحكم في بلد يقرر دستوره أن دينها الإسلام ثم تجري فيه كل الأمور على نقيض ذلك.

قاعدة الإخوان في المعارضة

ولكن هذه المعارضة تكون قوية واضحة أو هادئة لينة حسب ما يترتب عليها من خير للوطن والإسلام، فإذا ظهر من إحدى الحكومات استعداد لتقبل النصح وعزم على الاتجاه إلى الخير وكانت تصرفاتها لا تؤدي إلى كارثة من الكوارث الوطنية أو الاجتماعية، كانت معارضة الإخوان إياها هادئة لينة أخذاً بأدب القرآن الكريم (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى) [طه: 44] أما إذا كانت الظروف والملابسات والأعمال والتصرفات ستؤدي إلى نكسة وطنية يضيع معها حق وطني وتكبل نهضته بالقيود والأغلال، فإن الإخوان لا يسعهم في دينهم ولا في وطنيتهم أن يسكتوا عن ذلك ساعة من نهار أخذا بأدب القرآن أيضاً (فانبذ إليهم على سواء) [الأنفال: 58]، وهم حينئذ لا يهربون من تبعات ولا يتنصلون من مسئوليات ويعتبرون كل ما يصيبهم جهادا في سبيل الله لهم أجره ومثوبته.

تلك قاعدة "الإخوان المسلمون" العامة التي طبقوها مع كل الحكومات على السواء، لم يلينوا يوماً لرغبة ولم يعنفوا لرهبة ولم يمالئوا أحداً على حقوق الوطن، ولن تستطيع حكومة من الحكومات كائنة ما كانت أن ترى لها عليهم يداً يغضون لها حين تغضب، وذلك هو بعينه مسلكهم مع حكومتكم أولاً وأخيراً.

واجب الحكومة

ولكن الإخوان مع هذا لم يعلنوا بعد أنهم خارجون على القانون فهم سيجعلون معارضتهم في حدودها القانونية يكتبون في صحفهم ويجتمعون في أنديتهم وينشرون رأيهم بكل وسيلة مشروعة.

وهم يريدون من الحكومة أن تسلك معهم هذا المسلك وترتفع بأساليبها عن التصرفات الصغيرة التي تتعارض مع القانون وتعتبر عدوانا عليه، فلا تمنع اجتماعاً بغير حق ولا تقبض على أحد بلا مبرر لتكون قدوة للأمة ولا تضطر غيرها لارتكاب الخطأ فتسقط هيبة النظم وتضيع حرمة القوانين.

وإذا لم تأخذ الحكومة بهذا التوجيه السليم والنصح المخلص، فلها أن تتعسف كما تشاء وعليها تبعة عملها وعلى الباغي تدور الدائرة.

خطاب عام
إلى رؤساء الأحزاب والقوى السياسية

كشف الإخوان عن موقفهم الصريح: أنهم لن يقحموا أنفسهم على الزعماء، وأنهم لن يعلنوا الحرب على من أعلنها عليهم، ولكنهم سيعملون كقوة شعبية خالصة.

وفي خطاب وجهه المرشد إلى: شريف صبري، مصطفى النحاس، علي ماهر، عبد الفتاح يحيى، حسين سري، محمود فهمي النقراشي، محمد حسين هيكل، إبراهيم عبد الهادي، مكرم عبيد، أحمد لطفي السيد، علي الشمسي، حافظ عفيفي، محمد حافظ رمضان، بوصفهم رؤساء الأحزاب والكتل والقوى السياسية يقول:

إننا معشر "الإخوان المسلمون" لن نقحم أنفسنا في مجموعكم، ولن نزاحمكم مكانكم، ولن ننازعكم رئاستكم، وقد أبيتم علينا سواء أكنتم في الحكم أم خارجه أن نظهر أية صورة على المسرح السياسي، أو ننفذ من أي طريق مهما كان صحيحاً سليماً قانونياً إلى ميدانه الرسمي، فرضينا صابرين، وعملنا كوطنيين مجاهدين، وسنقف في صف هذا الشعب – ونحن أعرف بمكاننا منه – نوجهه ونسدده، ونقوده ونرشده، ونرقب معه ما أنتم فاعلون، فإن اجتمعتم وأحسنتم وجاهدتم أيدناكم وناصرناكم وكنا لكم الفداء، وإن أبيتم إلا الفرقة والخلاف واتباع الأهواء، وآثرتم القعود وممالاة الغاصبين والأعداء، فسنمضي – وهذا العشب معنا بإيمانه ويقينه ووطنيته ودينه وتنظيمه وتكوينه – إلى الغاية مجاهدين، وفي سبيل الله مستشهدين، وندعكم مع القاعدين من المخلفين، فإما إلى النصر، وإما إلى القبر، وكلاهما بركة وخير:

(قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) [التوبة: 52].

حسن البنا.. والاستعمار وجها لوجه

- **عقبات في الطريق**

أعلنت الحرب العالمية الثانية واشتعلت نيرانها في سبتمبر سنة 1939 م..

وباندلاع هذه الحرب فرضت سلطات الاحتلال البريطاني الأحكام العسكرية على البلاد والعباد في مصر، وتعاقبت الوزارات حتى شكلت وزارة حسين سري باشا وصدرت إليها أوامر هذه السلطات لتقضي على نشاط "الإخوان المسلمون"، وتحل جماعتهم وتحول بينهم وبين القيام بواجبات دعوتهم..
واتخذت سلطات الاحتلال هذه الإجراءات القمعية ضد الإخوان بعد أن فشلت محاولاتها في جذب قيادة الإخوان إلى صفها بالوعد والإغراء.
ونفذت حكومة حسين سري الأوامر!!.. وحالت بين الإخوان وبين التحرك بدعوتهم وأوقفت جميع وجوه نشاطهم ووضعت جميع شعبهم تحت المراقبة الشديدة وصادرت صحفهم ونشراتهم، وتمادت في إجراءاتها التعسفية ضد الإخوان حتى منعت جميع الصحف في مصر من نشر أي خبر عنهم أو حتى ذكر اسمهم أو الإشارة إليهم ولو بكلمة واحدة، من ذلك:
عندما حاول الإخوان إعادة طبع رسالة (المأثورات) رفض رقيب المطبوعات المستر فيرنس التصريح لهم بذلك، فلجأوا إلى مسئول آخر وحاولوا إقناعه بأن الرسالة ليست إلا مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة يتلوها الناس في كل وقت صباحاً ومساءً في المصحف الشريف وكتب السنة المطهرة، فكيف يجيز المسؤلون في الرقابة على المطبوعات منع أمر كهذا يساعد الناس على العبادة والذكر؟!.. وانتهى الموقف بعد ذلك بالموافقة على الطبع بشرط أن تحذف من الغلاف عبارة (من رسائل "الإخوان المسلمون").

- **إلى مجلس النواب**

في ظل الظروف القاسية التي فرضت على الإخوان منذ اندلاع الحرب، وإزاء ظروف الكبت والإعنات ومصادرة الحريات والإجراءات التعسفية التي اتخذتها مختلف الوزارات في استخذاء تنفيذاً لأوامر السفير البريطاني المتربع على عرش البلاد في قصر الدوبارة، اتجهت أنظار الإخوان إلى منبر كانت تعلق فيه شكاية أهل الحق في ذلك الوقت وهو منبر مجلس النواب حيث تنشر الصحف ما يدور في جلساته من مناقشات واستجوابات، ولذلك قرر المؤتمر السادس "للإخوان المسلمون" المنعقد في يناير سنة 1941م أن يؤذن لمكتب الإرشاد العام أن يتقدم بالأكفاء من "الإخوان المسلمون" إلى الهيئات النيابية المختلفة صوت الدعوة وليعلنوا كلمة الجماعة فيما يهم الوطن.. وكانت هذه أول مبادرة للإخوان إلى اقتحام ميدان الانتخابات العامة.
وفي مارس سنة 1942م تقدم الأستاذ المرشد ورشح نفسه في دائرة الإسماعيلية، واكتفى الإخوان بترشيح المرشد فقط عملاً بسنة التدرج في الخطوات.
وفي الإسماعيلية استقبل الأستاذ البنا من الأهالي هناك بكل مظاهر الحفاوة والترحيب، وسرعان ما انتشرت الإعلانات واللافتات التي تحمل عبارات التأييد مثل:

- انتخبوا رجل الدعوة الإسلامية في القرن العشرين.
- مرحباً بحسن البنا داعية الإسلام.
- الإسماعيلية ترحب بقائد النهضة الإسلامية.

... وهذه مشاعر طبيعية، فالإسماعيلية هي مهد الدعوة ورافعة لوائها ومنها انطلقت أولى كتائبها.
وصدرت مجلة (الإثنين) في هذا الوقت وفي إحدى صفحاتها "روبرتاج" عن ترشيح حسن البنا عن دائرة الإسماعيلية بقلم الأستاذ مصطفى أمين على نفس الصفحة صورة فوتوغرافية للأستاذ البنا في موقف خطابي رائع يسبح في آفاق من السمو ويحلق بالجماهير في سماء من الصفاء والأخوة والحب في الله، وتحدث الأستاذ مصطفى أمين عن روعة استقبال الشعب في الإسماعيلية للأستاذ وكيف أنهم دفعوا له قيمة التأمين، وختم حديثه بقوله: (إن مستقبل هذه الجماعة ليفوق حساب كل متفائل..).
ونشط الأستاذ البنا في زياراته بدائرة الإسماعيلية، يخطب ويحاضر، ويقوم بزيارات للأسر والعائلات والجماعات المختلفة...

- **التنازل عن الترشيح**

وفي غمرة هذا الشعور الفياض وهذه المظاهرات الجارفة والأفراح الزينات التي تلألأت بها المدينة دعا الأستاذ النبا إلى مؤتمر عقد بالشارع الثلاثيني بعد صلاة العشاء أعلن فيه عن المفاجأة التي أذهلت الناس وهي تنازله عن الترشيح حيث قال إنه قد رشح نفسه عن الإسماعيلية بناء على طلب الإخوان (ولقد جئت اليوم لأضع أمام الإخوان هذه التطورات الجديدة، فقد دعاني مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة إلى مكتبه وطلب مني ضرورة أن أتنازل عن ترشيح نفسي عن دائرة الإسماعيلية، فلما سألته عن الأسباب المبررة لهذا الطلب، قال لي البلد في حالة حرب، ومصلحة البلد أن تتنازل، فقلت له: ألا يكفي أن الحكومة قيدت خطواتي ولا تسمح لي بالسفر خارج القاهرة إلا بإذن من وزارة الداخلية وأن الدعوة بهذه الصورة لا تجد مجالاً للانطلاق، فيكون التنازل عن الترشيح حجراً على الدعوة والداعية فقال: إنه في حالة قبول التنازل، لا مانع عندي من أن يكون لك حرية الدعوة في كل مكان.. وأمام هذا التصريح وافقت على أن أتنازل عن ترشيح نفسي).

فتعالت الهتافات غاضبة من كل مكان، ولكن الأستاذ المرشد قال: (أيها الإخوة المسألة أولاً وأخيراً مسألة دعوة وليست مسألة أشخاص، ولقد تأسيت في هذا الموقف بموقف رسولنا صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية يوم رأى الصحابة رضوان الله عليهم أن لا يعطوا الدنية في دينهم، ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم رأيا يخالف رأيهم، وأثبتت الأيام صحة ما استقر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، ونحن لسنا طلاب مراكز ولم نرد من الترشيح إلا أن نجد منبراً نعلن فيه عن دعوتنا ونقول فيه كلمة الحق، فإذا تيسر لنا ذلك على أوسع مدى في حدود الظروف نكون قد وفقنا إلى أحسن الحلول وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله).

ثم قال: أيها الإخوة ننتقل إلى معنى آخر، تعلمون أن هناك حرباً ضروساً تأكل الأخضر واليابس، ونحن نعيش على أطراف هذه الحرب، واعتقادي أن الله تعالى قد صنع هذه الحرب لصالح العرب والمسلمين، وأذكر أنني كنت في سفر فرأيت بعض الفلاحين يشعلون النار في أراضيهم الزراعية فلما سألت عن السبب قيل لي: إن هذه الأرض قد شاخت وتعذرت زراعتها والحريق يجدد تربتها، وتذكرت في الحال أن هذه الحرب لا بد أن فيها خيراً إما أن تصلح من طبيعة الغرب فتعيد إليه رشده وترد إليه عقله فيخرج من بلادنا إلى غير عودة، وإما أن تكون ناراً عليهم ونوراً يضيء لنا الطريق..

أيها الإخوة: إن تفاوت التوازن بين قوة البلاد العربية والإسلامية وقوة الدول الغربية الاستعمارية لا تعطي فرصة للتحرر والخلاص، فكانت هذه الحروب إرادة ربانية ليذيق الله الغرب بعضهم بأس بعض، فيشتت شملهم ويضعف قوتهم وينهي دولتهم.. وبهذا يكون هناك شبه توازن في القوى بين الشرق والغرب.. والذي يهمنا الآن هو أن توجد قيادة إسلامية تستفيد من هذه الظروف العالمية التي نادراً ما تتحقق، فتتوحد كل الجبهات الإسلامية في وجه فلول الاستعمار، فتخرج بريطانيا من مصر وفلسطين والسودان والعراق، وتغادر فرنسا سورية ولبنان وبلاد المغرب، وتذهب إيطاليا من ليبيا إلى غير رجعة، وتعود الهند وأندونيسيا وأفريقيا وغيرها بلاداً إسلامية ترفرف عليها راية القرآن.

أيها الإخوة: لا تظنوا أن هذا خيال أو محال.. إنه حقيقة مستقرة في قلوب المؤمنين، وإن كنتم في ريب من ذلك، فلقد قرأت اليوم على أثر اقتحام الجيش الألماني (خط ماجينو) وتغلغله في فرنسا.. قرأت أن (بيتان) زعيم فرنسا ورئيس حكومتها أمر قائد الأسطول البحري الفرنسي أن يدخل في وسط البحر الأبيض المتوسط ويدمر الأسطول كله، خوفاً من أن يستولي عليه الجيش الألماني ويستعمله في حرب بحرية ضد انجلترا حليفة فرنسا.. وقام القائد الفرنسي بتنفيذ المهمة بنجاح.

أيها الإخوة: في ختام كلمتي هذه نقرأ معاً قول الله تعالى: (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) [الحشر: 02].

أيها الإخوة الفضلاء: هذه بيوتهم يخربونها بأيديهم، بقي أيدي المؤمنين (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) [المجادلة: 21].

وانفض هذا الاجتماع الخطير بهدوء وسلام.. وعاد الأستاذ البنا إلى القاهرة ليرسم خطة مرحلته الجديدة على ضوء ما وعده النحاس باشا، وأخذ يجوب البلاد طولاً وعرضاً داعياً إلى الله دون أن يترك لحظة من حياته المباركة إلا ويمضيها عاملاً لخير دعوته.. فكانت الفترة الزمنية ما بين عام 1942م إلى نهاية عام 1948م من أكثر فترات الدعوة بركة وأنجحها في تاريخ الدعوة، حيث أتيح للإمام أن يسابق الزمن في الوصول بالدعوة الإسلامية إلى مضمونها الكامل في كل مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية.

- **لماذا الانتخابات**

وعضوية مجلس النواب؟

في توضيح عن أسباب اشتراك الإخوان في انتخابات ملجس النواب كتب الإمام البنا مقالاً نشر بمجلة (الإخوان) قال فيه: (تساءل بعض الناس لماذا يشترك الإخوان المسلمون في الانتخابات؟ والإخوان المسلمون كما عرف الناس وكما أعلنوا عن أنفسهم مراراً جمعية للخدمة العامة ودعوة إصلاحية تجديدية تقوم على الإسلام وتعاليمه، فأما أنهم جمعية للخدمة العامة فذلك هو الواضح من ممارستهم في شعبهم لأنواع هذه الخدمة من ثقافة وبر وإحسان ورياضة وإصلاح بين الناس وإقامة للمنشآت ما بين مساجد ومعاهد ومشافي وملاجئ في حدود طاقتهم ومقدرتهم.

وأما أنهم دعوة إصلاحية فذلك لب فكرتهم وصميمها أن يعود المجتمع المصري والمجتمعات الإسلامية كلها إلى تعاليم الإسلام وقواعده التي وضعها في كل شئون الحياة العملية للناس، ومن البديهي الذي لا يحتاج إلى بيان أن الإسلام ليس دين عقيدة وعبادة فقط، ولكن دين الله عقيدة وعبادة وعمل تصطبغ به الحياة في كل مناحيها الرسمية والشعبية، أولئك هم الإخوان المسلمون جمعية ودعوة.. والدعوة لب فكرتهم وثمرة جهادهم والهدف السامي لكفاحهم الطويل من قبل ومن بعد. وعماد الدعوة لتنجح وتظهر تبليغ واضح دائم يقرع بها أسماع الناس، ويصل بها إلى قلوبهم وألبابهم، وتلك مرحلة يظن الإخوان المسلمون أنهم وصلوا بها في المحيط الشعبي إلى حد من النجاح ملموس مشهود، وبقي عليهم بعد ذلك أن يصلوا بهذه الدعوة

الكريمة إلى المحيط الرسمي، وأقرب طريق إليه، منبر البرلمان (فكان لزاماً على الإخوان أن يزجوا بخطبائهم ودعاتهم إلى هذا المنبر لتعلو من فوقه كلمة دعوتهم وتصل إلى آذان ممثلي الأمة في هذا النطاق الرسمي المحدود بعد أن انتشرت فوصلت إلى الأمة نفسها في نطاقها الشعبي العام)..

واستطرد فضيلته بعد ذلك مبيناً الفوائد التي ستعود على الإخوان من هذه الخطوة ومنها نشر الدعوة (في المحيط الذي تعترك فيه الفكرة وتشتجر فيه الآراء، وأن يفهم الناس أن دعوة "الإخوان المسلمون" (لا تقف عند حدود الوعظ والخطابة ولكنها تحاول أن تشق طريقها إلى المنابر والمجتمعات الرسمية، وأن على المؤمنين بهذه الدعوة أن يهيئوا أنفسهم لهذا الميدان، وأن يستعدوا لخوض غماره).

وبعد أن أجاب في مقاله عن بعض التساؤلات التي تتعلق بهذا الموضوع، أجاب عن سؤال أخير عن ماذا يفعل الإخوان في اليمين الدستورية – إذا نجحوا – وفيها النص على احترام الدستور، في حين أن هتافهم "القرآن دستورنا"؟؟ فقال: (الجواب عن ذلك واضح مستبين، فالدستور المصري بروحه وأهدافه العامة من حيث الشورى وتقرير سلطة الأمة وكفالة الحريات لا يتناقض مع القرآن، ولا يصطدم بقواعده وتعاليمه وبخاصة وقد نص فيه على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، وإذا كان فيه من المواد ما يحتاج إلى تعديل أو نضوج، فقد نص الدستور نفسه على أن ذلك التعديل والنضوج من حق النواب بطريقة قانونية مرسومة، وتكون النيابة البرلمانية حينئذ هي الوسيلة المثلى لتحقيق هتاف الإخوان)[52].

- **الترشيح مرة ثانية**

وفي وزارة أحمد باشا ماهر سنة 1945م..

عاد الإخوان في الإسماعيلية إلى ترشيح الأستاذ البنا للمرة الثانية، وازدحمت المدينة بوفود الإخوان من كل بلاد القطر وامتلأت المساجد والمدارس الأهلية والمنازل بالوافدين، وعلت الهتافات الإسلامية على كل لسان حتى ألسنة الأطفال أينما وجدتهم، وارتفعت الأعلام في المدينة وامتلأت باللافتات والإعلانات والمنشورات، وسارت المظاهرات الإسلامية بالدراجات والموتوسيكلات والسيارات التي تحمل الشعارات، وانعقدت المؤتمرات التي خطب فيها حسن البنا، فكانت صورة شعبية رائعة لممارسة الإخوان أساليب الحياة السياسية والاجتماعية.

وقد أصدر الأستاذ البنا منشوراً انتخابياً يقول فيه بعد المقدمة: (عرفت فيكم بحمد الله[53] صدق الدين وقوة اليقين وتأييد العاملين، فاستخرت الله تبارك وتعالى وتقدمت مرشحاً نفسي لعضوية مجلس النواب عن دائرتكم الكريمة لأعمل في هذا الميدان على ما فيه حفظ حقوق الوطن العزيز وصلاح المجتمع المصري والرجوع به إلى هدى الإسلام الحنيف وتعاليم القرآن الكريم التي يسعد في ظلها المسلمون وغير المسلمين من أبناء هذا الوطن المبارك، فما بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا رحمة للعالمين والتي تدعو إلى الجماعة والوحدة وتنظر إلى المخالفين نظرة البر والإحسان (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) [الممتحنة: 08]. تقدمت لتظهر الفكرة الإسلامية في هذا الوسط الذي بيده مقاليد التشريع لهذه الأمة العزيزة ولتلتفت إليها أنظار النواب وهم خلاصة أعيان البلاد فنعمل جميعاً على أن تعود الأمة إلى هدى الإسلام ونظام الإسلام وسأطالب باسمكم بالأمور الآتية إن شاء الله:

1- إصلاح المدرسة المصرية بوضع سياسة ثابتة للتعليم ترتكز على تعاليم الإسلام وقواعد التربية الوطنية الصحيحة.
2- إصلاح المحكمة المصرية باستمداد القانون من وحي السماء ومن وضع الله لا من شهوات الناس وأهوائهم وبذلك يسود الأمن وتنزوي الجريمة وتقام حدود الله.
3- إصلاح تعليم الفتيات والقضاء على هذا التيار الفاسد من التبرج والاختلاط والخلاعة مما أدى إلى تحلل روابط الأسرة المصرية.
4- إصلاح منابع الثقافة العامة من الصحف والجرائد والمجلات والإذاعات.
5- محاربة المنكرات التي حطمت أرواحنا وأجسامنا وذهبت بعقولنا وأموالنا وأوجبت سخط الله ونقمته من الزنا والبغاء والخمر والميسر والمراقص ودور اللهو الخليع محاربة مثمرة باسم القانون والنيابة.
6- رفع مستوى المعيشة في طبقات الشعب المظلومة بتنظيم الزكاة ومقاومة الربا وتمصير الشركات ومقاومة البطالة وإنصاف العامل والزارع، والموظف الصغير وتنظيم الضمان الاجتماعي لهؤلاء جميعاً.
7- هذا إلى تقوية روح الاعتزاز بالكرامة القومية وإظهار ذلك في كل المناسبات والحفلات الرسمية والمحافظة الكاملة على حقوق المواطن العزيز وسلامته وحريته واستقلاله.

هذه بعض المطالب التي نلح في إجابتها وسنعمل على تحقيقها بتأييد الله سبحانه..

---

[52] مجلة "الإخوان المسلمون" العدد 1846 ذو القعدة 1363 هـ (4 نوفمبر 1944م).
[53] يقصد أهالي الإسماعيلية.

ويعلم الله ما قصدت بذلك مغنماً دنيوياً من مال أو جاه فذلك كله ظل زائل وعرض حائل وإنما شعرت شعوراً قوياً بأن الكفاح في سبيل هذه الغايات واجب محتوم يفرضه الإسلام على كل مسلم وتقتضيه مصلحة الوطن من كل مصري ولا شك أنكم تشاركونني هذه العقيدة وتمدونني بتأييدكم في العمل لها والله ولي التوفيق، ولست أقصد بذلك تجريح شخص ولا محاربة حزب ولا تنقص زعيم، فالجميع مطالبون بالعمل لهذا المنهاج القويم وأنا بحمد الله أعمل لذلك منذ أكثر من عشر سنوات ولهذا تألفت جماعة "الإخوان المسلمون" في نواحي القطر المختلفة وأعتقد أنه قد جاء الوقت للعمل لهذه الغايات بالوسائل الرسمية في مجلس النواب والقضية لهذا ليست قضية شخصية أو حزبية ولكنها قضية الوطن والإسلام وهو يو له ما بعده إن شاء الله.

وانتهت الانتخابات.. وكانت النتيجة تقضي بالإعادة بين الأستاذ البنا والدكتور سليمان عيد وهو طبيب ولكنه مع ذلك وفي نفس الوقت المتعهد بتوريد جميع أنواع الأغذية إلى قوات الجيش البريطاني في منطقة القناة(!!).

وجرت انتخابات الإعادة في جو لاهب، حيث اكتظت الإسماعيلية بوفود غزيرة من مختلف بلاد القطر، وكانت القطارات التي تمر بالإسماعيلية تحمل الوفود وقد زينت بالورود وسعف النخيل عليها شعارات "الإخوان المسلمون".. وحاصرت قوات الشرطة التي جاءت إلى الإسماعيلية من العاصمة جميع منافذ المدينة، فضلاً عن وجود قوات الاحتلال في حالة استنفار وترقب وتأهب على عكس ما قيل بأن هناك أوامر تمنع نزول قوات الجيش البريطاني إلى شوارع الإسماعيلية أثناء فترة الانتخابات.

وفي صبيحة يوم الاقتراع بالأصوات انتشر الإخوان في كل مناطق الدائرة لمراقبة لجان الاقتراع.. وقبيل العصر فوجئ الإخوان بأفواج من الغرباء عن المدينة ينضمون بتذاكر مزورة إلى صفوف الناخبين من أهل المدينة..

وعندما اكتشف الإخوان التزوير وعرفوا المكان الذي تتجمع فيه هذه الأفواج وهو مخزن كبير للدكتور سليمان عيد منه يتم توزيعهم إلى مقار لجان الاقتراع للإدلاء بأصواتهم المزورة، صدر الأمر إلى الإخوان فتجمعوا حول هذا المخزن بصورة رهيبة تنذر بالخطر، وفجأة اقتحمت بعض سيارات الجيش البريطاني الضخمة الجموع الإخوانية بسرعة شديدة وبلا اكتراث، كما تبعها بعض قوات الشرطة المصرية يطلقون النار على حشود الإخوان، واستطاع بعض الإخوان أن يستولي منهم على بعض الأسلحة، وكادت تقع الكارثة لولا أن أصدر الأستاذ المرشد أوامره إلى الأستاذ سعد الدين الوليلي بأن يصرف الإخوان.

وكان اللواء الإنجليزي (فايزباترك) حكمدار الشرطة المصرية في منطقة القناة قد أسرع إلى الأستاذ المرشد يرجوه أن يرد الإخوان ما استولى عليه الإخوان من سلاح، ولكن الأستاذ كان قد سبقه إلى ذلك حقنا للدماء رغم ما حدث من اعتداء على الإخوان ومحاولة إرهابهم والقبض على بعضهم وتعرضهم لإصابات بالغة.

ويذكر عن الإمام الشهيد رحمه الله أنه كان غاية في رعاية خصمه بحيث لا يقع من أحد الإخوان ما يكدر صفوه أو يسيء إليه، يقول أحد المعلقين الأجانب: لقد كان الإخوان غاية في الحماسة والشدة في سبيل عدم تمكين خصمهم من الوصول إلى غايته عن طريق غير شريف، فكانوا يحاصرون مصنع اللبن وفيه التذاكر المزورة، وكادت تنشب العركة لولا أن جاء هذا الرجل "القصير" – يقصد فضيلة المرشد – ونادى بصوته الحازم: تعالوا.. وسرعان ما انصرفت هذه المجموعات ملبية أمر هذا الرجل.. عجباً، هؤلاء جميعاً يطيعون هذا الرجل القصير؟!

وانتهت أحداث الانتخابات هذه النهاية المؤسفة..

وأرسل الإمام البنا مذكرة إلى أحمد ماهر رئيس الوزراء وعدة برقيات للاحتجاج على التزوير وتصدي رجال الأمن للإخوان!!

وسأل أحد الإخوان الأستاذ المرشد بقوله:

إذا كانت الحكومة لا ترغب في أن تفوز في الانتخابات، فلماذا لم تصارحك، كما فعل ذلك من قبل النحاس باشا عام 1942 م؟؟[54].

قال: لكل حكومة أسلوب وسياسة عمل، وهذه الحكومة لا تريد إخفاء خضوعها للاستعمار. كما أنها تريد في نفس الوقت أن لا تجعل الإخوان في نظر الشعب أبطالاً، وتريد أن توهم الناس بأن الانتخابات حرة نزيهة ليس فيها أي ضغط من الحكومة، في حين أن الاتفاق بينها وبين سلطات الاستعمار على إسقاط مرشح الإخوان تؤيده جميع وقائع الانتخاب.

---

[54] كشف الصاغ محمود لبيب قائد كتائب الإخوان في فلسطين عن الدور الذي لعبته سلطات الاستعمار البريطاني في استخدام السعديين في محاربة الإخوان فيقول: إن قصة العلاقة بين السعديين والإخوان ترجع إلى الأيام الأولى التي أعقبت تولي الحزب السعدي الحكم في أعقاب حكومة الوفد عام 1944م، فقد حلت الحكومة الماهرية البرلمان القائم وقتئذ وشرعت في إجراء انتخابات جديدة، وأراد الأستاذ البنا أن يتقدم للترشيح في دائرة الإسماعيلية مستعملاً حقه الدستوري كمصري، وعلمت أنا أن خطاباً أرسل من السفارة الإنجليزية إلى أحمد ماهر رئيس الوزارة يطلب فيه أن يعمل على منع المرشد من التقدم للانتخابات، وأسرعت بإبلاغ ما علمت إلى المرشد فضحك واستبعد هذه الفكرة، وفي اليوم الثاني طلب ماهر من المرشد أن يقابله فوافاه، وهناك طلب منه أن يسحب ترشيحه، وحاول بمختلف الوسائل أن يقنعه ولكن المرشد أصر على الرفض. ومما قاله له أحمد ماهر: لماذا تتشدد معي وقد قبلت مثل هذا من حكومة النحاس وتنازلت عن ترشيحك؟

فأجابه الأستاذ البنا إن حكومة النحاس كانت تواجه حالة سياسية مضطربة في الداخل والخارج، ولم يكن هناك بد من الإجابة لداعي الوطنية، إذ كانت هناك دعوة إلى توحيد الجهود لا إلى توزيعها لوجود الأعداء داخل الأراضي المصرية.

ولم يتمكن أحد منهما أن يقنع الآخر بوجهة نظره وانصرف المرشد عقب مشادة عنيفة، ص 135 و 136.

ولا زلت أذكر مشهد آخر أمسية سبقت يوم إجراء الانتخابات، حيث عقد مؤتمر ضخم في شارع الثلاثين حضره فضيلة المرشد ومجموعة من النواب الذين فازوا في الدور الأول للانتخابات في البلاد المجاورة جاءوا لتأييد الأستاذ.. ولا زلت أذكر من طرائف هذه الأمسية ذلك الهتاف الجديد (إلى البنا يا برلمان) الذي دوى به كالرعد صوت الأخ المرحوم مصطفى شعبان من إخوان الإسكندرية ورددته الجماهير بوعي وحماس في حين أن هتافنا التقليدي كان (إلى البرلمان يا بنا).. وكان هذا إرهاصاً بما سيؤول إليه أمر هذه الانتخابات من تزييف وتزوير لإرادة الأمة.

وحين أعلنت نتائج الاقتراع عن إقصاء فضيلة المرشد وإنجاح الدكتور سليمان، خرجت الإسماعيلية وقد هزها النبأ عن بكرة أبيها – شيبا وشبابا وأطفالا – في مظاهرة وكأنها البركان في غضبه ونقمته.. خرجت الإسماعيلية تتحدى الطغاة وهي تزأر بهتافات الدعوة الإسلامية مندفعة في صورة رهيبة تنذر بالخطر نحو دار الإخوان، ولم يجد الإمام البنا بدا من الخروج إلى الجماهير خطيباً وبأعلى صوت قال:

"يا أبناء الإسماعيلية الأوفياء.. أيها الإخوان الذين جئتم من كل مكان!

إن هذه الحشود الهائلة بهذه الصورة القوية الرائعة، بهذا الواقع الصادق والحقيقة القائمة لتصم الحكومة بالتزوير والتضليل، وإن الباطل لا يغني عن الحق شيئاً، وإن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة.

وإن عجز أمة عن أن تدفع أحد أبنائها إلى البرلمان ليقول كلمة الحق والإسلام لدليل على أن الحرية رياء وهباء وأن الاستعمار هو سر البلاء.

أيها الإخوة..

إنني أحسب أن مراجلكم تغلي بالثورة وعلى شفا الانفجار، ولكن في هذا الموقف لابد من صمام الأمان فاكظموا غيظكم وادخروا دماءكم ليوم الفصل، وهو آت لا ريب فيه، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله..

ووصيتي لكم أيها الإخوان أن تنصرفوا إلى منازلكم وبلادكم مشكورين مأجورين، وأن تفوتوا على أعدائكم فرصة الاصطدام بكم".

- الاستعمار والاستخراب

في ظل هذه الذكريات المريرة الأليمة التي مازلنا نتجرع كئوسها حتى الآن!!.. فما مسألة الاستقلال والتحرر إلا أكذوبة كبرى وخدعة عظمى، فهذه آثار الاستعمار الخربة المدمرة قد تغلغلت في كل مرافق حياتنا، وما ذلك إلا نتيجة لسياسته في إفساد النفوس وتخريب القلوب والضمائر وتحطيم معاني الرجولة والإنسانية فينا.

.. في ظل الذكريات تحضرني بعض كلمات غالية قالها إمامنا الشهيد رضوان الله عليه في درس من دروس الثلاثاء عن (معنى الاستعمار)، قال:

(إن هناك مظاهر قوة، وعناصر قوة، وأسباب قوة، لا تقوم الأمة ولا تحيا إلا عليها: الغذاء والماء والهواء.. هذه مقومات حياتها فهي تتحطم إذا فقدتها وتضعف إذا نقصت، ولها بجانب هذا أغذية، تتحطم بفقدها وتضعف بقلتها أيضاً:

- أولها: العلم.... ثانيها: المال..
- ثالثها: القوة... رابعها: العدل...

هذه الأربعة لا تستغني عنها أمة، ولا كيان لها إلا بها ولا تحصل الأمة على هذه الأمور إلا إذا كانت حرة طليقة من كل قيد، فإذا وكل أمرها إلى غيرها، استبد بها، فمنع عنها الحقائق، وأعطاها قشوراً لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا يقيم فيها عدلاً، بل يشيع فيها الظلم والخلاف حتى تفسد أخلاقنا فتضعف معنوياتها، ويكثر الملق والنفاق والجبن، لأن الإنسان إذا لم يجد ما يغذي به نفسه، تملق ونافق وضعفت عزيمته، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى: (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) [النمل: 34]..

فجمع القرآن الكريم في هذه الآية مظاهر الاستعمار، بل "الاستخراب"، لأن الاستعمار كلمة تدل على العمار، ومن قبيل هذا ألفاظ تستعمل في هذه الأيام لغير ما وضعت له، من ذلك: الرقص، يسمونه الفن الجميل، والربا يسمونه فائدة، والسكر يسمونه طرافة، والشهوة يسمونها عاطفة..

أقول.. جمع الله تعالى الاستعمار في كلمتين:

1- (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها).

أفسدوها الفساد العلمي، والفساد الاقتصادي، والفساد الصحي، والفساد الأخلاقي.. ومن مظاهره: الذل والفقر والمسكنة..

2- (وجعلوا أعزة أهلها أذلة)..

فإذا فقد الإنسان عزته، وكان أمره فرطا، فقد كل شيء في حياته، فقد مظاهر الحياة، وكلما ظهرت قوة المستعمر في بلد، كلما ظهر بطشه وغطرسته.. (وكذلك يفعلون)..
سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنه الله تبديلاً..
هذا الاستخراب، كلما دخل بلداً سلب الذمة من أهله، ففسد الخلق وضعفت النفوس، وشاعت المظالم، ومات العلم وفشا الجهل، ثم تتلاشى الأمة بعد ذلك.. هذا هو الاستعمار الحديث، وذلك أثره ومظاهره..
أما الفتح الإسلامي، يوم أن كان الفاتح هو الصحابي، وفي يده المصحف، وفي قلبه النور والإيمان، ولا رغبة له في دنيا يصيبها ولا امرأة ينكحها، فهو العمار بعينه.. كلما دخل بلداً يقول: لماذا استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً..
إن الله تعالى بعث محمداً هادياً، ولم يبعثه جابياً..
في تلك الأيام رأت الدنيا استعماراً حقاً، أيام أن كان لتأدية الرسالة وتبليغها، ولما صار ملكاً عضوضاً، فسدت الدولة.. وهناك فارق بين استعمار الرسالة واستعمار الجهالة[55].

- وحي الإسماعيلية

تلك كانت نظرة حسن البنا إلى الاستعمار أوالاستخراب كما كان يسميه وآثاره الوخيمة على الشعوب التي تبتلى به.. فماذا كان يبعث في نفسه؟.. وبماذا أوحت إليه الإسماعيلية عندما نزل إليها لأول مرة؟
يقول رحمه الله في مذكراته:
"كان للإسماعيلية وحي عجيب، فهذا المعسكر الإنجليزي في غربها ببأسه وسلطانه وهيمنته وهيلمانه، يبعث في نفس كل وطني غيور الأسى والأسف، ويدفعه دفعاً إلى مراجعة هذه الاحتلال البغيض، وما جر على مصر من نكبات جسام، وما أضاع عليها من فرص مادية وأدبية، وكيف كان الحاجز الوحيد دون نهوضها ورقيها والمانع الأول من وحدة العرب واجتماع كلمة المسلمين طوال ستين سنة.
وهذا المكتب الأنيق الفخم، مكتب إدارة شركة قناة السويس في بهائه وروعته وسلطانه وسطوته، واستخدامه للمصريين ومعاملته إياهم معاملة الأتباع المضطهدين، وإكرامه للأجانب ورفعه إياهم إلى مرتبة السادة والحاكمين، واستئثار هذا المكتب بالإشراف التام على المرافق العامة، فالنور والمياه والنظافة، وكل ما هو من شأن المجالس البلدية تقوم عليه الشركة، حتى الطرق والمداخل التي توصل إلى الإسماعيلية البلد المصري الصميم كلها في يد الشركة، فلا دخول إلا بإذنها ولا خروج إلا بموافقتها.
وهذه المنازل الفخمة المنتشرة في حي الإفرنج بأكمله، ويسكنها موظفو الشركة الأجانب، وتقابلها مساكن العمال العرب في ضآلتها وصغر شأنها والشوارع الأنيقة في حي العرب كلها تحمل لوحات لم تكتب إلا بلغة هذا الاحتلال الاقتصادي الجاثم على صدورها، حتى شارع المسجد كان مكتوباً هكذا RUE DE MOSQUÉE ذلك إلى تخليد الأسماء الأجنبية على هذه اللوحات "نجرللي"، "لبير"، "أوجيني" إلخ..
كل هذه المعاني والخواطر، كانت تتفاعل وتعمل عملها في النفس، بخاصة إذا خلا المتأمل فيها بنفسه، بين خمائل الإسماعيلية، وحدائقها الغناء، أو في شاطئ بحيرة التمساح الجميلة، أو في جوف الغابات الصناعية على حافة الصحراء..
لقد أوحت الإسماعيلية بالكثير من المعاني، التي كان لها أثر كبير في تكييف الدعوة والداعية[56].

- يوم الجلاء

وأعلن حسن البنا الثورة على الاستعمار، فالإخوان المسلمون هم الفئة الوحيدة على الساحة السياسية في مصر التي لا تمالئ ولا تهادن، وهم القوة الوحيدة على أرض الوطن القادرة على المواجهة، وهم أمل وحيد لأمة حيرى تبحث عن القيادة الصادقة والزعامة الحقيقية..
انظر يا أخي في صحافة مصر في هذه الأيام..
واقرأ حديث مجلة "آخر ساعة"[57] المستفيض مع الإمام البنا تحت عنوان:
"شعارنا سيفان.. دستورنا القرآن".
"هبي يا رياح الجنة على رهبان الليل وفرسان النهار".
يقول الكاتب:

---

[55] نظرات في النفس والمجتمع للإمام الشهيد – تسجيل أحمد عيسى عاشور – مكتبة الاعتصام ص 182 – 183.
[56] مذكرات الدعوة والداعية ص 75.
[57] عدد 5 مارس سنة 1946 والحديث لمحمد التابعي.

"رأيت الأستاذ حسن البنا المرشد العام "للإخوان المسلمون" منذ عامين مرتين: رأيته في الأولى يخطب جماعة من طلبة الطب، ورأيته في الثانية يناقش مجموعة من الشبان المثقفين، ورأيت سامعيه في الحالتين يقابلونه بالابتسام والضحك والسخرية بل والصفير، ولكنه تكلم وخطب وسيطر، وانتصر بسهولة على معارضيه في كلتا الحالتين.
رأيته فيهما صامتاً ورأيته يتكلم.. وجهه على الحالين مشوب بمسحة وقار لطيف، حاد الملامح، بيِّن التعابير، تحت جبين عريض لماح بقبس من الذكاء، يقتعد وسطه "زبيبة صلاة" كبيرة من أثر السجود.
عيناه هادئتان بسيطتان في بساطتهما لمحة من "عيون المقطم" تحسبها قليلة الغور، فإذا ألقيت فيها الحجر، ظل يتدحرج، ويتدحرج، وتتعاقب الثواني على صوته وهو يتدحرج، ويفني الصوت وهو ما زال يتدحرج إلى غير قرار.
دائم الابتسام، فاره القامة، رحب الهيكل، يبدو قوياً كشجرة السنديان، في صوته عمق وعرض وطول، وللسانه سحر إذا تكلم يتلاعب فيه بالألباب، والأحاديث وأمجاد الجهاد الإسلامي يطلقها من فمه كالمدفعي الماهر، في أنسب وقت وأنسب مكان، فيكون لها فعل القذائف في معارضيه.
ترى هل يمكن أن تتألف من مجموعة هذه الألوان والخطوط صورة زعيم!

***

على أي صوت تستيقظ مصر هذه المرة..
من أي باب تهب رياح الفجر الوليد..
من أي دم تكتب مصر عندما تفيق صفحتها المجيدة الجديدة في تاريخها الحديث يقولون: إن علم هذا عند الله وعند جماعة "الإخوان المسلمون" فمن هم الإخوان المسلمون؟
هؤلاء الذين يزعم الرواة أنهم وراء كل مظاهرة وكل حركة إضراب، وأنهم القوة المحركة الدافعة لهذه الفورة الجديدة التي توجه الشعور الوطني هذه الأيام.
وأنهم استطاعوا في يوم واحد أن يوزعوا مائة ألف شارة من شارات الجلاء وأن يعلقوها على صدور مائة ألف مصري رشيد.
من هم هؤلاء الإخوان؟

***

مدرس خط ومع ذلك فإن خطه بشهادته هو نفسه ليس جميلاً بل ولا مقروءاً، وزعيم لمليون من الصريين ولكنه بشهادته هو أيضاً ليس زعيماً وإنما هو مدرس فقط، ولعل هذا هو مصدر لقبه الرسمي وهوالمرشد العام.
أما الإخوان – أعني الجمعية نفسها – فهي شعار مكون من سيفين متقاطعين بينهما مصحف كتبوا تحته كلمة (وأعدوا).
ثم المرشد العام: ذلك الرجل الملتحي ذو العينين البراقتين والصوت الحازم القوي المكين، وليس هناك بعد ذلك إلا مليون رجل فقط على استعداد لبذل آخر قطرة من دمائهم عندما يأمر بذلك المرشد العام.
وهذا هو كل شيء.
سألت الأستاذ حسن البنا المرشد العام عن السيفين فقال:
هما رمز الجهاد.
والمصحف؟
دستوره.
قلت: والكلمة المكتوبة بين السيفين: (وأعدوا).
قال: هي الكلمة الأولى من الآية الكريمة:
(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) [الأنفال: 60] ولم نستطع أن نكمل الحديث لأن خمسة آلاف من أنصاره جاءوا يتلقون تعليماته بعد حوادث يوم الجلاء.
ويظهر أن ميزة الرجل الكبرى هي أنه يعرف كيف يخاطب الناس وكيف يلهب شعورهم.
والذي يسمعه وهو يقول لهم: "اسمعوا يا خير أمة أخرجت للناس" أو يناديهم "اسمعوا يا جند محمد، ويا جيش الخلاص، ويا كتائب الإنقاذ، ويا رهبان الليل وفرسان النهار".
الذي يسمعه وهو يقول هذا ثم يسمعهم يجيبون عليه بدوي كهزيم الرعد "الله أكبر، الله أكبر، وللمؤمنين النصر" يدرك فوراً أن هذا الرجل أوتي قدرة خارقة على فهم نفسية الجماهير، وكيف يلهب مشاعر الجماهير.
وتسمع الشيخ بعد هذا يحدثهم عما جرى أخيراً فيقول: إنه يأسف لأنه كان يريدها مظاهرات سلمية، لا لأنه يعتقد أن حقوق مصر تنال بالمظاهرات السلمية فقط، ولكن لأنه يرى أن الوقت لبذل الدم لم يحن بعد، وأن كل القوة وكل البأس يجب أن يدخرا ليوم الدم. ولكنه مع أسفه لهذه الحوادث يؤمن بأن هذه هي إرادة الله وما يريد الله إلا الخير للعباد.

وتسمع بعد ذلك هزيم الرعد "الله أكبر ولله الحمد" ويسكت المرشد فترة ثم يقول:
والآن يا شباب انصرفوا إلى أعمالكم، وسوف تصلكم تعليماتي بالطريقة المعتادة، أيها الإخوة الأعزة الفضلاء.
وفي دقيقة واحدة ينصرف الخمسة آلاف ويعود إلينا الأستاذ حسن البنا يتخذ مجلسه بيننا كأنما لم يحدث شيء.
وكأنه لم يكن منذ لحظة يلعب[58] بعواطف خمسة آلاف، من رهبان الليل وفرسان النهار.
وتحدث إلينا بعد عودته فقال:
- لا أستطيع أن أحدد متى وكيف نشأت الدعوة، فهناك أفكار تنشأ مع الإنسان يوم ينشأ، على أنها برزت عقب تخرجي من دار العلوم في شعبتين: إحداهما في الإسماعيلية حيث كنت أقيم والأخرى في شبراخيت.
قلت: وكم عدد الشعب المنتمية للجمعية الآن؟
قال: في مصر ألف وخمسمائة شعبة تضم مليونا من الإخوان، ولنا شعب أخرى في الشرق كله تجعل منا مليونا ونصف مليون من الإخوان العاملين، عدا الإخوان المناصرين وهم كثيرون، يؤمنون جميعاً مثلنا أنه يجب أن تكون لنا فلسفة روحية مستمدة من تعاليم الإسلام الغراء.
قلت: ولكنكم دون شك تحولتم في السنوات الأخيرة إلى ناحية النشاط السياسي.
قال: النشاط الوطني تقصد، فمالنا بالسياسة علاقة، لقد حرصنا دائما على ألا نحتك بالأحزاب ولا بالهيئات، فلما نشبت الحرب حرصوا هم على أن يحتكوا بنا، وتولدت من الاحتكاك "الشرارة" التي لفتت إلينا الأنظار.
قلت: هل تشترك في الانتخابات إذا أجريت انتخابات جديدة؟
قال: نعم.
قلت: وهل تضمن النجاح؟
قال: أستطيع في انتخابات حرة أن أحصل على أغلبية ساحقة، هذا لو أنني أردت ذلك ولكنني في الواقع لا أريده، فمكاننا في صفوف الشعب أكثر منه في صفوف الحكام، ولهذا لن نتقدم إلا في عدد صغير من الدوائر.
قلت: هل معنى هذا أنك لا تقبل رئاسة الوزارة إذا عرضت عليك؟
قال: بل أقبل، والحكم ليس متعة وإنما هو جهاد. فأنا إن قبلته فإني أقول للإنجليز إما أن يتم الجلاء وإما – وهذه أقولها للمصريين – "أيتها الأمة جاهدي فالجهاد سبيلك الوحيد". لقد سألت النقراشي باشا يوما أن يطالب بالجلاء صراحة، فإن ماطل الإنجليز فلا يستقيل، وإنما ينتضي السيق ويقود الأمة في ميدان الجهاد.
قلت: وهل كنت تتعاون معه؟
قال: أنا وراء كل رئيس وزراء يدعو إلى الجهاد.
قلت: هل عندك قوة؟
قال: عندي مليون.
قلت: السلاح؟
قال: سلاحنا الإيمان.. وكل أخ من الإخوان يؤمن بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يجاهدون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وستجدنا يوم الجهاد نستقبل الرصاص صائحين: هبي يا رياح الجنة.
قلت: وهل عندك المال؟
قال: نحن أفقر جمعية وأغنى جمعية، مالنا الرسمي اشتراكات الإخوان ومالنا الحقيقي خزائن الإخوان، أردنا شراء هذه الدار ولم يكن في خزائن الجمعية من ثمنها شيء، فدفع الإخوان ستة عشر ألف جنيه في يوم واحد[59]، وأعلنا في أول فبراير عن حاجتنا إلى جريدة ودار للنشر ومطابع قدرنا ثمنها بربع مليون جنيه لتكون أكبر مؤسسة من نوعها في الشرق. فدفع الإخوان في أسبوعين مائة وعشرين ألف من الجنهيات!!
قلت: هناك عدة أشياء لا تعجبني فيكم.
قال: ما هي؟
قلت: الدعوة الدينية فإنها تمزق وحدة الأمة.

---

[58] تعبير دارج عند الصحفيين والسياسيين، وغير مقبول في العرف الإسلامي..
وما كان حسن البنا سياسيا يلعب بعواطف الجماهير وهو الذي يعمل على أن يغرس فيهم مفاهيم وقيم الإسلام ومنها أن القلوب لا يملك حركتها إلا الله ومن يظن أنه يستطيع بخطبة أو بمقالة أن يحرك قلبا فقد أشرك.
[59] كان هذا سنة 1943م.

قال: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهوم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) [الممتحنة: 08].
قلت: ولماذا تطلبون من الأعضاء أن لا يكثروا من الجدل.
قال: لأن المراء لا يأتي بخير.
قلت: ولماذا تطلبون منهم أن لا يكثروا من الضحك والمزاح.
قال: لأن القلب الموصول بالله ساكن وقور، ولأن الجد وحده هو شعار الجهاد.

- منطق المؤمنين

والسؤال الآن.. كيف أيقظ حسن البنا أمته وحول روح اليأس فيها إلى أمل، حتى أصبحت مستعدة لمواجهة الإمبراطورية التي لا تغيب عن مستعمراتها الشمس، وأصبحت لا تخاف جنود الاستعمار، فإما الجلاء التام وإما الموت كراماً شهداء؟
بمنطق المؤمنين الواثقين في نصر الله.
بهذا المنطق وحده بعث حسن البنا روح الجهاد في أمته، ونقل القضية الوطنية من مائدة السياسيين والتجار وأصحاب الأهواء المتفرقة إلى ميدان المجاهدين أصحاب البذل والتضحية.
أنظر إليه وهو يقول[60]:
وجه إليَّ أحد الإخوان هذا السؤال: هذه هي المفاوضات بيننا وبين الإنجليز، تسير في طريق ملتو متشعب لا أول له ولا آخر، وها هم أولاء يراوغوننا على عادتهم، ويؤخرون البت في قضيتنا حتى يفرغوا من مشاكلهم وستضيع منا الفرص فرصة بعد أخرى، من مؤتمر الصلح إلى مجلس الأمن إلى هيئة الأمم، فماذا ننتظر بعد ذلك؟
فقلت: وليكن ذلك، لن يضرونا إلا أذى، وكل الوقت للمؤمن فرصة طال الزمن أو قصر.
ووجه إليَّ آخر في نفس المجلس سؤالاً ثانياً فقال: وها هي إنجلترا جادة في أن تصرف أنظار الناس في قضية فلسطين إلى مشروع التقسيم البغيض الذي لن يقبله عربي واحد، ولن يوافق عليه مسلم واحد من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي، كما أنها هي وحليفتها أمريكا، لا زالتا تحاولان إتخام الأرض المقدسة بالمهاجرين من اليهود سراً وعلانية، حتى يتم لهم ما قرروا من إدخال مائة ألف يهودي إليها ونحن قاعدون، فهل تودون أن ننتظر متفرجين حتى تغص فلسطين بهؤلاء الأفارقين؟
فقلت: وماذا يضيرك؟ ألا تحفظ جواب الإسكندر: إن الجزار الماهر تسره كثرة الغنم.
وانفض المجلس، وخلوت إلى نفسي أفكر فيما سمعت وقلت، ودارت بخلدي هذه الخواطر: إننا معشر العرب والمسلمين في أنحاء الأرض، نطلب حقاً مقرراً لنا، مقدساً عندنا، وعزيزاً علينا، فنحن نطلب الحرية، وهي للإنسان كالغذاء والهواء والماء، لا يمكن أن نعيش بغيرها ولا أن نحيا بدونها ونطلب الوحدة والارتباط والتجمع، وأن تزول من بيننا هذه الحواجز الصناعية والحوائل السياسية التي مزقت بها وحدتنا يد المطامع والأهواء في حوادث التاريخ المتعاقبة، ووحدتنا من صنع الله لنا، قررها القرآن وأكدها الإيمان، ومهدت لها طبيعة أرضنا، وثبتتها شركة تاريخية في المصالح والآلام والآمال، هي أبقى على الزمن الباقي من الزمن.
ونطلب بعد هذين الحقين أن يفسح لنا المجال بين الأمم العاملة لنقول كلمتنا وإنها لحق، ولنبلغ رسالتنا وإنها لخير، ولنساهم في بناء العالم وإن ذلك لعدل وإنصاف.
ذلك ما نرجو من مطالب، وما نجاهد في سبيله من حقوق لا بغي فيه ولا عدوان، ولا جحود ولا نكران، وليس فيه من الباطل مثقال ذرة.
ولهذا نحن مؤمنون أعمق الإيمان بأننا سنفوز في نضالنا وسننتصر في كفاحنا لأننا على الحق والحق باق خالد ولا قيام للباطل إلا في غفلة الحق.
ونحن معشر العرب والمسلمين، نؤمن بكتاب كريم، وعدنا ربنا فيه بأنه سيضاعف الأجر ويجزل المثوبة للذين يجاهدون في سبيل الحق، فمن قال كلمة أو أنفق نفقة، أو احتمل مشقة أو شاكته شوكة، أو مسه جوع أو نصب، أو لقي في جهاده أقل عناء، فذلك كله عند ربه يسجله له ويجزيه به ويثيبه عليه: (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين. ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) [التوبة: 120-121].
ونحن معشر العرب والمسلمين، نعتقد أن أول البدهيات في إيماننا، وحجر الزاوية في عقيدتنا أن لنا ربا عظيما قويا قادراً، بيده ملكوت كل شيء، له التصرف والملك والخلق والأمر من قبل ومن بعد: (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام

---

[60] هذا الكلام نشر في الباب الأسبوعي المعروف باسم "حديث الجمعة" بجريدة الإخوان اليومية.

ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) [الأعراف: 54]، (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) [التوبة: 51].
فالرزق والأجل، والنفع والضر، والحياة والموت، والمرض والشفاء، كلها بيده، يصرف الله الناس فيها كيف يشاء، فلن يموت أحدنا إلا بأجله (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) [الأعراف: 34].
ولن ينقص الله أحدا شيئا من رزقه (وفي السماء رزقكم وما توعدون) [الذاريات: 22].
ولن تمتد إليه يد بنفع أو ضر، إلا بقضاء الحق وقدر سبق "جَفَّتِ الأقلامُ وطويت الصحف"، ولقد عاتب القرآن بعض الضعفاء وكشف عن خبيئة الضعف في أنفسهم، فقال: (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر من شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور) [آل عمران: 154].
وقد وعدنا هذا الرب الجليل الكبير العظيم.. والذي بيده ملكوت كل شيء.. والذي له جنود السموات والأرض.. والذي لا يعلم جنوده إلا هو.. والذي أحاط بكل شيء علما وعداً لن يتخلف: أنه ينصر عباده المؤمنين، وعدهم بتأييده الغالب ما جاهدوا في سبيله واستقاموا على الحق الذي رسم لهم (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) [غافر: 51]، (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) [الحج: 40]، (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) [الروم: 47]، (إن ينصركم الله فلا غالب لكم) [آل عمران: 160]، (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [يوسف: 21]، (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) [الأعراف: 128]، (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) [الأنفال: 12]، (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً إن الله سميع عليم) [الأنفال: 17]، (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) [الحشر: 02].
ولم يشترط علينا ربنا لينزل نصره إلا أن نؤمن به وحده، ونعتمد عليه وحده، ونفعل أمره ونجتنب نهيه، ونعد لأعدائنا ما استطعنا من قوة، ليس بلازم أن تكون نظير قوتهم أو مثل عدتهم، فإنما يراد منا ما استطعنا ونرجو من الله بعد ذلك مالا يرجون (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) [النور: 55]، (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) [الأنفال: 60].
ومن هذه المقدمات السابقة: إننا على الحق ولن يضيع الله أجر العاملين للحق، ولن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم، ولن يتخلى عنهم ربهم ويدعهم لأعدائهم وخصومهم، بل النصر حليفهم والعاقبة مكفولة لهم، نستطيع أن نستخلص النتيجة المحققة:
إنه مهما حاول الغاصبون المبطلون وراوغ الدهاة الطامعون، فإننا إلى حقنا واصلون، ولن يغير ذلك شيئاً من النتيجة المحتمة والإرادة المحكمة، ولن تجد لسنة الله تبديلاً..
ذلك منطقنا نحن المؤمنين في سهولته وبساطته ومقدماته ونتائجه وقد عاهدنا الله عهدا لن نخيس به ولن نحنث فيه إن شاء الله، أن نحيا لهذه الحقوق وأن نموت في سبيلها وكلاهما جميل (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) [التوبة: 52].
ولعل من الخير لنا وللقوم ألا يهزأوا بهذا المنطق، أو يضحكوا من هذا الحديث، فليعلمن نبأه بعد حين.. 1هـ.

- **دعاء..**

لذلك كان من أسلحة حسن البنا وأمضاها في معركته الضارية مع الاستعمار وقوات الاحتلال البريطاني دعاء صاغه ليتوجه به المسلمون إلى الله في المساجد عقب الصلاة هذا نصه:
(اللهم رب العالمين.. وأمان الخائفين.. ومذل المتكبرين.. وقاصم الجبارين.. تقبل دعاءنا وأجب نداءنا.. وأنلنا حقنا.. ورد علينا حريتنا واستقلالنا..
اللهم إن هؤلاء الغاصبين من البريطانيين قد احتلوا أرضنا، وجحدوا حقنا، وطغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد اللهم فرد عنا كيدهم.. وفُل حدهم.. ومزق جمعهم.. وخذهم ومن ناصرهم أو أعانهم أو هادنهم أو وادهم أخذ عزيز مقتدر.. اللهم واجعل الدائرة عليهم.. وسُق الوبال إليهم.. وأذل دولتهم.. وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلا على أحد من المؤمنين).

- **يوم الدم..**

في عام 1946 أعلن حسن البنا الجهاد ضد الاحتلال البريطاني..

ولكنه كان يقول لجماهير الإخوان الثائرة الغاضبة: إن الوقت لبذل الدم لم يحن بعد، وكل القوة وكل البأس يجب أن يدخرا ليوم الدم!.. فمتى كان هذا اليوم؟
مارس الإخوان مختلف ألوان الضغط الشعبي على الحكومات المختلفة منذ سنة 1946 لتتخذ موقفاً إيجابياً في القضية الوطنية وتعلن الجهاد على الغاصبين المستعمرين، وبلغ هذا الضغط الشعبي للإخوان أقصى مداه حتى أدى إلى قيام حكومة الوفد في 1951/10/10 إلى إلغاء معاهدة 1936 واتفاقيتي 1899 بشأن السودان، وبذلك وجدت الأمة نفسها أمام الاستعمار وجها لوجه، وأمام يوم الدم..
كانت حكومة الوفد قد ألغت المعاهدة في مظاهرة سياسية دون أن تتخذ للأمر عدته في مواجهة عدد مدجج بالعتاد والسلاح و 80 ألف جندي في منطقة القناة.

حسن البنا.. والصحفي اليهودي جون كيمش

بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها سنة 1945، تناولت وكالات الأنباء عن جون كيمش، وهو مراسل يهودي لوكالة رويتر قوله: إن جماعة فاشيستية في مصر هي جماعة "الإخوان المسلمون" قد انتهزوا فرصة الحرب فقاموا بتدريب جنودهم والاستيلاء على بعض الأسلحة من الجيش البريطاني أثناء معارك الصحراء سنة 1941، ليشنوا بها حرباً على الإنجليز.
وجاء هذا النبأ في الفترة التي حمل فيها الإخوان لواء الحركة الوطنية ضد الاحتلال البريطاني حيث برز شبابهم الجامعي الذي قاد حملات التوعية بالحقوق الوطنية وإثارة المشاعر ضد المستعمر الغاصب محاولاً دفع الحكومة إلى اتخاذ موقف إيجابي يحقق آمال الأمة في الحرية والاستقلال ووحدة وادي النيل "مصر والسودان".
والتقى فضيلة المرشد العام برئيس الحكومة يهيب به أن يعمل بغير تردد وأن يسارع بهذا العمل متى وجد الطريق أمامه ممهدة، وإلا فعليه أن يستنفر الأمة للجهاد ويتقدمها هو في هذه المعركة المصيرية، وليكن على ثقة بأنها جميعاً من ورائه.
وللأسف انحصرت جهود الحكومة في المذكرة المصرية والرد البريطاني عليها، الأمر الذي أثار المشاعر وألهب الأفكار، فخرج الطلاب ليعلنوا احتجاجهم على هذا الموقف المتخاذل، وهم في الطريق إلى قصر عابدين دبرت لهم الحكومة ما يعرف بحادث كوبري عباس[61].
.. في ظل هذه الظروف أصدر جون كيمش تصريحه وطالعه الإخوان وأدركوا ما يرمي إليه من بلبلة الأفكار، فضلا عن التحريض السافر عليهم والتشكيك في نواياهم بالنسبة للحكومة والقصر.
وكان من طبيعة الإمام البنا أن ينظر إلى الأمور من زوايا تختلف عن نظر كثير من الإخوان، فهو دائما يستفيد من الأحداث حتى لو كانت ضد الجماعة، فيحولها في هدوء وحكمة إلى اتجاه يخدم مصلحة الجماعة.. لهذا أسرع فضيلته فدعا رجال الصحافة ووكالات الأنباء العالمية والمحلية[62] إلى مؤتمر صحفي على مائدة شاي بدار المركز العام "للإخوان المسلمون" بالقاهرة، وكان أكثر هؤلاء الصحفيين والمراسلين لم يشاهدوا الإخوان ومرشدهم من قبل.
وحين سري نبأ هذا المؤتمر الصحفي احتشد عدد كبير من الإخوان، ليستقبلوا ضيوفهم أكرم استقبال، فوقف الأستاذ المرشد يتحدث إلى الضيوف باللغة العربية التي يترجمها أحد الإخوة إلى اللغة الأجنبية.. وقف فضيلته يتحدث بنفس الروح والمشاعر التي يتحدث بها إلى عامة الإخوان، شارحاً للحضور دعوة "الإخوان المسلمون" وغايتهم ووسائلهم بلغة بسيطة أفهمتهم أهداف الجماعة.
وكان مما قاله: إن جماعة الإخوان.. جماعة إسلامية تعني بشئون وطنها الإسلامي كله اجتماعياً وسياسياً لأن العدالة والحرية من صميم الدعوة الإسلامية، ولا يتم إسلام المسلم ولا يحقق شريعته إلا بالحرية.
ثم أشار إلى تصريحات جون كيمش فقال: كنا نحب للكاتب أن يتحرى الحقيقة فلا يلجئنا للرد عليه، ولكننا نشكره على كل حال إذ هيأ لنا هذا اللقاء الطيب والتحدث إليكم، فالواقع الذي يؤيده الدليل أن الإخوان لا يوجد عندهم جيش بالمصطلح المعروف، ولكن هناك ما يسمى فرق الكشافة وهي منظمة معترف بها دولياً ومعروف أن مؤسسها هو "بادن باول" وفرق الكشافة الإخوانية مسجلة قانوناً في جمعية الكشافة الأهلية بالقاهرة، وتمارس نشاطها طبقاً للوائح والقوانين، فهي إذن رسمي معترف به من الدولة، ومثل هذه الفرق لا يطلق عليها جيش كما ادعى جون كيمش في رسالته، أما أنه يستعدي علينا الإنجليز وعملاءهم مدعياً أننا نغتصب منهم الأسلحة كي نطردهم بها من بلادنا، فالمعروف أن الإنجليز وأسلحتهم غير مرغوب فيهما على أرضنا، أما وقد وضعت الحرب أوزارها فإنه يتعين أن يخرجوا من بلادنا ويتركوا أسلحتهم لنا، ولهم ثمنها من مبلغ الأربعمائة مليون

---

[61] انظر تفاصيل حادث كوبري عباس في كتاب "الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ" للأستاذ محمود عبد الحليم، الجزء الأول ص 359 – ص 362 / نشر دار الدعوة بالإسكندرية.
[62] من كبار الصحفيين الذين حضروا هذا المؤتمر: (أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام وفكري أباظة رئيس تحرير المصور).

جنيه الذي هو دين لشعبنا على بريطانيا، فإذا لم تفعل بريطانيا ذلك فلتعلم أننا قطعنا العهد مع ربنا على الانتصار لديننا وبلادنا ولتعلمن نبأه بعد حين..
وتناول الإمام البنا بعد ذلك التطورات التي نشأت منذ دخول الإنجليز مصر حتى بلغ هذا الشعب وعيه وقوة عزمه على إجلائهم بما لا يحتمل أي تسويف.
وختم كلمته للضيوف بتقديم الشكر إليهم، ثم دعاهم لزيارة المركز العام وبخاصة المكتبة الإسلامية بالدار وودعهم الإخوان بمظاهر الاحترام والمودة.
وهكذا يستطيع حسن البنا في الوقت المناسب بحاسته المؤمنة أن يعلن عن فكرته ومبادئه الإسلامية بالحكمة ويرد الكيد إلى نحور أصحابه.
ونشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر في 1945/10/03 خلاصة هذا الحديث، فقالت:
(.. وقال أي "الإمام البنا"، إن الدعوة تحض على معرفة الله، والأديان جميعاً تدعو إلى هذه المعرفة، وتحض على السمو بالنفس لأنها من روح الله، وتحض على حب الناس، وتدعو إلى عمل الخير وإلى الإنسانية الشاملة، وإن هذه المبادئ ليس هدفها السياسة، بل إنه يعلن أن الدعوة لا يمكن أن تكون سياسية بالمعنى الذي اصطلح عليه السياسيون.
غير أنه لما كانت هذه الأغراض النبيلة التي يعملون لتحقيقها لا يمكن أن تترعرع إلا في ظل الحرية والعزة والكرامة، فإنهم يلطبون لمصر والبلاد العربية والإسلامية الحرية والاستقلال، إنهم يشتركون في هذا القدر وحده مع السياسيين.
بقي ما قيل من أن فيها تعصباً دينيا، فوضع الأستاذ البنا بأن الإسلام ينهى عن هذا التعصب، وأنه دين إنساني يدعو إلى المحبة والإخاء واستدل بآيات من القرآن فيها تمجيد لموسى وعيسى، وفيها تنويه بأن الله اصطفى مريم عليها السلام وطهرها واصطفاها على نساء العالمين.
وأن في القرآن دعوة إلى المعاملة الحسنة بين المسلمين وأهل الكتاب، وأن طعام كل منهم حل للآخرين، وأن نساء أهل الكتاب يحل للمؤمنين الزواج بهن خلافاً للمشركات. وقال: إن القرآن أتى في هذا بما لم تأت به التوراة والإنجيل.
وتناول ما قيل عن الإخوان من أنهم يدعون إلى الأخذ بالتشريع الإسلامي، فقال: إنهم يزعجون الآخرين بهذه الدعاية إذ يصورون هذه الشريعة على أنها قطع يد السارق ورجم الزاني فقط، في حين أن المقصود هو الانتفاع بما فيها من كنوز غالية من الأحكام والتطبيقات التي أورثناها إياها فطاحل رجال الفقه الإسلامي.
وعرض لرأي الإخوان في الأجانب، فقال: إنه لا ينكر أن مصر استفادت من الغرب في العلوم والنظم، ولكن لا يمكن الصبر على أن تظل أوروبا تستنزف خيرات هذا البلد وأبناؤه الملايين في أشد الحاجة إليه، وأن كل ما يريده هو أن يكون لنا من هذه الخيرات نصيبنا الكامل.
وعرض لما قاله مراسل "رويتر" من أن هيئة الإخوان ثورية مسلحة، فسخر من هذا الادعاء قائلاً: إن ملايين الجنود ألقت أسلحتها فهل يعقل أن تكون للأسلحة فائدة بعد هذا؟ وأكد أن الإخوان أهل حجة وإقناع وأن السلاح إذا تدخل أفسد سبيل الإقناع.
وقال: إنه يتحدث باسم نصف مليون من الإخوان تنبض قلوبهم بما تنبض به قلوب سبعين مليوناً من العرب وثلاثمائة مليون من المسلمين[63].
وقال: إن هذه الشبهات إن دلت على شيء فإنها تدل على تجاهل حقيقة مبادئ هذه الجماعة وأهدافها، وإننا قد أعلنا مراراً أن الإخوان هيئة إسلامية جامعة، تعمل في وضح النهار على تحقيق المبادئ الإسلامية التي تتركز على الشورى الحقة، وتكفل سعادة المجتمع وتحفظ حقوق الوطن، وهي لا تعمل في الظلام، وذلك سر ما وصلت إليه من قوة وانتشار، أما ما يقال من أن الإخوان يحرزون أسلحة وجدوها في الصحراء فهي فرية مضحكة لا تجد لها محلاً إلا في خيال صاحبها وحده).

حسن البنا
يقود أكبر مسيرة لإنقاذ فلسطين

- **مظاهرة خالدة**

دعا الإخوان مختلف طوائف الشعب المصري – علماء وأطباء ومحامين وطلابا وعمالا – إلى القيام بمظاهرة سلمية كبرى للتعبير عن مشاعر شعب وادي النيل – مصر والسودان – نحو فلسطين الشقيقة، تبدأ يوم الأحد أول صفر سنة 1367 هـ الموافق 14 ديسمبر سنة 1947م بعد صلاة الظهر من ميدان الأزهر الشريف، وذلك تعبيراً عن رفض قرار الأمم المتحدة الغاشم بتقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية.

---

[63] كان ذلك في سنة 1945م أما الآن فقد تضاعفت أعداد المسلمين.

وبرغم كل المؤامرات الاستعمارية التي عملت على تفتيت وحدة الأمة المسلمة وعزل شعوبها بعضها عن بعض وضرب مشاعر الأخوة الإسلامية، فقد لبى أكثر من نصف مليون من هيئات وطوائف شعب مصر النداء فخرج يعبر عن مشاعره الإسلامية المكنونة في قلوب أبنائه الكرام البررة نحو فلسطين الشقيقة في هذه المظاهرة التي فاقت في روعتها وعظمتها كل الحسابات..
في لحظة من نهار هذا اليوم الخالد قدم حسن البنا للدنيا جميعاً البرهان الساطع والدليل القاطع على زيف دعاوي القومية والنعرات الشعوبية، حيث هبت جماهير مصر تخترق كل حجب الظلام التي أقامها المستعمر الأثيم ليحول بينه وبين رؤية المآسي والفظائع التي يتجرع ويلاتها أشقاؤه في أوطان الإسلام..
هب شعب مصر كالسيل الهادر يزيح ركام الزيف والجهالة.. ركام الأفكار العفنة والمذاهب الضالة. انتفض شعب مصر يحطم كل حواجز الفرقة والاختلاف التي اصطنعتها الأهواء وعمقتها السياسة الاستعمارية.. انتفض هذا الشعب المسلم من غفوته يعلنها في حزم وحسم كالرعد تصم آذان العملاء والجبناء: أن مصر عاشت إسلامية وستعيش إسلامية رغم الكيد، فهي بأرواحها وأفلاذ أكبادها فداء الأرض المقدسة في فلسطين وفداء شعبها الشقيق.
وصدرت جريدة "الإخوان المسلمون" في اليوم التالي تصف هذه المظاهرة في كلمات من نور.. تقول: مظاهرة خالدة لم يسبق لها مثيل...
احتشد أكثر من نصف مليون في حماسة بالغة من مختلف المدارس والمعاهد وطلاب الجامعات والعمال..
وتكلم المرشد العام فقال:
لبيك فلسطين.. دماؤنا فداء فلسطين.. أرواحنا فداء فلسطين.. يا زعماء العرب، أنتم القادة وهؤلاء الجنود قد وقفوا دماءهم للدفاع عن فلسطين.
يا زعماء العرب: إن هذا الشباب ليس هازلاً ولكنهم جادون قد عاهدوا الله، ثم عاهدوا الوطن أن يموتوا من أجله.. إن كان ينقصنا السلاح فسنستخلصه من أعدائنا ونقذف بهم في البحر[64].
يا زعماء العروبة: لقد تألبت الدنيا تريد أن تسلب حقنا، ولقد عاهدنا الله أن نعيش كراماً أو نموت كراماً، وإني أعلن من فوق هذا المنبر أن "الإخوان المسلمون" قد تبرعوا بعشرة آلاف متطوع هم على أتم استعداد لتلبية ندائكم في سبيل إنقاذ فلسطين..
واعمراه.. وا معتصماه..!!
وكتب فضيلة المرشد في جريدة "الإخوان المسلمون" اليومية في بابه الأسبوعي "حديث الجمعة" يستصرخ الضمائر الإسلامية ويستنصر الأشقاء للشعب الذبيح في فلسطين الشقيقة، وهذا نص الحديث:
(وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير. والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) [الأنفال: 72-73].
في عهد مضى – أعاد الله علينا دولته – قال الراوي:
دخلت القسطنطينية تاجراً في عهد عمر بن عبد العزيز فأخذت أطوف في بعض سككها حتى انتهى بي المطاف إلى فناء واسع.. رأيت فيه رجلاً أعمى يدير الرحى، وهو يقرأ القرآن..! فعجبت وقلت في نفسي: في القسطنطينية رجل أعمى، يتكلم العربية ويدير الرحى، ويقرأ القرآن!.. إن له لنبأ.
فدنوت منه، وسلمت عليه بالعربية، فرد السلام.. فقلت: من أنت يرحمك الله، وما نبؤك؟ فقال: أسير من المسلمين، أسرني هذا الرومي، وعاد بي إلى بلده ففقأ عيني، وجعلني هكذا أدير الرحى، حتى يأتي أمر الله.
فسألته عن اسمه وبلده وقبيلته ونسبه.. وما كان لي من عمل حين عدت إلا أن طرقت باب أمير المؤمنين وأخبرته بالخبر.. فاحتقن وجهه، واحتدم غضباً، ودعا بدواة، وكتب لملك الروم: قد بلغني من الآن كذا وكذا.. وإنكم بذلك قد نقضتم ما بيننا وبينكم من عهد "أن تسلموا كل أسير من المسلمين" فوالله الذي لا إله إلا هو، لئن لم ترسل بهذا الأسير، لأبعثن إليك بجنود يكون أولها عندك وآخرها عندي، ودعا برسول، فسلمه الكتاب، وأمره ألا يضيع وقتاً في غير ضرورة حتى يصل.
ودخل الرسول على ملك الروم، وسلمه الكتاب، فاصفر وجهه، وأقسم أنه ما علم من أمر هذا الأسير شيئاً، وقال:
"لا نكلف الرجل الصالح عناء الحرب، ولكنا نبعث له بأسيره معززاً مكرماً، وقد كان.
ويذكر تلامذتنا وطلبة المكاتب من أبنائنا، قصة أسيرة عمورية التي هتفت باسم المعتصم أمير المؤمنين، فأجابها من فوره، وأقسم أن يدكها حجراً حجراً وسار على رأس جيشه فبر بقسمه، وانتصر على عدوه وسوى عمورية بالأرض ومحا اسمها ورسمها من صحائف الوجود لعزة الإسلام، واستخلص الأسيرة من بين ذراعي وجبهة الأسد، وعاد مظفراً كريماً..

---

[64] في أثناء كلمة فضيلة المرشد وصل صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سعود وصاحب الدولة جميل مردم بك ورياض الصلاح بك والسيد علي المؤيد.. ثم تكلم دولة رياض الصلح بك وتبعه فضيلة محمود أبو العيون عميد المعهد الأزهري بالإسكندرية، ثم تكلم جميل مردم بك، ثم كلمة المسيحيين ألقاها سيادة القمص ميثامي الأنطواني.. وألقى الأستاذ إسماعيل الأزهري كلمة السودانيين، وتكلم فضيلة الشيخ حسن أبو السعود مندوب سماحة مفتي فلسطين السيد محمد أمين الحسيني.

وقرأت، وابتسمت، وبكيت، في كتبنا الفقهية مسألة: امرأة سبيت بالمشرق، وجب على أهل المغرب استنقاذها مهما كلفهم ذلك، وينفق الإمام ما في بيت المال فإن فني أنفق ماله هو كله، فإن لم يف، استدان من الرعية على بيت المال حتى يستنقذ هذه السبية.
أيها العرب والمسلمون..
لم تعد المسألة أسيرا ولا أسيرة، ولكنها أصبحت أكبر وأضخم، وأجل وأعظم.. إنها قضية الحياة والشرف، والكرامة والوجود لشعب بأسره، احتضنته الأمة العربية كلها وتظاهرت على نصرته جهود العالم الإسلامي في أقطار الأرض.. ثم هي قضية مستقبل الأرض المباركة، والمسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين.
فاذكروا فظائع اليهود الوحشية في:
قرية دار ياسين.. وقرية ناصر الدين.
وقرية أبو زريق.. وقرية ساريس.
ثم اذكروا "حيفا" إحدى عواصم فلسطين الثلاث..
واذكروا ما بعدها إن ظللتم قاعدين..
ثم انظروا ماذا أنتم فاعلون؟ ولا يكن حظكم من الانتصار لهذه المواطن الذبيحة أن تصيحوا:
واعمراه...!
وا معتصماه...!

مجاهدو الإخوان في فلسطين

ودخل مجاهدو "الإخوان المسلمون" فلسطين، ليقروا الحقيقة الخالدة: أن الأرض المقدسة في فلسطين لا تحرر إلا بالحرب المقدسة تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، يخوضها مسلمون متوضئون..
وهذه هي الحقيقة كما تقررها وقائع المعركة الأولى، كما وصفتها جريدة الإخوان اليومية في عددها رقم 604 الصادر في جمادى الآخرة سنة 1367 هـ الموافق 18 أبريل سنة 1948م، قالت:
تلقت زميلتنا "أخبار اليوم" الرسالة التالية من مراسلها في غزة:
أكتب إليكم من ميدان القتال – نحن الآن في منتصف الطريق بين غزة وخان يونس انتهت المعركة الأولى بين المصريين واليهود.. إنها أول معركة حربية تخوضها مصر ضد اليهود.. اثنا عشر شهيداً وخمسة من الجرحى، أنهم يحملونهم الآن ليدفنوا في دير البلح، إنني أتأمل القتلى واحداً واحداً ليس بينهم واحد مصاب في ظهره، قد أصيب بعضهم مرة أو مرتين ومع ذلك بقي يحمل بندقيته ويضرب بها.. إنهم يحملونهم الآن ليدفنوا كما هم بغير غسيل أو كفن فإن تقاليد الإسلام أن يدفن الشهيد بملابس المعركة.. كان منظراً رائعاً.. هذا الدم المصري يغطي أرض الصحراء المنبسطة.. هذه الأرض التي سارت فيها جيوش المارشال اللنبي وانتصرت انتصاراتها الأخيرة.. أصبحت نقطة البداية التي تطلق منها مصر رصاصاتها على مستعمرات اليهود، وتصاعدت الأصوات تبحث عن الحاج عبد الخالق، لقد كان يحارب في المعركة ومعه ابنه محمد عبد الخالق.. وسقط ابنه قتيلاً إلى جانبه فلم يبك عليه بل حمل بندقيته وراح يقتل بها الذين قتلوا ولده! ثم انتهت المعركة ولم ينتظر الحاج عبد الخالق ليشيع جنازة ولده مع المشيعين بل ذهب مع ابن أخيه الجريح أحمد يوسف إلى مستشفى غزة.
وقال له إخوانه: إننا نعزيك! قال: كلا، بل هنئوني هنئوني إنني سأبقى هنا لأنال بعض الشرف الذي ناله ابني، قلت: من.. عبد الخالق؟ فإذا به عبد الخالق يوسف حسن يوسف من بلدة قويسنا منوفية، وهو مزارع يبلغ الخامسة والأربعين طويل القامة فارغ العود حاد النظر، تبدو عليه الثقة والاطمئنان، وقف يتقبل تهاني المجاهدين وكأنه يزف ولده إلى عروس، وقد كان ولده يبلغ العشرين من العمر.
ومن العجيب أن أغلب القتلى المصريين لم يتجاوز الخامسة والعشرين وجميعهم من "الإخوان المسلمون".. وقد وقف القائد محمود لبيب يروي لنا أن أحد الشباب انتدب لخفارة المعسكر وكلنه أصر على أن يكون في مقدمة المجاهدين.. وقال له القائد أنت صغير السن، فليتقدم أولاً من يكبرك سناً، وبكى الشاب المصري، ولكن القائد: أصر على بقائه.. ولما علم أن الذي حل مكانه قد قتل في بداية المعركة وأخبره زملاؤه بذلك ازداد بكاء وحزناً.
وبدأت هذه المعركة في الساعة الثانية من صباح السبت 30 جمادى الأولى سنة 1367 هـ الموافق 10 أبريل سنة 1948م كان الجو أشبه بالنسيم العليل.. وقد أصر الجنود على أن يستحموا قبل المعركة استعداداً للموت وصلوا على أنفسهم صلاة الجنازة وتلوا جميعاً آيات من كتاب الله وذهب كل منهم إلى الموقع الذي اختير له، كان الظلام دامساً، فقد كنا في آخر يوم للشهر العربي، سواد في كل مكان ترى أشباحاً تتحرك وقد ارتدت أحذية من الكاوتشوك تحمل في أيديها المدافع والبنادق، كلام

كالهمس وبدأوا يقصون الأسلاك الشائكة التي تحيط بالمستعمرة اليهودية حتى إذا انتهوا من خطها الأول أخذوا ينسفون الخط الثاني.. وإذا بمدافع الهاون وقنابل الدخان تطلق من الجهة الشرقية لتغطية الهجوم.. واستيقظ اليهود وراحوا يضربون أوكار مدافع الهاون وهم يظنون أن الهجوم العربي قد بدأ من تلك الناحية.. وهنا تسلل الفدائيون واقتحموا الأماكن الملغومة ووضعوا الألغام والمتفجرات في الحصون فنسفوا جزءاً من البرج ودمروا كل الحصون، وأخذ المصريون واليهود يتقاذفون القنابل اليدوية ويتراشقون بمدافع التوني جن والبنادق البرن، وظن اليهود في أول الأمر المعركة بسيطة ولكنهم بعد ساعتين تنبهوا إلى خطورة الهجوم فاستغاثوا بالجيش البريطاني فحضرت الدبابات ولما وجدت أن المصريين قد لغموا الأرض راحت ترفع الألغام وكانت الدبابات البريطانية ترفع الأعلام البيضاء ووقفت بين المصريين واليهود وصدرت الأوامر بعدم إطلاق النار.

ورأى القائد البريطاني الشهداء وأطلعه قائد الإخوان على تفاصيل المعركة وكيف أن العرب لم يخسروا من أسلحتهم شيئاً بل إنهم استعادوا أسلحة الشهداء والجرحى فدهش، وذهب إلى حيث يرقد الشهيد وحنى رأسه قائلاً: إنني في دهشة كيف استطعتم أن تفعلوا كل هذا.. لقد كنت في فرقة الكوماندوز البريطانية ولم أشهد جرأة كالتي رأيتها الآن.. ولو كان معي ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم فلسطين، ثم تقدم القائد البريطاني إلى الجرحى المصريين وقبل كلا منهم في جبينه، وقال: من أي بلد هؤلاء الأبطال!! فقالوا: من مصر.

- **من وحي الشهداء.. وجها لوجه**

وفي أعقاب هذه المعركة، ومن وحي شهدائها الأبرار، كتب فضيلة المرشد العام في "حديث الجمعة" بالجريدة اليومية عن حقائق الإيمان العملية كما تقررها بسالة مجاهدي الإخوان في فلسطين، يقول:

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذي جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) [آل عمران: 142].

أمام حقائق الدعاية.. وجها لوجه.

لابد من امتحان لحقيقة إيمان المؤمنين..

ودعوى الإيمان وحدها لا تكفي في كثير ولا قليل!.. (ومن الناس من يقول آمنا بالله باليوم الآخر وما هم بمؤمنين) [البقرة: 08].

هذا ناموس الله الذي لا يتغير، وسنته التي لا تتخلف (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) [محمد: 31].

ولكنا مؤمنون بحكم الوراثة، فقد ولدنا على هذا الدين القيم، والحمد لله على نعمة الإيمان، وكثير هم المؤمنون بالتعلم والخطابة، ولكن من هم الذين يستطيعون أن يتمثلوا معنى الإيمان، ويحسنوا التعبير عنه لأنفسهم وللناس، ومَن مِن هؤلاء يصدق فيه معنى الإيمان حتى يتذوق حلاوته، ويجد طعمه ويستشعر برده على فؤاده، كما يحس بحرارته ودفئه ونوره وإشراقه؟؟؟

ولكن هذا كله لا يكفي، حتى يقف المرء وجها لوجه أمام حقائق الإيمان العملية، وأوضح هذه الحقائق: ما اتصل بالجهاد والشهادة والموت في سبيل الله والعزوف عن متع الحياة الدنيا إيثاراً لما عند الله.

وهؤلاء الشهداء الاثني عشر، ومن قبلهم الشهيد العزيز السعيد الأخ حسين الحلوس، الذي اختاره الله لجواره في حادث انقلاب سيارة المؤن والمهمات للشهداء بسيناء.. قد أوقفونا نحن الإخوان وأوقفوا أسرهم الكريمة، وأوقفوا الأمة المصرية كلها أمام حقائق الإيمان وجهاً لوجه.

إن من حقائق الإيمان الأولى أن الموت حق، وأن الأجل محدود، وأن العمر واحد، لا ينقص ولا يزيد.. (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) [الأعراف: 34]. وأن الجبن لن يؤخر الوفاة وأن الشجاعة لن تدني الموت، وأن قدر الله من وراء ذلك كله، ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.. (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) [النساء: 78]، (والذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) [آل عمران: 168].

ولن يستطيعوا أن يدرأوه طبعاً، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره.

وإن من حقائق الإيمان الأولى أمر الله تبارك وتعالى، كتب على المؤمنين كتاباً لازماً، وفريضة محكمة.. أن يقاتلوا في سبيل الحق، وأن يدافعوا عن صورة الدين، وأن يجاهدوا في سبيل الله تعالى، حتى تعلو كلمته، وترفع رايته، وأن من نكص عن ذلك فله عذاب أليم في الدنيا بالصغار وفي الآخرة بالجحيم والنار.. (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) [البقرة: 216].

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) [التوبة: 111].

وأن من حقائق الإيمان الأولى: أن من مات في سبيل الله أو قتل مجاهداً، فهو شهيد حي يرزق عند الله تبارك وتعالى، وأنه لا يجد من مس الموت إلا كما يجد الإنسان الحي الحساس من قرصة نملة، وأنه لا يفتن في موته وكفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة، وأنه يبعث يوم القيامة بكلومه وجروحه ودمائه الطاهرة الزكية.. اللون لون الدم، والريح ريح المسك، وأن له عند الله تبارك وتعالى من المثوبة والأجر أفضل مما عند الله لسائر الذين ماتوا بغير شهادة (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً) [النساء: 95-96].

(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) [التوبة: 20-22].

ومن يؤمن بهذه الحقائق إيماناً صحيحاً، لا شك ولا ريب في أنه يفرح ويسر، ويسارع ويبادر، ويختار لأحبابه وذويه هذه الموتة السعيدة الكريمة، التي لن تأتي قبل أوانها، ولكنها تظهر في أروع صورها، وأجمل ألوانها.. وبقدر رسوخ العقيدة في هذه الحقائق، بقدر الرضاء والتسليم بقضاء الله وقدره في شهادة الشهداء، وموت الأعزاء.

فيا أيها الإخوان المسلمون، أنتم وأسركم والمتصلون بكم: لقد عاهدتم الله على الإيمان الكامل بكل حقائقه ومقتضياته، ولقد كان، وسجلوا عليكم هتافكم وعرف الناس عنكم ذلك في كل المدن: الجهاد سبيلنا.. الموت في سبيل الله أسمى أمانينا. وأنتم بهذا الهتاف كنتم تعلنون حقائق الإيمان نظرياً.. وها أنتم أولاء قد وقفتم أمامها عملياً.. فماذا أنتم فاعلون؟

أغلب الظن أنكم ستنجحون في هذا الامتحان، نجاحاً منقطع النظير بإذن الله، وبشار ذلك واضحة، ودلائله لائحة، وأن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون.

- **إحذروا أتباع هذا الشيخ..!!**

تحت عنوان "اعرف عدوك" نشرت مجلة حائطية يصدرها الطلاب اليهود المتدينون في الجامعة العبرية في عددها الصادر في شهر "حزيران" سنة 1970م صورة للإمام الشهيد حسن البنا، رحمه الله وكتبت تحت الصورة تعليقاً قالت فيه: "إن صاحب الصورة كان من أشد أعداء إسرائيل، لدرجة أنه أرسل أتباعه عام 1948م، من مصر ومن بعض البلدان العربية لمحاربتنا، وكان دخولهم الحرب مزعجاً لإسرائيل لدرجة مخيفة، ولولا أن أصدقاء إسرائيل في مصر تكفلوا آنذاك بكبح جماح أتباع حسن البنا وتخليص إسرائيل منهم لكان وضع اليهود الآن غير هذا الوضع.

وبعد تلك المقدمة استمرت المجلة تقول: إن أتباع البنا هم الذين يعارضون الآن بشدة مجرد التفكير بالصلح مع اليهود، ويتشددون في مطالبتهم بضرورة القضاء على إسرائيل قضاءً مبرماً، ويعلنون موقفهم هذا بصراحة حتى في القاهرة نفسها.

وأنهت المجلة اليهودية تعليقها بتحذير الشعب اليهودي من أتباع حسن البنا، الذين يشكلون أكبر خطر يتهدد إسرائيل، حتى لو نجحت المساعي لعقد سلام دائم مع العرب على حد تعبير المجلة اليهودية.

كيف تحرك الإخوان
بقضية تحرير فلسطين..؟

انطلق الإخوان المسلمون في نظرتهم إلى قضية تحرير فلسطين من فوق أرض صلبة من الفهم العميق لطبيعة القضية، فهي قضية إسلامية، أو هي قضية المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الذي لن يتحرر إلا في الإطار الإسلامي على أنها جولة من جولات المعركة الأزلية بين الحق والباطل..

وحين يكتب تاريخ قضية فلسطين بأيد أمينة سيعرف الناس أن "الإخوان المسلمون" حين كانت دعوتهم في بداية عهدها بالظهور في مصر كانوا أول من طرق أسماع الشعب المصري باسم فلسطين، بل كانوا الهيئة الشعبية الوحيدة في الوطن الإسلامي التي تصدت للدفاع عن فلسطين وشعبها الشقيق ضد الخطر اليهودي الصليبي.

وسيشهد التاريخ أنه في الوقت الذي كان فيه النحاس باشا رئيس وزراء مصر يجيب بأنه رئيس وزراء مصر وليس رئيس وزراء فلسطين، كان شباب "الإخوان المسلمون" يتنقلون بين مساجد مصر يكشفون للناس عن جرائم الإنجليز في فلسطين ومؤامرة تهويد فلسطين، ويوضحون لهم بأن فلسطين هي البلد الذي يحتضن بيت المقدس ثالث الحرمين الشريفين وأولى القبلتين.

ويؤرخ الإمام البنا لوقوف الإخوان في مصر لنصرة إخوانهم شعب فلسطين، فيقول في مذكراته:

(في هذه الأثناء تحركت قضية فلسطين، وثار الشعب الفلسطيني الباسل على التصرفات البريطانية الغاشمة التي تمالئ اليهود في كل شيء وتحرم العرب من كل شيء، وكانت الهيئات السياسية والأحزاب في مصر منصرفة كل الانصراف عن مناصرة

قضية فلسطين مناصرة جدية، ولم يكن يتحرك لفلسطين أو نحوها من الأقطار الشقيقة في ذلك العهد إلا الهيئات الإسلامية، ومن هنا تقدم الإخوان المسلمون إلى مناصرة فلسطين الثائرة المجاهدة بكل ما فيهم من قوة، ووقفوا على ذلك جهودهم مادياً وأدبياً من حيث الدعاية والخطابة والنشر وجمع المال)[65].

في هذا الوقت المبكر بدأ جهاد الإخوان لإنقاذ فلسطين، حيث وجه الإمام الشهيد حسن البنا الدعوة إلى عقد اجتماع استثنائي للإخوان في 25 من صفر 1354 هـ الموافق آذار 1936 م، وتقرر عن هذا الاجتماع تشكيل لجنة مركزية لمساعدة فلسطين برئاسة فضيلة المرشد العام.

وبدأت اللجنة نشاطها بتوجيه نداء إلى الشعب المصري والأمة الإسلامية لنصرة فلسطين المسلمة، وأرسلت برقيات احتجاج إلى المندوب السامي البريطاني في كل من مصر وفلسطين تستنكر فيها المظالم التي توقعها سلطات الانتداب بشعب فلسطين، كما أرسلت برقية في 18 أيار 1936 م إلى مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني تؤكد وقوف "الإخوان المسلمون" إلى جانب إخوانهم أهل فلسطين.

وتصادف في ذلك الوقت قيام حملة في مصر لجمع تبرعات لمساعدة أهل الحبشة، وقد جُمعت أموال كثيرة أرسل معظمها إلى الحبشة وبقي لدى لجنة التبرعات مبالغ أخرى لم يتم التصرف فيها فأرسل الإمام البنا رسالة إلى الأمير عمر طوسون وأخرى إلى بطريرك الأقباط الأرثوذكس في مصر باعتبارهما من كبار المسئولين عن لجنة جمع التبرعات لمساعدة أهل الحبشة، دعاهما إلى تحويل ما تبقى لدى اللجنة من أموال إلى اللجنة العربية العليا في فلسطين لمساعدتها في القيام بدورها العظيم في مواجهة مؤامرة إقامة دولة يهودية على أرض فلسطين المقدسة.

- **القنوت في الصلاة من أجل فلسطين:**

وكان الإمام البنا لا يترك وسيلة ممكنة لتذكير الشعب المصري بخطورة المؤامرة على فلسطين الشقيقة، كما كان رضي الله عنه شديد الحرص على استثارة العواطف الإسلامية الكامنة في نفس شعب مصر لينهض بما تفرضه عليه واجبات الأخوة الإسلامية نحو الشعب الشقيق في فلسطين، من ذلك ما قام به مكتب الإرشاد "للإخوان المسلمون" من توجيه نداء إلى المسلمين في مصر دعاهم فيه للقنوت من أجل فلسطين في الصلاة، وهذا نصه:

(القنوت مشروع عند النوازل التي تنزل بالمسلمين، أجازه الأئمة رضوان الله عليهم واستحسنوه وندبوا إليه، وجاءت به الأحاديث الصحيحة ومنها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح في دبر كل صلاة إذا قال سمع الله لمن حمده في الركعة الأخيرة، يدعو على أحياء من بني سليم: على رعل وذكوان وعصبة، ويؤمِّن من خلفه) رواه أبو داود، قال النووي بإسناد حسن صحيح.

ونازلة فلسطين من أشد النوازل بالمسلمين جميعاً وأعظمها وقعاً على قلوبهم وأشدها نيلاً من إخوانهم وأوطانهم ونفوسهم، وإنما المؤمنون جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

ولهذا يقترح مكتب الإرشاد العام أن يقنت المسلمون في الركعة الأخيرة من كل صلاة بعد الركوع قنوتا يدعون فيه بنصرة أهل فلسطين وخذلان أعدائهم ومناوئيهم. ولتكن صيغة هذا القنوت على هذا النحو مثلاً:

(اللهم غياث المستغيثين ونصير المستضعفين انصر إخواننا أهل فلسطين، اللهم فرج كربتهم وأيد قضيتهم واخذل أعداءهم واشدد الوطأة على من ناوأهم واجعلها عليهم سنين كسني يوسف وارفع مقتك وغضبك عنا يا رب العالمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم). وفي قنوت الصبح أو الوتر الدعاء المأثور ويزداد عليه هذا المعنى المتقدم لعل الله تبارك وتعالى يستجيب لنا ويؤيد إخواننا بروح منه، وسيأخذ المكتب نفسه ومن تبعه بهذا الهدي حتى تنكشف الغمة وتعود السكينة، والله حسبنا ونعم الوكيل).

- **حملات**

وكان الأستاذ ينظم حملات من طلاب الإخوان للانتشار في مساجد القاهرة والأقاليم لجمع تبرعات للمجاهدين الفلسطينيين عقب صلاة الجمعة، وقد نجحت هذه الطريقة في تحقيق النتائج الآتية:

1- في إحاطة الناس علماً بأن هناك بلداً مسلماً بجوازنا اسمه فلسطين يراد بيعه لليهود.
2- في إيقاظ الروح الإسلامية في الشعب المصري الذي تضافرت قوى الاستعمار وأذنابه من الحكام ومحترفي الدين على تضليله وتخديره حتى نام وأغرق في النوم.
3- في إيجاد وعي لدى هذا الشعب بأن الإنجليز أعداء لنا وللإسلام.

---

[65] مذكرات الدعوة والداعية ص 222.

4- في إقامة الدليل المادي الملموس على أن الحكومة المصرية مهما كان لونها أو حزبها إنما هي خادم ذليل للمستعمر الغاصب.
5- في جمع مبالغ من المال من تبرعات الناس.

لقد اختصر نهوض الإخوان في ذلك الوقت بقضية فلسطين الزمن اختصاراً، وأغنى عن الكثير من الخطب والمحاضرات والمقالات والمؤلفات، فلو أن مائة محاضر مقنع ومائة خطيب مصقع بلوا أقصى ما يستطيعون في الإبانة عما تضمنته الفكرة الإسلامية من معاني التعاون والإخاء التي تربط بين المسلمين في كل مكان، لما أثمرت جهودهم عشر معشار ما كانت تثمره كلمة ثائرة من شاب من الإخوان يوجهها إلى جمهور المصلين بعد صلاة الجمعة يشرح فيها ما يرتكبه اليهود والإنجليز من فظائع ضد إخوانهم المسلمين في فلسطين[66].

وقد سجل الكاتب الإسلامي العظيم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي بقلمه الرفيع ما بعثته في نفسه إحدى حملات طلاب "الإخوان المسلمون" لنصرة فلسطين، وهي حملة مسجد السيد البدوي بطنطا، فقد كان أحد المصلين بالمسجد في ذلك اليوم، وهيجت الحملة في نفسه كوامن الأسى على ما آلت إليه حال المسلمين من تدهور وانحطاط فسجل هذه الكوامن كما سجل الأماني التي بعثتها هذه الحملة في نفسه في مقال "قصة الأيدي المتوضئة" الذي نشر في مجلة "الرسالة" كبرى المجلات الأدبية العربية في ذلك الوقت.

- الإنطلاق بالقضية

ومع اشتداد الهجمة الصهيونية، قرر الإمام البنا أن ينطلق الإخوان بقضية فلسطين انطلاقة واسعة حتى يشعر الناس جميعاً بها، وأن يجعلوها قضية عالمية تقض مضاجع الإنجليز واليهود. وقد اتخذ الإخوان لتحقيق ذلك الوسائل الآتية:

أولاً: استمرار نظام الخطابة في المساجد وجمع التبرعات والتوسع فيه.

ثانياً: استخدام صحيفة (النذير) وهي صحيفة الإخوان في توعية الجماهير بقضية فلسطين، فكانت افتتاحيات (النذير) التي كان يكتبها الأستاذ صالح عشماوي رحمه الله كالصواعق المرسلة على الإنجليز واليهود، مما جعل للمجلة انتشاراً واسعاً في مصر وصيتا ذائعاً في البلاد العربية.

ثالثا: طباعة وتوزيع المنشورات التي تهاجم الإنجليز وتفضح مظالمهم ضد مسلمي فلسطين، وتفضح دورهم الخبيث في تمكين اليهود من تنفيذ مخططهم ضد فلسطين المسلمة وشعبها المسلم.

رابعاً: الدعوة إلى مقاطعة المحلات التجارية اليهودية في مصر، وقد قام الإخوان بطبع قوائم بأسماء هذه المحلات وأسماء أصحابها اليهود، وذيلوا هذه القوائم بهذا النداء: "إن القرش الذي تدفعه لمحل من هذه المحلات إنما تضعه في جيب يهود فلسطين ليشتروا به سلاحاً يقتلون به إخوانك المسلمين في فلسطين".

وإتماما لفضح الخطة الصهيونية أصدر الإخوان كتيباً صغيراً يضم أسماء الصحف اليهودية في أنحاء العالم، والأسماء التي يتستر خلفها أصحابها الحقيقيون من اليهود.

خامساً: توزيع كتاب "النار والدمار في فلسطين".

وهو الكتاب الذي أصدرته اللجنة العليا لفلسطين، وفضحت فيه المظالم والجرائم التي كانت ترتكبها سلطات الانتداب البريطاني ضد الشعب الفلسطيني الشقيق..

وقد قام الإخوان بتوزيعه في أسرع وقت، فلم تمض ثلاثة أيام حتى عم الكتاب القاهرة وأقاليم مصر كلها، وقامت قيامة الصحف البريطانية والبرلمان البريطاني لمواجهة هذه الكارثة المدمرة.

وداهمت المركز العام قوة من رجال البوليس وفتشت الدار وكان باقياً من الكتاب سبعمائة وخمسون نسخة فتحفظت عليها، وسأل رئيس القوة من صاحب هذه الكتب فتقدم إليه الأستاذ المرشد وقال له: أنا صاحبها. فنقلت القوة النسخ وطلب الضابط من الأستاذ البنا أن يصحبه إلى النيابة في التحقيق مع الأستاذ على الوجه الآتي:

س: هل أنت صاحب هذه الكتب؟

ج: نعم أنا صاحبها.

س: ألا تعلم أن هذه الكتب تهاجم السلطات وتثير الشعب ضد دولة صديقة وحليفة بحكم المعاهدة.

ج: أعلم ذلك، وقد قصدت مهاجمة هذه السلطات ومهاجمة هذه الدولة الحليفة.

س: ألا تعلم أن القانون يعاقب على هذه الجريمة.

ج: أعلم وأنا لا أمانع في إحالتي إلى القضاء لأني معترف بهذه الجريمة ومصر عليها.

---

[66] عن كتاب "الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ" للأستاذ محمود عبد الحليم جـ 1 ص 89-90.

وأنهى وكيل النيابة التحقيق ووقعه الأستاذ وقرر وكيل النيابة حبس الأستاذ المرشد على ذمة هذه القضية حتى تحدد جلسة لنظرها.
ورفع التحقيق إلى النائب العام، كما قدمت صورة منه إلى وزارة الداخلية التي كانت فرعاً من السفارة البريطانية، فقد كان وكيل هذه الوزارة بالذات ترشحه في حقيقة الأمر هذه السفارة من المصريين الموالين لها، وكان لهذا الوكيل – فيما يمس مصالح الإنجليز – سلطة الوزير وفوق سلطة رئيس الوزراء.
وقامت وزارة الداخلية بتقديم صورة التحقيق إلى السفير البريطاني في انتظار كلمة ثناء منه على هذه الخدمة العظيمة.. وقرأ السفير التحقيق حتى وصل إلى نهايته فقطب جبينه وقال لصنيعتهم: إنك بهذا التحقيق قدمت لحسن البنا أعظم خدمة دون أن تدري.. لقد استطاع هذا الرجل أن يضحك عليكم.. لقد وزع الكتاب وأصبح في أيدي الناس في كل مكان، وما صادرتموه منه لا يعد شيئاً يذكر بجانب ما تم توزيعه، إن أمنية هذا الرجل هي أن يقدم إلى القضاء ليتخذ من منصة الدفاع عن نفسه في هذه القضية السياسية وسيلة إلى نشر أفكاره، وإلى التشهير بنا وفضيحتنا وتوصيل ما تضمنه الكتاب إلى أسماع من لم يصل إليه عن طريق الصحف التي ستتبارى في نشر ما يقال في القضية كدأب الصحف في القضايا السياسية.. هذا التحقيق يجب أن يحفظ وأن يفرج عن الأستاذ البنا في الحال.
وأفرج عن الأستاذ المرشد فعلاً قبل أن يتم في الحبس أربعاً وعشرين ساعة، وقد فوجئ الأستاذ بهذا الإفراج لأنه كان يعتقد أن حكام مصر من الغباء بحيث لا يفهمون هدفه.. وقد زالت الحيرة من هذه المفاجأة حين جاءت عيون الإخوان وأخبرت بما كان من أمر الداخلية مع السفير البريطاني.
سادساً: تنظيم مظاهرات شعبية صاخبة في جميع أنحاء القطر وكان الإمام الشهيد حسن البنا حريصاً على أن يصل اسم فلسطين إلى كل مدينة وقرية في مصر وأن لا ينحصر الاهتمام بها في العاصمة، وانتهز رضي الله عنه اقتراب الذكرى الأليمة لوعد بلفور المشئوم فوضع خطة لتنظيم مظاهرات شعبية صاخبة في جميع أنحاء القطر في اليوم السابع عشر من شهر نوفمبر 1938، وكانت لهذه المظاهرات التي انطلقت في وقت واحد في جميع أنحاء البلاد أثر كبير في جذب انتباه الشعب المصري في المدن والقرى نحو قضية فلسطين المسلمة، ومن الطبيعي أن يشتط غضب المستعمرين الإنجليز والحكومة المصرية الخاضعة لهم بسبب قوة هذه المظاهرات وضخامتها.

- أول مؤتمر عربي من أجل فلسطين

وحين اطمأن الإمام الشهيد حسن البنا إلى أن جهود الإخوان لجذب انتباه الشعب المصري لأهمية قضية فلسطين قد أثمرت ونجحت، رأى رحمه الله أن مسئولية "الإخوان المسلمون" نحو فلسطين لا تنحصر داخل مصر، فعقد العزم على أن ينقل الإخوان المسلمون نشاطهم في سبيل إنقاذ فلسطين إلى جميع أنحاء الوطن العربي الذي كان يعاني من التشرذم والتمزق، وكان رحمه الله يرى أن هذه الخطة ستهدم الأسوار التي حاصرت بها بريطانيا مصر لمنعها من الالتقاء بأشقائها من العرب والمسلمين، لقد كانت سياسة بريطانيا الاستعمارية تقوم على أساس فصل مصر عن البلاد العربية، وتم لهم ذلك حيث أقنعوا المصريين بأنهم فراعنة.. وكنت تشعر فعلاً بأن المصريين مقتنعون بهذه الفكرة الماكرة الخبيثة كما تشعر بأن أهل الشام والعراق والحجاز واليمن والمغرب مقتنعون أيضاً بذلك..
وكان الذي دفع الإنجليز إلى ذلك هو اعتقادهم بأن نجاح استراتيجيتهم الاستعمارية يقوم على بذر الفرقة بين شعوب الأمة العربية وفصل مصر التي هي بمثابة الرأس عن بقية البلدان العربية، وإذا انفصل الرأس عن بقية أعضاء الجسد كان الموت المحقق.
واستطاع الإخوان أن يحققوا المعجزة بجهود مضنية متواصلة مكثفة استمرت أكثر من خمس سنوات متوالية حين وصلوا قلوب شعب مصر بقلوب إخوان عرب لهم في فلسطين، وحين صارت قضية فلسطين قضية عامة في مصر يتألم قلب المصري لها ويكره الإنجليز من أجلها، وبذلك مد الإخوان أول جسر ربط بين مصر والأمة العربية وأفسدوا على الإنجليز خطتهم.
واستغل الإخوان هذا الجسر الذي أقاموه خير استغلال فوجهوا الدعوة لرجالات البلاد العربية لعقد مؤتمر لدراسة مشكلة فلسطين في مصر واستجاب الكثير منهم ومثلت أكثر البلاد العربية بنخبة من كبار رجالها في ذلك الوقت.
وكان هذا المؤتمر أول مؤتمر عربي يعقد من أجل فلسطين، وقد عقد في دار المركز العام بالعتبة، وتعاقب فيه الخطباء من مختلف البلاد العربية ثم تكلم الأستاذ المرشد. وانتهى المؤتمر بقرارات تطالب حكومات الدول العربية بالتدخل من أجل إنقاذ فلسطين من المؤامرة الإنجليزية اليهودية. وكان لهذا المؤتمر آثار بعيدة لأنه جعل الحكومات العربية تحس لأول مرة أن عليها مسئولية نحو مشكلة فلسطين.

- المؤتمر البرلماني العالمي

نجح المؤتمر الشعبي العربي الذي عقد في دار المركز العام "للإخوان المسلمون" في القاهرة، وتطايرت أنباؤه إلى مختلف البلاد العربية والإسلامية، وأصبح المركز العام للإخوان محط آمال كل صاحب قضية وطنية، وخاصة أولئك الذين تؤرقهم قضية فلسطين، فتوافد العديد منهم إلى المركز العام للإخوان للبحث مع الإمام الشهيد في القيام بخطوات جديدة لنصرة فلسطين، واستقر الرأي على ضرورة الدعوة إلى عقد مؤتمر برلماني عالمي في القاهرة من أجل نصرة فلسطين، يدعى له برلمانيون من جميع أنحاء العالم.

وشكلت لجنة برلمانية مصرية لهذا الشأن، استهلت نشاطها بإصدار مذكرة قوية استنكرت فيها المظالم الواقعة على عرب فلسطين ووقع المذكرة 170 نائباً مصرياً.

ووجهت اللجنة بعدئذ دعوة إلى العديد من برلمانات العالم للمشاركة في المؤتمر، وانعقد المؤتمر في 7 تشرين أول 1938 في سراي آل لطف الله بالقاهرة، وختم أعماله بقرارات موجهة إلى جميع دول العالم وبخاصة إنجلترا بوجوب تسوية قضية فلسطين بما يحفظ حقوق شعبها.

ووجدت بريطانيا أن سياستها الممالئة لليهود في فلسطين قد انفضحت فاضطرت للظهور بمظهر الدولة المحايدة فأوقفت حملات القتل والسجن والتعذيب ضد عرب فلسطين وأبدت استعدادها للتفاهم، وطلبت عقد مؤتمر طاولة مستديرة في لندن يشارك فيه العرب واليهود وممثلون عن الحكومة البريطانية.

وتمخض المؤتمر عن إصدار بريطانيا لا يسمى "بالكتاب الأبيض"، أعلنت فيه موافقتها على المطالب العربية بوضع حد للهجرة اليهودية إلى فلسطين.

وما كان الإخوان لنتظروا من هذا المؤتمر قراراً بحل المشكلة أو يرد الحق إلى نصابه، وإنما كان هدفهم أن يكون مجرد عقده خطوة جديدة على طريق إسماع العالم مظلمة أهل فلسطين التي طالما حاول الإنجليز ومن ورائهم يهود العالم أن يلقوا عليها ستاراً كثيفاً يحجبها عن العالم[67].

- **قرش فلسطين**

وعندما توحد نشاط الهيئات والجماعات الإسلامية في مصر من أجل نصرة فلسطين وشكلت لجنة لجمع تبرعات "قرش فلسطين"، عمل الإخوان بكل وسيلة لإنجاح هذا المشروع وكان دورهم فيه أبرز الأدوار وذلك نتيجة توجيهات قيادتهم التي جعلت من قضية فلسطين شغلها الشاغل.. من ذلك ما تلحظه في منشور مكتب الإرشاد العام سنة 1940م الذي يقول[68]:

(لما كانت فلسطين هي قطعة من الوطن الإسلامي العام، وقد وفق الله "الإخوان المسلمون" لخدمة قضيتها خدمة جلي، ولما كان أمرها يتطلب زيادة العناية بها والسير قدماً في سبيل نصرتها ومؤازرتها.. وقد اتخذت الهيئات الإسلامية الآن في هذه المؤازرة وتألفت لجنة تبرعات "قرش فلسطين" ومثل فيها الإخوان المسلمون، لهذا نرجو العناية بالدعاية القوية لجمع هذا القرش وأن يبرهن الإخوان أنهم دائماً في الصف الأول في قضية العرب والإسلام).

- **لجنة تحقيق بريطانية – أمريكية...!!**

وحين استنفرت الصهيونية أشياعها لإجهاض "الكتاب الأبيض" الذي أصدرته الحكومة البريطانية ووعدت بموجبه بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين سارعت أمريكا لنجدة اليهود، فطالبت بتشكيل لجنة تحقيق بريطانية – أمريكية لإعادة النظر في "الكتاب الأبيض".. وبعد أن تم تشكيل هذه اللجنة طافت بالبلاد العربية متظاهرة بأن غايتها تحقيق العدالة، وكان هدفها من ذلك هو تضييع الوقت لإعطاء اليهود الفرصة لتنفيذ مخططاتهم لتسريب المهاجرين اليهود إلى فلسطين وتدريبهم وتسليحهم[69].

وعندما وصلت هذه اللجنة إلى مصر استغل الإمام الشهيد حسن البنا وجودها وأصر على مقابلتها في جلستها الثانية، وكان فيمن قابل اللجنة السادة مراد البكري وعبد المجيد صالح باشا وصالح حرب باشا والدكتور منصور فهمي باشا.

ونشرت جريدة "المصري" آنذاك مناقشة الجلسة الثانية التي عقدتها اللجنة البريطانية الأمريكية، وجاء في نص هذا الخبر ما يلي:

(تكلم الجميع في حماس ثم ساد الجلسة السكون عندما جاء دور الشيخ حسن البنا وقد ارتجل كلمة هادئة رزينة باللغة العربية جمعت بين قوة الحجة وسرعة البديهة وحضور النكتة.. وتولى الترجمة الأستاذ أحمد السكري وكيل "الإخوان المسلمون".

وقد استهل الشيخ البنا كلمته بالاعتذار عن إلقائها باللغة الإنجليزية ثم قال إنه لا يريد أن يتحدث عن مشكلة فلسطين من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقد طال فيها البحث ولا حاجة إلى تكرار ما قيل، واستطرد قائلاً: "باسم الإخوان المسلمون" أؤيد ما أعلنه العرب وزعماؤهم ومندوبوهم وكذلك الجامعة العربية.

---

[67] الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ ج 1 ص 181-182.

[68] عن كتاب "الحركة الإسلامية وقضية فلسطين"، تأليف زيادة أبو غنيمة – نشر دار الفرقان / عمان الأردن ص 44.

[69] المصدر السابق ص 45 – 47.

والناحية التي سأتحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية، لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم العربي، ولهذا فإني أحب أن أوضحها باختصار، فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقا (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) [العنكبوت: 46].
وحينما أراد القرآن الكريم أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية فقال تعالى وهو أصدق القائلين: (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً. وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل) [النساء: 160-161].
ولي كلمة أخيرة من الوجهة الدينية، فإن اليهود يقولون عن فلسطين إنها أرض الميعاد.. ونحن لا مانع لدينا من أن يكونوا في يوم القيامة معنا.
وقد أثارت هذه العبارة عاصفة من الضحك لم تلبث أن اتصلت بأخرى عندما استطرد الشيخ البنا قائلا: (لاحظت أن هذه الهيئة الموقرة منعت التدخين في قاعة الاجتماع خشية أن يؤذي بعض الحضور. وإذا كنتم تحرصون على أمزجة الناس من فعل الدخان، فخليق بكم أن تحرصوا على أهل فلسطين من النيران..).
الرئيس: ولكن بين الحضور من يدخن الآن "وكان يدخن في القاعة عبد المجيد إبراهيم صالح باشا وصحفي أمريكي ومندوب جريدة المصري".
الشيخ البنا: خالفوا القوانين (ضحك).
واختتم الأستاذ البنا كلمته بقوله: لقد استمعت اللجنة إلى رجاء اليهود، وتركت الرجل الأول الجدير باستشهاده في قضية فلسطين وهو الحاج أمين الحسيني وكذلك المجاهدون المبعدون فأكون سعيداً إذا عملت اللجنة على الإفراج عنهم جميعاً)..
انتهى خبر جريدة المصري.
وكان تشكيل تلك اللجنة حلقة في مسلسل المؤامرات الصليبية الصهيونية.. فقد كانت نذير شؤم على فلسطين، إذ أصدرت في أواخر شهر نيسان سنة 1946 تقريرها النهائي الذي سمح بهجرة مائة ألف يهودي إلى فلسطين، وأكد استمرار الانتداب البريطاني في فلسطين.

- أكبر مسيرة لإنقاذ فلسطين

وفيما كان العرب والمسلمون يواصلون احتجاجهم على تقرير اللجنة الأمريكية البريطانية، فاجأهم نذير شؤم انطلق في هذه المرة من دهاليز الأمم المتحدة أصدرت في 29 نوفمبر 1947 قرارها الغاشم بتقسيم فلسطين إلى دولتين الأولى عربية والأخرى يهودية.
ولم تكد أنباء هذه المكيدة التي تضافرت عليها جهود دول الكفر تصل إلى مصر حتى أعلن الإمام الشهيد حسن البنا رفض "الإخوان المسلمون" لقرار التقسيم وخرج يقود نصف مليون من مختلف فئات الشعب المصري في أكبر مسيرة تعبر عن رفض المؤامرة على فلسطين الشقيقة.. وهذا ما أفردنا له الكلام في صدر هذا الموضوع.
وعندما اجتمع زعماء الدول العربية في مايو سنة 1948 بمدينة عاليه اللبنانية أبرق إليهم الإمام الشهيد حسن البنا يعدهم بما وعد من قبل في كلمته بإدخال عشرة آلاف مجاهد كدفعة أولى إلى فلسطين، وكان من أثر إعلان الإخوان لهذه الخطوة العملية ما يلي:[70]

1- الأثر المباشر وهو أن أعد كل أخ نفسه، وسارعوا إلى تقديم أنفسهم وأموالهم إلى المركز العام حتى ضاق هو وشعب القاهرة على سعتها بأفواجهم المتلاحقة.
2- أشعل هذا الإعلان الحماس في نفوس مجموعة كريمة من ضباط الجيش المصري فاستقالت من الجيش وأعلنت تطوعها.
3- جعل اليهود يشعرون أن الطريق ليس ممهداً أمامهم لتحقيق أمانيهم بعد أن ظنوا أنهم بمكرهم وأموالهم وبخداع الإنجليز قد قضوا على كل مقاومة كانت تعترض سبيلهم لا سيما أن الذين يتحدونهم لسيوا جنوداً محترفين، بل هم شباب متطوع دفعته إلى التطوع عقيدته وإيمانه، وهذا النوع من الجنود قوي الشكيمة شديد المراس.
4- جعل دول الغرب وهي التي تتبنى اليهود تحاول أن تعرف مدى جدية هذا الإعلان فعهدهم بالعرب أنهم يقولون ما لا يفعلون، فتقاطر المراسلون لهذه الدول على المركز العام وأمطروه بالأسئلة، ورأوا أفواج الإخوان المتطوعين.

---

[70] الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ ج 1 ص 412-413.

5- تشجيع الرؤساء العرب، وبث روح الطمأنينة في نفوسهم كي يتحرروا من تبعيتهم وعبوديتهم للمستعمرين ولا يتخاذلوا ويتهربوا من المسئولية.

- **الحرب**

وكان لا بد للمعركة أن تندلع على ثرى فلسطين المسلمة، وبدأت المعركة فعلاً بين العصابات اليهودية المنظمة الجيدة التسليح، وبين الجيوش العربية الرسمية، وجيش الإنقاذ الذي شكلته الأنظمة العربية، والمجاهدين المتطوعين من شباب "الإخوان المسلمون" في البلاد العربية.

أما الجيوش العربية فقد دخلت الميدان وهي تعاني من نقص التدريب والتسليح والجهل التام بقوى العدو، والأخطر من ذلك كله هو أن القيادات السياسية العربية لم تكن قد تحررت بعد من التبعية الاستعمارية.. وأما جيش الإنقاذ فقد كان في المعركة لا في العير ولا النفير.

أما مجاهدو "الإخوان المسلمون" فقد سطروا على ثرى فلسطين صفحات ناصعة ينبغي أن تسجل لهم في سفر تاريخ فلسطين بحروف من نور وبماء الوفاء والإكبار، تشهد لهم بذلك مواقعهم في مستعمرة كفار ديروم، وفي مستعمرتي بيري وأتكوما، وفي مستعمرة رامات راحيل، وفي مستعمرة تل بيوت، وفي قرية العسلوج وصور باهر وجبل المكبر وتل رأس الأحرش والتبة 86.. ومواقعهم لحماية ظهر الجيش المصري في وادي الشلالة وتل حجة والرابية والشعوث ومرتفعات الطارة والحفن.. إلخ.

- **الهدنة الأولى أو المؤامرة على النصر:**

لم تمض أسابيع قليلة على انسحاب البريطانيين، الذين قد سلموا العصابات اليهودية المواقع والسلاح والعتاد الذي يمكنهم من حسم الموقف العسكري لصالحهم.. لم تمض أسابيع قليلة حتى بدأ اليأس يتسرب إلى قيادة العصابات اليهودية مع تلاحق الهزائم التي منيت بها، وأدركت أن رياح المعركة تهب في اتجاه مضاد لمصالحها، وأدركت أن مسار الحرب يهدد الوجود اليهودي كله في فلسطين، فقد بدأ المجاهدون يعدون أنفسهم للوثوب على القدس الجديدة، فسارعت إلى استنفار قوى الصهيونية العالمية لإنقاذها، ولم تلبث أن قامت في أجواء هيئة الأمم روائح مكيدة خبيثة، وبدأت الأنباء تتوارد أن مجلس الأمن يدرس اقتراحاً تقدمت به بريطانيا يقضي بفرض هدنة بين العرب واليهود لمدة أربع أسابيع لأسباب إنسانية ليتمكن المحاربون من سحب قتلاهم من ميادين المعارك.

وفي الوقت الذي كانت فيه الجامعة العربية وحكوماتها العميلة الذليلة تبدي تجاوبها مع هذا الاقتراح الخطير، كان الإخوان المسلمون يعلنون رفضهم للهدنة المقترحة، ويؤكدون أن مزاعم الكونت برنادوت مندوب هيئة الأمم عن أسبابه الإنسانية لفرض الهدنة ما هي إلا مكيدة تعطي اليهود الفرصة لالتقاط أنفاسهم التي كادت تزهقها انتصارات المجاهدين..

وكتب الإمام الشهيد حسن البنا افتتاحية جريدة "الإخوان المسلمون" اليومية عدد 3 يونيو سنة 1948 بعنوان "حول اقتراح الهدنة.. ماذا وراء هذا الرد؟".. كانت هذه الافتتاحية صرخة أطلقها الإمام البنا للتحذير من قبول هذه الهدنة التي ستجر علينا الخراب والدمار، ختمها بقوله:

(وكنا نؤثر أن يكون شعارنا اليوم وبعد أن يئسنا من أساليب الدبلوماسية هذا اليأس ما قاله من قبل عبد المؤمن بن علي:

وحكم السيف لا تعبأ بعافية ... وخلها سيرة تبقى على الحقب
فما تنال بغير السيف منقبة ... ولا ترد صدور الخيل بالكتب
لو كان يطاع لقصير رأي!!...

إننا متشائمون من هذه الهدنة لا نرضى بها ولا نوافق عليها، ونحمل الذين اختاروا هذه الطريقة تبعة عملهم بين يدي الله والناس. ولله الأمر من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

لقد كان على الجامعة العربية والحكومة المصرية بالذات أن تستجيب لصرخة الإمام البنا وترفض هذه الهدنة أو تتلكأ على الأقل في قبولها عدة أسابيع...لو فعلت ذلك لتغيرت نتيجة هذه الحرب، ولما كانت هناك مشكلة تسمى مشكلة فلسطين ولا دولة تسمى دولة إسرائيل!!

ولكن يبدو أن صخب المؤامرة كان أضخم من صرخات الإخوان الواعية، فلم تفلح نصائح الإخوان للحكومات العربية برفض الهدنة.. وصدرت الأوامر إلى الجيوش العربية في فلسطين بوقف إطلاق النار لمدة شهر كامل تبدأ من 11 يونيو سنة 1948 وتنتهي مساء 9 يوليو.

ولم تكن هذه الهدنة المشئومة إلا وسيلة لمساعدة اليهود وتمكينهم من جلب الأسلحة الثقيلة والذخائر، واعترافا فعليا من العرب بقيام إسرائيل، وفرصة لليهود لكي ينقضوا بهجمات غادرة ويحتلوا المواقع المهمة..

ولم تمض تسعة أيام على انتهاء الهدنة الأولى حتى عادت أمريكا لتلقي بكل ثقلها في مجلس الأمن لفرض هدنة جديدة بدأت 18 يوليو 1948، حيث تمكن اليهود خلالها أن يجلبوا أنواعاً جديدة من الأسلحة الثقيلة والطائرات، وزود الخونة الجيش المصري بالأسلحة الفاسدة!!

وبعد هاتين الهدنتين المشئومتين تحول الموقف العسكري لصالح اليهود تماماً، وانطلقت القوات اليهودية المدرعة تحمل الأسلحة والجنود وانتفضت المستعمرات الهادئة الوادعة، ودبت الحياة في أوصالها وقامت لتؤدي دورها المرسوم..

- **المكافأة..!!**

في 8 ديسمبر سنة 1948 أصدر النقراشي رئيس الحكومة المصرية أمراً عسكرياً بحل جماعة "الإخوان المسلمين" وحظر جميع وجوه نشاطها ومصادرة ممتلكاتها وأموالها.. وذلك قبل أن ينفذ حسن البنا خطته، التي كشف عنها الأستاذ كامل الشريف[71] أحد قادة قوات الإخوان في فلسطين في قوله: (وأعود بالذاكرة قليلاً إلى الوراء، فأذكر الوقت الذي كان فيه المرشد العام عليه رحمة الله ورضوانه يعد قوة ضخمة للدفاع عن القدس، حيث كان اليهود يشنون هجمات عنيفة على مراكز الجيش الأردني بها، مما خشي معه أن يستولي اليهود على المدينة المقدسة، وأذكر أن حديثاً تليفونياً جرى بيني وبين فضيلته، وكان يقول لي إنه يجهز قوات كثيفة ليدخل بها فلسطين، وأنه سيعلن الجهاد الديني والتعبئة الشعبية، بعد أن فشلت الحكومات وجامعتها، وكان يسوق لي هذه الأنباء مردداً هذه العبارة "ما فيش فايدة، الناس دول مش عاوزين يحاربوا"، وكان فضيلته يرمي من وراء ذلك إلى إثارة الشعور الديني في العالم الإسلامي، ودفع الشعوب الإسلامية والحكومات الإسلامية لعمل شيء ما).

وفي 7 يناير 1949، أعلن رسمياً عن توقف العمليات الحربية على الجبهة المصرية، وأدرك مجاهدو الإخوان أنهم سيخرجون من الجبهة القتال مع اليهود ليواجهوا مؤامرة خبيثة دبرت لهم في ليل في دهاليز السفارة البريطانية بالقاهرة بتحريض من القوى الصهيونية العالمية، وزاد من يقين الإخوان بصعوبة موقفهم ما تواترت به الأنباء من مصر من تصعيد الحكومة لعمليات المطاردة والإيذاء ضد الإخوان، وأردك مجاهدو الإخوان أن بقاءهم في الجبهة لم يعد له ما يبرره بتوقف الحرب، وأدركوا أنهم إذا غادروا الجبهة عائدين إلى مصر فإن زنازين السجون ستفتح لاستقبالهم، فاستقر رأي قيادة مجاهدي الإخوان على اقتراح حل يعفي الحكومة المصرية من الحرج السياسي، وينجي الإخوان مما ينتظرهم من مطاردة وأذى إذا عادوا إلى مصر، وكان هذا الاقتراح يقضي بالسماح لهم بالبقاء في الجبهة ليتوزعوا في مجموعات صغيرة تقوم بحرب عصابات ضد اليهود بينما تعلن الحكومة المصرية، تنصلها من هذه العصابات.

ولكن يبدو أن المؤامرة كانت أكبر من طموحات المجاهدين وأحلامهم، إذ سرعان ما صعقهم النبأ القادم من مصر يعلن استشهاد الإمام حسن البنا غيلة في مساء 12 فبراير سنة 1949.

ولم يمض يومان على اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا حتى جاء ضابط مصري كبير ليبلغ مجاهدي الإخوان أن الجيش سيقوم بنقلهم إلى مصر تمهيداً ليعود كل واحد منهم إلى بلده[72].

وبسرعة مريبة قام الجيش بتجريد الأبطال من أسلحتهم ومصادرتها، وقام بنقلهم في شاحنات كبيرة إلى رفح، حيث أبلغوا أنهم سيبيتون ليلتهم في عنبر كبير خصص لهم في أحد معسكرات الجيش ليتم في اليوم التالي نقلهم إلى مصر بواسطة القطار.

وعندما أفاق الإخوان ليصلوا الفجر فوجئوا بأن عنبرهم قد أحيط بالأسلاك الشائكة والجنود، وزالت دهشتهم عندما جاء ضابط كبير يبلغهم أن الأوامر الصادرة من القاهرة تقضي باعتقالهم إلى أجل غير محدد.

وحين اكتظ المعتقل بجموع الإخوان، اضطرت القيادة المصرية لفتح معتقل جديد خصصته لمجاهدي الإخوان الذين كانوا يرابطون في منطقة بيت لحم والخليل.

وفي العريش حيث تم نقل المعتقلين على أثر عدوان يهودي بعيداً عن الخطوط الأمامية، نظم الإخوان أنفسهم على أساس اعتقال طويل.. ولكن ما لبث أن جاءهم البشير بسقوط حكومة الإرهاب وتشكيل حكومة ائتلافية لتصفية المعتقلات، وظن الإخوان أن الحكومة الجديدة سترفع الظلم عنهم، وتعتذر عما لاقوه من عقوق ونكران وهم الذين خطوا بدماء شهدائهم أنصع سطور البطولة على أرض فلسطين، ولكن سرعان ما خاب ظنهم حين وصلوا إلى مصر ليجدوا في انتظارهم في محطة القطار أوامر القبض عليهم، والزج بهم في السجون، ليخضعوا لسلسلة مريرة من التحقيق الذي تتخلله صنوف مخزية من عمليات الإرهاب والإذلال.. وأخيرا يرسل كل واحد منهم في حراسة إلى بلدته وكأنه أحد المجرمين لا أحد المجاهدين الذين رفعوا رأس

---

[71] في كتاب "الإخوان المسلمون في حرب فلسطين" – دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة ص 213.

[72] انظر المصدر السابق – فصل (إلى المعتقلات!!).

مصر عالياً، وسجل التاريخ في صفحاته السوداء بحروف الخزي والعار هذه النهاية لجهاد الإخوان المسلمون في فلسطين[73]..!!

- **شعلة لا تنطفئ**

وإن كان الأنكال قد نزعوا سلاح مجاهدي الإخوان وأقصوهم في خسة عن الميدان إلى السجون والمعتقلات فإن ظلام السجون لم يطفئ شعلة الجهاد في نفوسهم، وإن قيود المعتقلات لم توهن عزيمتهم.. إنك لو سألت هؤلاء الأبطال عن كلمات، كالفرار والاستسلام، لما فهموا ما تقول فتلك كلمات لا تعرفها لغتهم.. إنهم في السجون وعيونهم وقلوبهم وعقولهم تدور مع مسرى محمد صلى الله عليه وسلم، فيستحثون المسئولين ويستصرخونهم في إشعال حرب العصابات لتعطيل الجهاز الإنشائي لدولة إسرائيل الوليدة حتى لا يستفحل خطرها في المنطقة وتتهيأ ظروف اقتلاعها وتطهير الأرض المقدسة من أرجاسها.

يقول الأستاذ كامل الشريف في تقديمه للطبعة الثانية من كتابه "الإخوان المسلمون في حرب فلسطين":

(حينما ساقتنا القوة الباطشة إلى المعتقلات عقب الحرب الفلسطينية كتبت عدة مذكرات للمسئولين في الجيش المصري ناديت فيها بوجوب تسخير القوة الشعبية الفلسطينية لإرهاق العدو وإرغامه على قتال طويل المدى بواسطة عصابات عربية صغيرة تنتشر في صحاري فلسطين، فتدمر الجسور والطرق وتحرق المصانع والمعامل وتغير على المستعمرات الزراعية وتعمل يد التحريق والتدمير في مزروعاتها وآلاتها، وتنشر الرعب والفزع في كل مدينة وقرية ومستعمرة، وقلت إن هذه الحالة لن تكلف كثيراً، ولكنها كفيلة بتعطيل الجهاز الإنشائي في دولة، وإرغام جيشها الكبير الذي تفرغ للتدريب والإعداد على حماية حدودها المترامية وعلى حراسة طرق المواصلات والمستعمرات والمصانع وغيرها من المراكز، وفي ذلك ما فيه إرهاق لميزانية الدولة وإشغال لهذه القوات إلى جانب الخسائر الهائلة التي يمكن أن تقع في الجنود والعتاد.

وقد كان مما يساعد على نجاح هذه الخطة أن الحرب كانت لا تزال قائمة والشعب الفلسطيني لا يزال يعيش في مناطق من فلسطين المحتلة وليست هناك حدود معترف بها بين إسرائيل والمناطق العربية من فلسطين، كما أن الدول العربية كانت تستطيع في ذلك الحين أن تعلن أن الشعب الفلسطيني قد استرد حقه في تحرير وطنه بالوسائل التي يراها بعد فشل التدخل العربي الجماعي في تحقيق هذه النتيجة، ولقد كنا نعتقد أن إشعال الحرب التحريرية من جانب الفلسطينيين قد يغري العدو بتكرار مهاجمة شبه جزيرة سيناء، فقد نصحنا بضرورة تحصين هذه المناطق تحصيناً قوياً، ولقد اقترحنا من أجل تحقيق هذه الغاية بناء مستعمرات زراعية على طول الحدود في المناطق التي يوجد فيها الماء والأراضي الزراعية الصالحة، كما دعونا إلى إنشاء قوات للبادية من القبائل العربية وإعدادها لتؤدي دوراً فعالاً في عرقلة وإحباط أي هجوم متوقع من جانب العدو، وناشدنا المسئولين في الحكومة السعدية القائمة أن يشجعوا المصريين على الهجرة إلى سيناء وتعميرها حتى لا تبقى هذه المناطق الحيوية فارغة مما يغري المستعمر الصهيوني باحتلالها.

نعم، صرخنا من وراء أسوار المعتقلات في مذكرات مكتوبة إلى المسئولين أن استمروا في الحرب، وإذا كانت الظروف قد اضطرتكم لإنهاء الحرب النظامية هذه النهاية المؤسفة وخرجت جيوشكم مثخنة بجراح الهزيمة، وبها شوق إلى الثأر والانتقام، فأشعلوا حرب العصابات وهي كفيلة بتحقيق ما عجزت الجيوش النظامية عن تحقيقه، وإن أمامكم من الشواهد على نجاح هذه الوسيلة.

إن العصابات التي حررت يوغسلافيا، هي التي حررت فرنسا من الألمان، وهي التي دمرت حكومة الصين الوطنية، وهي التي حررت أندونيسيا المسلمة..

إن الوسيلة الوحيدة لإرهاق إسرائيل وتدمير قواها واستنزاف ماء حياتها لن تكون إلا بحرب عصابات يقوم بها الشباب الفلسطيني الناقم المغيظ، الذي يتحرق شوقاً لملاقاة أعدائه، وتنغيص عيشهم كما نغصوا عليه حياته.

قلنا هذا الكلام في ذلك الحين، ولكن حكومة الإرهاب كانت مشغولة بقتل "حسن البنا" والقضاء على فكرة الإسلام، وحين مادت الأرض تحت ذلك العهد الأغبر واصلنا الكتابة والنصح، ولكن هذا الجهد كله ذهب أدراج الرياح!

إنني أصبحت مقتنعاً أنه لا خير يرجى في هذه الحكومات وليس هناك مفر من إعلان هذا الرأي، ودعوة الجماعات الوطنية الشعبية في مصر وسائر البلاد العربية لتتعاون جميعاً في هذا السبيل.

هذه هي الأسلحة الخطرة التي يمكن توجيهها إلى إسرائيل، الحصار الاقتصادي المنظم وحرب العصابات المنظمة القوية).

حسن البنا.. والدعوة في الأقطار الشقيقة

- **ثورة سوريا الشقيقة:**

---

[73] عن كتاب "الحركة الإسلامية وقضية فلسطين" – للأستاذ زياد أبو غنيمة ص 90-91 (بتصرف).

قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة 1945 وانهزام فرنسا أمام الجيوش الألمانية[74]، طالبت سوريا الشقيقة بجلاء قوات الاحتلال الفرنسي عن أراضيها، ولكن فرنسا ماطلت ولم تف بوعودها السابقة وأصرت على استمرار الاحتلال، فهب الشعب السوري الشقيق في ثورة عارمة يدافع عن حريته وكرامته واستقلال بلاده..
ورأى الإمام الشهيد أن يقف الإخوان في مصر إلى جانب إخوانهم المجاهدين في سوريا، فأرسل إلى سفير سوريا بمصر الخطاب التالي:
(حضرة صاحب السعادة: وزير سوريا المفوض بالقاهرة
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته – وبعد:
فإن "الإخوان المسلمون" في المملكة المصرية يشاركون الحكومة السورية المجاهدة والشعب السوري الباسل الشعور ضد الاستعمار والعدوان والظلم في هذه الآونة الدقيقة من تاريخ العروبة وهم ينتهزون هذه الفرصة فيعلنون أن عشرة آلاف شاب من شباب الإخوان يرجون قبولهم كمتطوعين في الجيش السوري، وهم على أتم الاستعداد للسفر في أي وقت ترى الحكومة السورية أن تدعوهم فيه إلى الانضمام إلى القوات المجاهدة وأداء الواجب المفروض على كل عربي، فأتشرف بأن أخطر سيادتكم بذلك انتظاراً لأوامركم.
مع أصدق العواطف وأطيب التمنيات، والسلام عليكم.

حسن البنا

- **بعثة طبية إخوانية إلى سوريا:**

وعندما واجهت فرنسا بقواتها الغاشمة هذه الثورة بالقوة والنار وقصفت مدفعيتها الثقيلة الشعب السوري الأعزل وسقط الكثير من الجرحى والضحايا والشهداء مضرجين في دمائهم، رأى الإمام الشهيد رضوان الله عليه، أن يسارع الإخوان في مصر بأداء حقوق الأخوة بتضميد جراح المقاتلين والوقوف بجانب إخواننا السوريين في محنتهم وهذا أضعف الإيمان..
فقرر الإخوان إيفاد بعثة طبية إلى سوريا برئاسة الأخ الدكتور محمد سليمان وسكرتارية الأستاذ عبد الحكيم عابدين لمواساة سوريا في نكبتها. وغادرت البعثة القاهرة إلى دمشق، وهي مزودة بالأطباء والممرضين وبكل ما تحتاجه من أدوية وإسعافات.
واستقبل البعثة حين وصولها إلى دمشق كل من السادة نجيب بك البرازي نائب حماة وخالد بك الداغستاني محافظ حماة وسعد الله الجابري رئيس مجلس النواب السوري.
وهناك شمرت البعثة عن ساعد الجد ونزلت إلى المساجد وجعلوا منها مستشفيات، وواصلوا الليل بالنهار في صبر وصمت وعاطفة جياشة بالحب نحو إخوانهم في سوريا.
ولاحظ السوريون نشاط هذه البعثة التي تقوم بواجبها في غير ضجة ولا دعاية وفي حب وإخلاص وإيثار وانقطاع، وأعطت السوريين مفهوماً جديداً عن الإسلام في إيجابياته وتجاوبه مع الأحداث والمواقف، الإسلام الذي لا يعرف عصبية ولا قومية ولا أنانية، هذا الإسلام هو الذي تحركت به البعثة تطبق قول الرسول الكريم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). فتأثر الشعب السوري الشقيق بهذه الروح الفياضة المتفانية في صدق، فكتبت مجلة "الجامعة الإسلامية" التي تصدر في حلب في مقالها الافتتاحي ما يلي:
(كانت طائفة من الناس في سوريا تنظر إلى مصر بمظهر بعض صحفها الخليعة وبعض أقلامها الغاوية، ويأخذها الألم عليها بميول قبضة من كتابها الظاهرين من الحيرة والتقليد الأعمى، وتحكم عليها أنها سائرة وراء مفاسد الغرب.. حتى جاءت بعثة "الإخوان المسلمون"، فبعد أن داوت الجرحى وآست ذوي القتلى، وبذلت جهدها وأموالها وعونها في هذا السبيل المحبوب التفتت إلى نفوس الأحياء فأنعشتها وأوقدت حماسها، وأذكت شعورها نحو الهدف الأسمى والبغية المثلى، ونحو إحياء المجد والدعوة الحقة فارتدت أبصار الطائفة عما خدعت به وغدت مصر ملء الأفواه وملء الأسماع وملء الأبصار كما هو ملء القلوب والعقول، شقيقة مسلمة غيورة على الجامعة العظمى والأخوة الكبرى يوم يجد الجد وأيام الملمات والمحن).
وبعد مضي عدة أسابيع على عودة بعثة الإخوان الطبية إلى القاهرة بعد أن أدت مهمتها في سوريا بنجاح، حضر وفد من درا الأرقم من شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من حلب لزيارة الإخوان بالقاهرة والأقاليم رداً على زيارة البعثة الطبية، وكان جميعهم من الشباب وعلى رأسهم الأستاذ عبد الرحمن الباشا، واستقبلهم الإخوان بالإسكندرية بحفاوة وترحاب، وشملت زيارة هذا الوفد جميع شعب الإسكندرية وأسعدوا الإخوان بخطبهم التي فاضت بلاغة وحماسة هزت النفوس واستجاشت

---

[74] في بلاد الشام، بمجرد ما نشبت الحرب العالمية الأولى التي كانت تركيا طرفاً فيها إلى جانب ألمانيا حتى انتهزت فرنسا الفرصة وسيطرت على لبنان، وبعد انتهاء الحرب دخلت فرنسا بقواتها سوريا سنة 1920 ووقف غورو بأحقاده الصليبية على قبر صلاح الدين الأيوبي ليقول: الآن عدنا يا صلاح الدين!! وبذلك صارت سوريا ولبنان ضمن نفوذ فرنسا في اتفاقية سايكس بيكو (السرية) التي تقضي بتقسيم أملاك دولة الخلافة العثمانية بين الدول الصليبية (انجلترا وفرنسا وروسيا)، ثم صدرت قرارات مؤتمر سان ريمو بانتداب فرنسا على سوريا ولبنان، ولكن الشعب السوري الشقيق رفض الاحتلال الفرنسي وهب لمقاومته والتصدي له في ثورات متتالية أخرها ثورة سنة 1945 حين حاولت فرنسا إبقاء نفوذها على سوريا بمعاهدة بعد الانسحاب.

الأرواح وأثارت العواطف حيث كان هذا الوفد يضم نخبة ممتازة من الخطباء على درجة كبيرة من الحماس والوعي، وقد أثار ما كان يتردد في خطب البعض من كلام عن القومية العربية دهشة الإخوان بالإسكندرية، فلم يكن لمفهوم القومية العربية مكان الصدارة في أحاديث الإخوان حيث يؤمنون بالجامعة الإسلامية، ولذلك حاولنا في جلساتنا الخاصة أن نوضح موقف الإخوان من فكرة القومية. وتبين لنا من المناقشات أن مفهوم القومية العربية هو السائد في الفكر السوري ومنطقة الهلال الخصيب (سوريا ولبنان والأردن والعراق) ومن ورائه نصارى الشام وبعض المثقفين من المسلمين ممن تأثروا بمذاهب الفكر الغربي.. وتم بفضل الله تصويب هذه الفكرة لدى إخواننا السوريين بعد أن عرفوا ما وراءها من نوايا خبيثة تهدف إلى ضرب الوحدة الإسلامية.

- الانضمام إلى الإخوان

وعلى أثر هذه الزيارات المتبادلة بين جماعة "الإخوان المسلمون" في مصر وجمعية شباب محمد صلى الله عليه وسلم في سوريا.. وعلى أثر هذا التلاحم والتجاوب جاء وفد على رأسه فضيلة الشيخ مصطفى السباعي لمقابلة فضيلة المرشد العام ومبايعته، وتم ذلك بحمد الله وسط حفل بهيج أقامه الإخوان في المركز العام بهذه المناسبة التاريخية.

ويحكي مؤلف كتاب "مصطفى السباعي.. رجل فكر وقائد دعوة" قصة هذا الانضمام فيقول:

(أعجب السباعي بعمل الإمام الشهيد حسن البنا ورأى فيه بغيته وطريقته، كما رأى أن ما كان ينشده ويفكر به، من تنظيم جماعة تنهض بعبء رسالة الإسلام، وقد تحقق على يدي الإمام البنا، فساهم خلال وجوده في مصر – أثناء فترة التلقي بالأزهر – بدفع هذه الحركة، وتوسيع نشاطها، وتدعيم أسسها، فاستفاد من تجربتها، وأفادها من خبرته ونشاطه. وبلغ نشاطه حد أقلق الاستعمار البريطاني وأتباعه في مصر، بتهمة تحريض الشعب المصري على الثورة ضد الإنجليز، وزج به في السجن وبعد شهرين سلم إلى السلطات الإنجليزية في فلسطين، فأودع معتقل "صرفند" وبعد مضي أربعة أشهر أفرج عنه، لتعيد السلطات الفرنسية اعتقاله من جديد، فور وصوله إليها، وزجته في سجون لبنان أكثر من سنتين ونصف السنة. وبعد أن أفرج عنه عاد إلى بلده حمص ثم انتقل إلى دمشق، ليتابع نشاطه في الدعوة إلى الإسلام، وقيادة الجماهير في طريق الحق والقوة والحرية، ورأى أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الإسلامية من نطاق العمل الشعبي العام إلى نطاق الحركة المنظمة، وبدأ باصطفاء الأكفياء من الرجال، وانتهى إلى تأسيس الجماعة المنشودة، مختاراً لها اسم الحركة الإسلامية في مصر، لإخراج الحركة من النطاق المحلي إلى نطاق الوطن العربي الكبير، فأعلن رحمه الله قيام "جماعة الإخوان المسلمون"، وذلك في عام 1945، وقد انتخبته الهيئة التأسيسية للجماعة فيما بعد مراقبا عاماً، وبايعته الجماعة على ذلك، وقاد الجماعة قيادة الحكيم المقدام)[75].

الطلائع الأولى للدعوة في الأقطار الشقيقة

كان تحرك الإخوان في مصر بالقضية الفلسطينية باعتبارها من أخطر قضايا المسلمين ومناصرتهم للشعب الفلسطيني الشقيق وثورته سنة 1936 بكل ما فيهم من قوة يعد من أبرز العوامل وأهمها في نشر دعوتهم ولفت الأنظار إليهم في الأقطار العربية الشقيقة.

ولكن كانت البداية قبل ذلك سنة 1935، وفقاً لما سجله الإمام البنا في مذكراته حيث يقول:

(كان أول مبعوث "للإخوان المسلمون" في الأقطار الشقيقة: فلسطين وسوريا ولبنان الأخوان الفاضلان: الأستاذ عبد الرحمن الساعاتي محمد أسعد الحكيم، وقد نشرت المجلة نبأ هذه الزيارة في العبارة الآتية:

علم القراء نبأ انتداب حضرتي الأستاذين عبد الرحمن أفندي الساعاتي ومحمد أفندي أسعد الحكيم لزيارة القطر الشقيق وبث الدعوة في أنحاء سوريا وفلسطين، وقد جاءت الأنباء منهما أنهما وصلا بسلامة الله تعالى بيت المقدس صباح الأحد 5 جمادى الأولى بمعية الزعيم التونسي الأستاذ الثعالبي الذي رافقهما من القاهرة عصر السبت 4 جمادى،[76] وهناك قابلا سعادة السيد أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى ونشر الدعوة للجمعية، ورد سماحة السيد الحسيني الزيارة لهما في المنزل النازلين فيه، ثم غادرا بيت المقدس إلى دمشق فوصلاها يوم الأربعاء في الساعة الرابعة وصليا الجمعة في المسجد الأموي وخطبا فيه لدعوة "الإخوان المسلمون" وقابلا زعماء الحركة الإسلامية.

وكان سماحة المفتي الأكبر ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى السيد محمد أمين الحسيني قد شمل الأخوين ببالغ الحفاوة والعطف وزودهما بخطابات كريمة لرؤساء الهيئات والجماعات في البلدان التي سيزورونها. وقد نشرت مجلة الإخوان صورة أحد هذه الخطابات وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة رئيس جمعية الهداية الإسلامية بدمشق

---

[75] كتاب "مصطفى السباعي.. رجل فكر وقائد دعوة" تأليف عبد العزيز الحاج مصطفى – نشر دار عمار، عمان ص 32-33.

[76] 4 جمادى الأولى سنة 1354 الموافق 3 أغسطس سنة 1935.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فقد حظينا اليوم بزيارة حضرتي الأستاذين المهذبين عبد الرحمن أفندي الساعاتي ومحمد أفندي أسعد الحكيم مندوبي جمعية الإخوان في الديار المصرية، ولقد أعجبنا كثيرا بثقافتهما الإسلامية وتمسكهما بآداب الدين الحنيف وعملهما على نشر المبدأ الإسلامي القويم "إنما المؤمنون إخوة".
وقد علمنا برغبتهما في زيارة سوريا للتعرف بإخوانهم المسلمين العاملين فيها على رفع كلمة الإسلام. فرأينا أن نقوم بعقد صلة التعارف بين حضراتكم تحقيقاً لقصدهما ورغبتهما. ولا ريب أنهما سيجدان من الحفاوة والإكرام في رحابكم الواسعة وفي دمشق الفيحاء ما يثبت في أذهانهما أحسن الذكريات عن هذه الزيارة الميمونة.
وختاما تفضلوا بقبول وافر التحية والاحترام.
كما سجل الأستاذ عبد الرحمن الساعاتي هذه الزيارة في كلمة قيمة نشرتها مجلة الإخوان ونصها:

الإخوان المسلمون في دمشق

أبت أمية أن تفنى محامدها — على المدى وأبي أبناء غسان
فمن غطارفة في جلق نجب — ومن غطارفة في أرض حوران
عافوا المذلة في الدنيا فعندهم — عز الحياة وعز الموت سيان
لا يصبرون على ضيم يحاوله — باغ من الإنس أو طاغ من الجان

رعى الله هذه الوجوه الناضرة التي تركناها في جلق تدعو لمبادئ "الإخوان المسلمون" وتعمل لغايتهم المحمودة، ونضر الله وجوها ارتسمت على صفحاتها المشرقة آمال المسلم الذي لا تحوي جسمه بقعة ولا تحد آماله حدود الأرض الفسيحة حتى يرى خيال آماله صورة مرتسمة على رقعة الأرض، وقوة هائلة في أنحاء المعمورة، ودرساً بليغاً للطامعين الغاصبين.
ما أن وقفنا أمامهم حتى فهموا ما نريد أن نخاطبهم فيه، وما أشرنا إليهم حتى عرفوا ما نبغي أن ندعوهم إليه، وما نادينا فيهم حتى سمعنا دقات قلوبهم تجيب النداء وترجيع ألسنتهم تؤمن على الدعاء، فهم إخوان مسلمون وإن لم نلقهم قبل ذلك، ودعاة لمبدأ "الإخوان المسلمون" ينادون به هنالك.
الله أكبر، هذه العشيرة الإسلامية لم تفرق بينهما حواجز الأمم، ولم تقف بدعاتها عقبات الطريق، ولم يبعد بين قلوب أبنائها مآرب المنقلبين.
بايعناهم على الجهاد في سبيل الله فبايعونا، وعاهدناهم على الدعوة إلى الله فعاهدونا، وتعرفنا إليهم باسم "الإخوان المسلمون" فما أنكرونا، بل كانت قلوبهم تحف بنا حفيفا وجموعهم تستمع إلينا ألوفا، ومنبر "الإخوان المسلمون" في البقعة المباركة من مسجد بني أمية، وصيحتهم بالحق والإيمان إذا ارتفعت بعثت في قلوب المستمعين الحمية الإسلامية.
وهل أتالك نبؤهم يفدون بعد ذلك علينا وفودا وفودا؟ وهل قدرت سعيهم حميداً وجمعهم رشيداً ورأيهم سديداً؟ يتساءلون وعم يتساءلون؟ عن الدعوة التي ما بلغت أمة إلا وبايع المخلصون من أبنائها، والصيحة التي ما ارتفعت فوق منبر إلا وأصاخ المؤمنون عيون قلوبهم عليها، والمرشد الذي أحكم سياج هذه الدعوة من كتاب الإيمان والتضحية فجرت باسم الله مجريها ومرسيها.
وهم يسمعون الجواب وأعينهم تفيض من الدمع كما تفيض عيون الماء في أرجاء جلق الفسيحة، وقلوبهم تنفجر ينابيع بردى فتجعل الشوارع أنهارا والمساجد روضات والبيوتات جنات ألفافا.
وإن أنس شيئاً فما نسيت واحدا خلا إليَّ منهم يحدثني حديث الأخ المسلم الذي جاشت في صدره آلام شعوب مسلمة، وارتسمت على ثغره ابتسامة نفس مؤمنة، فراح يبثني ذات نفسه، وأخذ يشكو إلي حزنه وبثه. فقلت: يا سبحان الله. كأنني في مصر أستمع إلى حديث القائمين بالدعوة فيها، أو الإسماعيلية أخاطب العاملين على إعلاء كلمة الله من خلصاء شبابها وبنيها، أو السويس أناجي من رفعوا علم الأخوة الإسلامية على رؤوس ساكنيها، أو غيرها من البلاد التي عمتها دعوة "الإخوان المسلمون" وقد كان أهلها أعداء فأصبحوا بنعمة الله إخوانا، ثم أنظر إلى المسجد الأموي فأرى مآذنه قد ارتفعت في السماء وقبابه قد لمعت تحت قبة الفضاء فأعلم أنني في دمشق حاضرة الأمويين وأن فيها رهطا كثيراً أو عددا وافراً من "الإخوان المسلمون". فيا أيها الوافدون إلى الهيئات والجماعات إنا معكم نعمل لمجد العروبة وسيادة الإسلام.
ويا أيها الزائرون لنا من وجهاء دمشق وكبار الرجالات لقد أكبرتم دعوة الحق بزيارتكم لنا أما أشخاصنا فننساها وذواتنا فننكرها، وسيجزي الله من أكبر دعوته أجرا ويرفع له بين عباده مكانة وذكرى، ويا أيها الملازمون لنا والسائرون معنا حبكم في قلوبنا وذكركم على ألسنتنا ودعوة "الإخوان المسلمون" تجمع بيننا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين. ويا أيها المسلمون علينا أنى اتجهنا وأنى سرنا سلام عليكم طبتم وجزاكم الله خيرا فقد أحسنتم جميعا. جمعنا الله معكم على دعوة الحق وأرانا وجوهكم في دار النعيم (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) [الحجر: 47].

إن بعد الديار لا يبعد بين قلوب قد اتحدت على دعوة الحق، وان كر الأيام لا ينال من فئة قد أخلصت وجهها لله وأن الإسلام جمع بين أبنائه في سائر بقاع الأرض والعروبة تحيط سياجه وتقرب وشائجه، ولن يخذل الله المسلمين ما تمسكوا بكتابه واعتصموا بحبله، ولن يمكن لعدوهم ما داموا يعتزون بعشيرته ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا..[77]

- **الدعوة في بيروت**

وقد أسفر اتصال الأستاذين عبد الرحمن الساعاتي وأسعد الحكيم في رحلتهما إلى الأقطار الشقيقة واتصالهما بالهيئات الإسلامية هناك أن جمعية المقاصد الخيرية قد طلبت إلى المركز العام أن يوفد إليها أحد الإخوان ليقوم بتدريس التشريع والأدب، فوقع الاختيار على الأستاذ محمد الهادي عطية المحامي الشرعي بالسويس ونشرت المجلة بهذا الخصوص هذه الكلمة:

- **الأستاذ الهادي في طريقه إلى بيروت:**

هجرة في سبيل الله والعمل لدعوته شاء الله أن يقوم أسبق المسلمين بهذا العمل الأستاذ الهادي. ويصدر هذا العدد وفضيلة الأستاذ قد ألقى عصا التسيار ببيروت حيث يقوم بتدريس الشريعة الإسلامية والفلسفة والآداب بكلية المقاصد الخيرية، ويعمل في القطر الشقيق على تقوية أواصر المحبة والإخاء ونشر دعوة الفضائل والأخلاق الكريمة.

بارح فضيلته السويس يوم الأربعاء الماضي فودعه على محطة السكة الحديد رجال "الإخوان المسلمون" هناك وكلهم تقدير لفضله وأسى على فراقه ولوعة لبعده، لا يخففها عنهم إلا معرفتهم أنه يسافر مجاهداً في سبيل الله ليعد ميدانا كريما من ميادين العمل للدعوة النبيلة.. ومر فضيلته بالإسماعيلية فإذا على محطتها رجال "الإخوان المسلمون" يتقدمهم فضيلة نائبهم الأستاذ الشيخ محمد فرغلي وتتلوهم فرقة الرحلات، فكان وداعا وكانت مناجاة وكان حديث كله الحب المقيم والعطف الكريم. وفي القنطرة حيث ترابط كتيبة من الإخوان كذلك زودهم فضيلة الأستاذ بنصائحه الغالية بقدر ما فاضت به قلوبهم من محبة خالصة وتقدير جم لأخ من خيرة إخوانهم وداعية كريم من أفضل دعاتهم، وكذلك كان الأستاذ يرى في كل بلد إخوانا وفي كل محطة يقف فيها القطار جندا وأعوانا، ونعتقد أن سيلقي مثل ذلك وأكبر وأجل من حضرات الإخوان الكرام رجال المقاصد الخيرية ببيروت.

وإنما الأستاذ الهادي خير كله حيثما حل، ونستودع الله دينه وأمانته وخواتيم عمله، ونسأل الله له تمام التوفيق وكمال العناية وأن نراه على خير ما نحب أن يكون، ونظنه ليس في حاجة إلى من يذكره بواجبه القدسي نحو جريدة "الإخوان المسلمون"[78].

- **الشيخ محمد الحامد الحموي**

عالم حماة ومرشدها بلا منازع، والأب الروحي لأهلها جميعا.

ظلت حماة طوال حياته المباركة قلعة شامخة وحصنا يخشاه الطغاة، ولم يجرؤ النصيريون أن يقتربوا منها بجيشهم ودباباتهم وطائراتهم إلا بعد رحيله عنها ولحاقه بالرفيق الأعلى.

رحل إلى مصر عام 1356 هـ الموافق 1938م للالتحاق بالأزهر ليتم دراسته العالية فيه وأمضى بها حتى عام 1362 هـ الموافق 1942م حيث أنهى دراسته العالية بتفوق.. أحب مصر وأنس بأهلها وأنسوا به وتعرف على كثير من الصالحين وكان له بالإمام الشهيد حسن البنا تأثر خاص واشتهر بينهم بلقب الشيخ الحموي، ولذلك ترك مصر عائداً إلى حماة وهو شديد الأسى على فراقها يبكيها في عدة قصائد، منها:

ذبت يا مصرُ مذ عزمتُ رحيلا ... ولو استطعتُ عشت فيك طويلا
كنت ممن رَمَوك بالنكر لكن ... عاد صوت النكير قولاً جميلا

كان – رحمه الله – بحراً زاخرا بالعلم، حتى قيل له بعد اختبار الانتساب إلى الأزهر: "إنك عالم لا تحتاج إلى الدراسة فيه"، وحتى أن زملاءه في الدراسة كانوا يدهشون من كثرة معلوماته وغزارة محفوظاته خاصة في الأحكام الفقهية مما جعل الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله وكان زميله في الدراسة الأزهرية يقول له: إنك مدهش، من أين لك معرفة كل هذه الأحكام!!

هذا العالم النحرير لم يتأثر بكل ما قرأه وتعلمه مثلما تأثر بحسن البنا.

في السنة التي أنهى فيها دراسته وأوشك على العودة إلى حماة، كتب رسالة خاصة إلى الإمام الشهيد قال فيها: لقد حضرت كل دروس الثلاثاء، وأحصيت عليك إحدى عشرة غلطة بأسانيدها.. وأورد له الإحدى عشرة غلطة..

ترى بماذا أجاب حسن البنا على ما جاء بهذه الرسالة؟

---

[77] مذكرات الدعوة والداعية ص 202-205.
[78] المصدر السابق ص 206-207.

في درس الثلاثاء الذي أعقب استلام هذه الرسالة، والإخوان والشيخ الحامد والجميع قد احتشدوا في لقائهم هذا الأسبوعي ينتظرون في شوق أن يعيشوا مع الأستاذ البنا في حلقة جديدة من نظراته في القرآن، وإذا بفضيلته يعتذر عن متابعة ما بدأه من حلقات ويقول: وصلتني رسالة كريمة من أخ حبيب كريم تتعلق بأمور ومسائل علمية تكلمت بها في هذا المكان، فمكان الإجابة عليها في هذا المكان وتلا رسالة الشيخ الحامد إليه.. ثم أخذ يستعرض النقاط كلها، ثم قال: في تسع مسائل الحق مع فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الحامد وغفر الله لي وجزا الله عنا شيخنا خير الجزاء، والمسألة العاشرة فيها قولان وحجة كل قول منهما لها وزنها المعتبر، أما في المسألة الحادية عشرة فأظن أن أستاذنا قد فاته فيها الدليل.

بهذه الإجابة الخالصة لله المتجردة من أهواء النفس..

بهذه الربانية.. ذاب قلب محمد الحامد حبا لحسن البنا

وعاد الشيخ محمد الحامد إلى وطنه واستمر على وفائه للإمام الشهيد ولدعوة الإخوان والذود عنها وكانت تربطه بالدكتور السباعي رحمه الله صلة قوية وكل قيادات الإخوان بالقطر السوري الشقيق حتى أنه ما كان يترك مناسبة عامة إلا ويعلن فيها بيعته لقائد الجماعة حتى قبيل وفاته يوم أن كان يستشفي في بيروت رحمه الله.